الجمهوريـة الجزائرية الديمقراطيـة الشعبيـة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمـة



كلية العلوم الانسانية و الإجتماعية

قسم الفلسفة

أطروحة

لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

الميدان :العلوم الاجتماعية. الشعبة :فلسفة

الاختصاص : فلسفة عامة

من إعداد:

فايد فواز

بعنوان

مصادر الشر السائل في الوقت الراهن عند زيجمونت باومان

بتاريخ: 06 مارس 2024 أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة		
السيد : بلواهم عبد الحليم	أستاذ محاضر أ	بجامعة .08ماي 1945 قالمة	رئيسا
السيد : كحول سعودي.	أستاذ محاضر أ	بجامعة .08 ماي 194 قالمة	مشرفا
السيد : بلعقروز عبد الرزاق	أستاذ التعليم العالي	بجامعة محمد لمين دباغين سطيف 2	ممتحنا
السيد : بن سباع محمد	أستاذ التعليم العالي	بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2	ممتحنا
السيد : كمال حاج علي	أستاذ محاضر أ	بجامعة 08 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2023 2024

شكر وعرفان

من لا يشكر الناس لا يشكر الله، اتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف "سعودي كحول" على صبره الكبير علي في هذا العمل من بدايته حتى النهاية، من خلال المتابعة والنصائح الدائمة.

بالاضافة إلى الأستاذ "رابح مراجي" الذي كان المشرف الأول في السنة الأولى، الذي لم يبخل علينا بالنصائح والإرشادات، وكذا الأساتذة الكرام بلواهم، العالم، حاج علي ....

وإلى كافة اعضاء قسم الفلسفة بجامعة قالمة.

و كل من ساهم من بعيد أو قريب في هذا البحث.

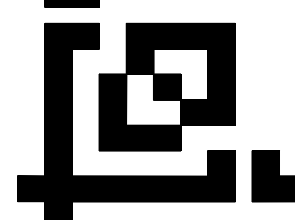
ف. فواز

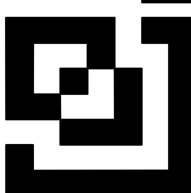


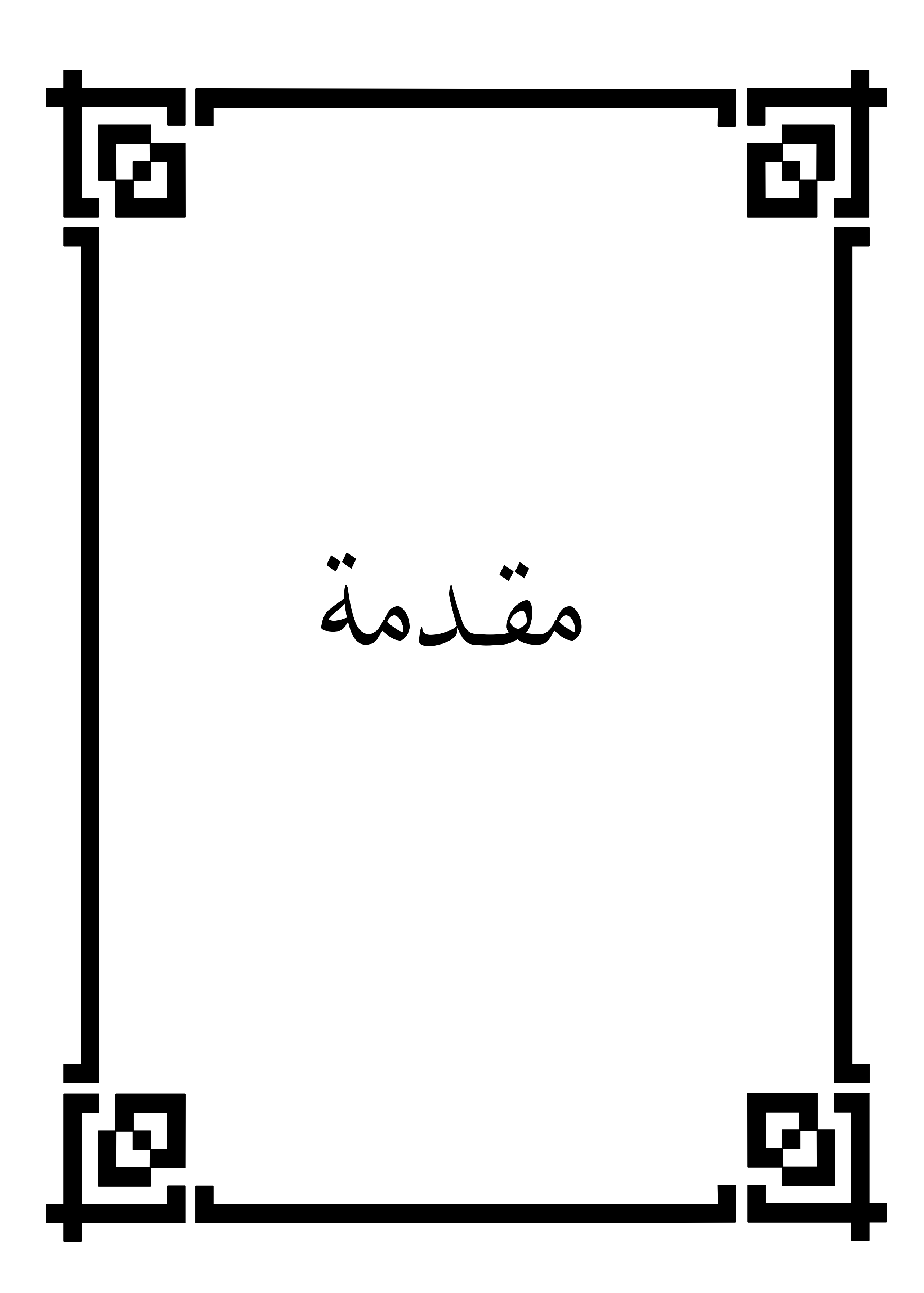
الإهـداء

- أهدى هذا العمل المتواضع
الذي كان ثمرة من ثمار التحدي والمقاومة في استكمال المسار الدراسي عبر جميع خطواته إلى العائلة الكريمة خاصة.
وإلى كل الأصدقاء والزملاء .

ف.فواز







مقدمة

يعتبر الشـر من أكثر الكلمات رواجا في كل العصـور والحقب التاريخية، لما لها من تأثير سـحري على وجود الإنسـان، وعاصـرت هذه الكلمة كل المجتمعات الإنسـانية بمختلف الرؤى الكونية التى انطلقت منها، والتى حملت تصـورات مختلفة متباينة من مجتمع إلى أخر إلى الوجود، وكان سـابقا ينظر إلى الشـر على أنها مسـألة حتمية لا مفر منها، لأنه مرتبط أسـاسـا بالوجود البشـري، وبالتالي فالإنسـان يسـعي إلى محاولات للتخفيف من حدة الشـر والتغلب على العوامل التي تؤدى إلى مقارعته، غالبًا ما تم ربط الشـــر بالقوى أو المخلوقات الخارقة للطبيعة، خاصة في السياقات الخيالية والدينية والأسطورية ...

لقد ميزت المجتمعات القديمة بين نوعين من الشـــر فهناك الشـــر المرتبط بالطبيعة، الذي يتمثل في مختلف القوى الطبيعية التي تسيطر على الإنسـان ووجوده كالزلازل والبراكين والفيضـانات... والشر الثاني هو الشر الأخلاقي، الذي يتمثل في إنسحاب الإنسان من أداء الواجبات الأخلاقية إتجاه نفســـه، أو إتجاه المجتمع، أو كما يســـميه البعض بالتطبيع مع الشيطان، وإن يكن تسميته فهو شر مقترن بالإنسان، باعتباره هو المسبب والمتضرر من هذا الشر.

وفي مجتمعاتنا الراهنة، أصـبح الشـر أكثر انتشـارًا وأقل وضـوحًا في الوقت نفســه ويختبئ الشـــر الســـائل في طبقات القماش المنســوج يوميًا بالنمط الســـائل الحديث للتفاعل البشري والتجارة الاقتصادية القائمة على الاستهلاك، ويخفي نفسه في نسيج التعايش البشري وفي سياق تكاثره الروتيني واليومي، ويكمن الشر في الثقوب السوداء التي لا حصـر لها في الفضــاء الإجتماعي الذي تم تحريره بالكامل، وخصــخصــته حيث حلت المنافســة الشـرسـة والاغتراب المتبادل محل التعاون والتضـــامن، بينما تقوض الفردية القوية القوة اللاصـــقة للروابط بين البشـر، إنه من الصـعب إكتشـاف الشـر في شـكله الحالي وكشـفه ومقاومته، إنه يغرينا بطبيعته العادية ثم يقفز خارجًا دون ســابق إنذار، ويضـــرب على ما يبدو عشـــوائيًا والنتيجة هي عالم اجتماعي يمكن مقارنته بحقل ألغام، نحن نعلم أنه مليء بالمتفجرات وأن

الإنفجارات ستحدث عاجلاً أم آجلاً ولكن ليس لدينا أي فكرة متى وأين ستحدث، وهذا النوع من الشر يسميه زيجمونت باومان بالشر السائل، ويعتبر زيجمونت باومان أعظم المترجمين الفوريين في عصرنا الحالي بصفة عامة، ولفكرة الشر بصفة خاصة في السنوات الماضية وشعر باومان أن مصطلح "ما بعد الحداثة" كان إشكاليًا وغير كافي لتفسير مظاهر الحياة الراهنة، وبدأ في استخدام مصطلح الحداثة السائلة لوصف أفضل لحالة التنقل المستمر والتغيير الذى يراه في العلاقات والهويات الموجودة المجتمع الراهن، بدلاً من الإشـــارة إلى الحداثة وما بعد الحداثة، عبر باومان عن الإنتقال من الحداثة الصلبة إلى شكل أكثر سيولة في الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال إنتشار الشر في الطبقات الاجتماعية التى لا تعد ولا تحصى ومنه كان الشر هو السمية الأساسية التى تعرفها مرحلة الحداثة السائلة، وأصبح الإنســان الراهني في مرحلة صـــراع ومقاومة وتعايش دائم مع فكرة الشـــر، التي من جهة توهمه بالسعادة ومن جهة أخرى تشعره بالمخاوف المتزايدة .

وتأتي أهمية الأطروحة المعنونة" مصــادر الشــر الســائل في الوقت الراهن عند زيجمونت باومان" في شقين أساسين وهما كالأتي :

1 / **الشـق الفلسـفي:** وتكمن في الأهمية الفلسفية لهذه الأطروحة من خلال التحليل الفلسفي المنهجي، الذي حاولنا من خلاله التأكيد على الأهمية الكبيرة لمسألة الشر في الوقت الراهن، وذلك بالابتعاد عن الطرح الميتافيزيقي والديني الكلاسـيكي للشــر، والعودة إلى فكرة الخطيئة الأولى المتوارثة بين الأجيال، والبحث من علاقة الشــر الســائل بالوقت الراهن عند زيجمونت باومان، من خلال سيولة وجريان مختلف القوالب التي وضعتها الحداثة الصلبة في عصر التنوير، والإنتقال من الشر الصلب إلى الشر السائل.

بالإضافة إلى إستكمال البحث عن مسألة الشر، التي تبلورت في القرن العشرين، عند كبار الفلاســفة أمثال ليفانس وهانز يوناس وحنا أرندت وبول ريكور ... باعتبار أن الشـــر

مقترن بالأفعال التي يمارسها الإنسان في الوقت الراهن، بالإضافة إلى مسألة أساسية وهي تمظهرات الشر على مستوى الحياة السائلة.

2/ **الشق الاجتماعي:** وهنا تظهر علاقة الفلسفة بعلم الاجتماع في العصر المعاصر ونجد زيجمونت باومان من أبرز الشخصيات التى يغلب عليها هذا التكامل المعرفي من خلال تحليل الأفكار التي وظفها في مشروع السيولة، باستخدام الكثير من الأدوات الموجودة في علم الاجتماع، أثناء تفكيك ونقل التقارير على أرض الواقع. ولذلك يمكن تصنيف زيجمونت باومان ضمن المفكرين الموسوعيين في الربع الأخير من القرن العشرين إلى غاية وفاته سنة 2017، فقد ترك إرثا كبيرا في النقد والتحليل والنقاش للفكر الاجتماعي والفلسفي في الفترة الأخيرة، وتركم وراءة العديد من الاستفاهامات حول الحياة الراهنة، مثلا في الانتقال من مرحلة الحداثة السائلة إلى مرحلة الحداثة الغازية الذي يتبخر فيها كل شيئ في هذه الحياة.

وباعتبار الموضوع الفلسفي المتناول عبارة عن تبرير تصديق فلسفي، نحاول من خلاله البحث عن **إشكالية** فلسفية أساسية هي جزء من الفلسفة القيمية عموما، تتعلق بالمصادر المختلفة التي تكرس الشر السائل في الوقت الراهن عند زيجمونت باومان.

ومنه فالسؤال المطروح هو: **فهل أصل الشر السائل عند زيجمونت باومان يتمثل في التحرر من كل نظام أخلاقي؟**

وقد قمنا بطرح مجموعة من المشكلات الجزيئية التي تترتب عن اشكاليتنا الأساسية وهي كما يلي:

- مامكانة الشر السائل في الوقت الراهن؟
- كيف تعتبر الهولوكوست مصدرا من مصادر الشر السائل؟
- أين تتجلي علاقة الاستهلاك بالوقت الراهن؟

- ماعلاقة الإعلام والرقابة المعاصرة بالشر السائل؟

اعتمدنا في هذه الأطروحة على أربعة فصول أساسية من خلالها حاولنا إبراز أهم المصادر الأساسية التي حاولت تكريس الشر في الوقت الراهن:

الفصل الأول: والذي كان عنوانه مقدمات بين الشر السائل والوقت الراهن لدى زيجمونت باومان: والذي إعتمدنا فيه على ثلاثة عناصر أساسية، كان غرضها هو عملية البحث والتقصي عن مفهوم الشر السائل والوقت الراهن، من خلال البحث عن مفهوم الشر سواء من الناحية اللغوية أو الناحية الاصطلاحية وحتى تقديم بعض التعاريف الأراء الفلسفية لكبار الفلاسفة أمثال الفيلسوف الإفريقي القديس أوغسطين في المراحيل الأولى إضافة إلى أراء الفيلسوفة حنا أرندت، إضافة إلى التعريف الذي قدمه زيجمونت باومان حول مفهوم الشر، والتميز بين الشر الصلب والشر السائل، مع ضرورة التعرف على الوقت الراهن وماهي أهم الخصائص التى تميز الوقت الراهن بصفة عامة، وعند زيجمونت باومان بشكل خاص، بالإضافة إلى العنصر الثالث، الذي حاولنا فيه إبراز أهم التقاطعات المعرفية الموجودة بين الشر السائل والوقت الراهن، والتي كرست وزادت من الشر السائل بشكل واسع.

الفصل الثاني: الهولوكوست والشر السياسي، وانهيار أسطورة التقدم، والذي قسمناه إلى ثلاثة عناصر أساسية تتمثل أساسا في:

والذي كان غرضه هو محاولة فك الغبار عن الفلسفة الآداتية العقلانية المعاصرة والتي كرست منظمومة جديدة، قامت على مجموعة من المبادئ التي حاول فيها الفلاسفة الاوائل جعلها أكثر صلابة، لكن مع مرور الوقت أصبحت سائلة، من خلال ظهور مشكلة عويصة، وهي ظهور فقدان المعني وتخدر الوازاع الأخلاقي" العمى الأخلاقي".

العنصـر الأول بمثابة البحث والتعريف بالهولوكوست باعتبارها شرا من الشـرور التي انبثقت من عن المجتمع العقلاني الحديث الصـلب، الذي أسـس مجموعة من الإسـتراتيجيات الجديدة، التي انفصلت عن الماضي، وهي مبادئ الحداثة، التي تأسست في فلسفة التنوير.

أما العنصـــــر الثاني: العقلانية الحديثة والهوكوســـــت، والذي كان عبارة عن عرض لعلاقة الهولوكوســـت بالبيروقراطية والأنظمة الشـــمولية الحديثة باعتبارها من الشـــرور التي كرست العنف في الوقت الراهن، من خلال أحداث العنف التي ظهرت في القرن العشرين.

أما العنصـــر الثالث: المعنون ب الهولوكوســـت والعمى الأخلاقي: والذي كان غايته إظهار التأثير الكبير للهولكوســـــت من الناحية الأخلاقية، والعنف الذي تم باســـــم الإبادة والتطهير في أوروبا ضـــــد الأقليات، كانت نتجه العقلانية الحديثة التي ألغت القيم الأخلاقية داخل المجتمعات الغربية الحديثة والمعاصـــــرة أو مايمســـــيه باومان بعبارة أخرى التخدير الأخلاقي.

الفصل الثالث: الإستهلاك والشر الاقتصادي عند زيجمونت باومان: في هذا الفصل حاولنا إبراز دور المتلازمة الاسـتهلاكية في تكريس الشـر السـائل وتعميقه داخل المجتمعات الراهنة، وممارسـة الإغواء والتشيؤ والسلعنة، وبناء معبد جديد للإنسـان الراهني ووضـعنا فيه ثلاثة عناصر أساسية مقسمة إلى عناصر:

العنصـر الأول: المعنون بكوجيتو الاسـتهلاك: وفيه تحول العقل الأوربي الحديث من كوجيتو التفكير والايمان بالعقل إلى كوجيتو الاســتهلاك والجســد، المنبثق من الرؤية المادية الحداثية الغربية الأروبية.

العنصـر الثاني: وهنا قمنا بعرض دور السـلعة في تشـيؤ الإنسـان المعاصـر، من خلال فكرة الموضـة التي تجعل من الإنسـان ناهما للاسـتهلاك باسـتمرار، وأصـبح الإنسـان يقاس وجوده داخل المجتمع بالقدر الكافي الذي يحققه من الإستهلاك في الحياة الاجتماعية.

العنصر الثالث وكان فيه إبراز ما يسمى بالشر الناعم، القائم على السعادة الوهمية التي تدعيها المتلازمة الاستهلاكية، وبالتالي تخلق نوع من السعادة الوهمية، التي تعيش في عالم متعالي بعيد عن الواقع الذي تعشيه في المجتمعات.

الفصل الرابع: المعنون الإعلام والرقابة المعاصرة والشر التقني: والذي وضعناه في أربعة عناصر أساسية متفرعة في داخلها،

العنصر الأول: انفصالية الإعلام عن الحقيقة: حاولنا في هذا العنصر إبراز دور وسائل الاعلام الراهنة بمختلف أنواعها وأنماطها، في تكريس الاستهلاك، من خلال التشجيع المستمر عليه، وتعميق الشرور داخل المجتمعات الراهنة، وفقدان دور القيمة والحقيقة وتأثيرها على البعد الأخلاقي.

العنصر الثاني: المعنون بإلاعلام وصناعة الواقع: والتى تعتبر حسب بارمان من الشرور المتزامنة مع الحياة الراهنة، وهذه الفكرة ذات الصلة بالفيلسوف الفرنسي جان بودريار وجيل ليبوفتسكي، بدور الإعلام وصناعة الواقع في تسعينات القرن الماضي، الواقع من صنع الإعلام كما تريد هذه الوسائل لخدمة أغراض ومصالح معينة، فهو شر ناعم .

العنصر الثالث: العالم الافتراضي والتقوقع حول الذات: وحاولنا في ذلك إبراز السمية التي تغلب على المجتمعات السائلة في وقتنا الراهن، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي المنبثقة عن ظهور الانترنت، وساهمت في خلق مجتمعات جديدة افتراضية تعيش في نرجسية، وتمت من خلالها بناء روابط إنسانية جديدة، مختلفة عن العلاقات الإنسانية القديمة المبنية على المصلحة وإشباع الرغبات والنزوات الذاتية.

العنصر الرابع: الرقابة المعاصرة وتفكيك العلاقات الإنسانية وتزايد الخوف: مشكلة الرقابة مشكلة أثارها الفيلسوف الفرنسي مشال فوكو من خلال كتاب المراقبة والعقاب، لكن طريقة المراقبة تطورت بشكل راهب في الوقت الراهن، وذلك باعتبار المراقبة الراهنة تمارس

الرقابة والدخول في الخصـــوصـــيات دون معرفة الأشـــخاص بذلك، وذلك تم إلغاء الجواز والأسوار العالية والحراس ... إلى البصمات والكاميرات في كل مكان...، مما جعل الخوف متزيدا، فزراعة الشر حسب باومان، لن يتم إلا من خلال غرس مجموعة من الحكايات.

وإذا كان المنهج هو عمود الفكر العلمي عاملة الأكاديمي بشـــكل خاص فإنه مع الفيلسوف زيجمونت باومان، من الأمور الصعبة، زيصعب إيجاد المنهج المناسب لمعالجة القضايا التي يعالجها مسألة الشرعلى وجه التحديد، وذلك بصعوبة مسكه قضيه في الأفكار التي يعالجها، وذلك لكن حاولنا قدر المستطاع والاعتماد :

الاعتماد على المنهج التحليلي في تحليل وعرض الشر السائل في الوقت الراهن، من خلال تتبع مسراته المختلفة، وإبراز التمظهرات التي يظهر فيها الشر السائل.

واعتمدنا أيضا على المنهج المقارن من حين لأخر في إبراز الشر السائل، خاصة مع الشر الصلب، والمقارنة بين مرحلة الحداثة الصلبة والحداثة السائلة، والمراقبة الصلبة عند مشال فوكو، والمراقبة السائلة عند باومان

ومن خلال المعالجة لهذه الأطروحة المعنونة: مصادر الشر السائل في الوقت الراهن عند زيجمونت باومان" اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المتعلقة :

- إلا أنه ما يغلب عن هذه الأطروحة، والاعتماد بشـكل واسـع على المصـــادر الأصلية خاصة المترجمة، لزيجمونت باومان، باعتبارها المصادر الأساسية في البحث، خاصة الكتاب الرئيسي "الشر السائل وغياب اللابديل" الكتاب الأساسي في الأطروحة، مع كتاب الأخلاق في زمان الحداثة السائلة، الحداثة والهولوكوست، ....
- أما المراجع فهي نادرة باسـتثناء العمل الذي قام به حجاج أبو جبر من خلال كتاب نقد العقل العلماني، دراســة مقارنة بين عبد الوهاب لمسـيري و زيجمونت باومان، لها

دور مهم في إبراز بعض من معالم لفكر زيجمونت باومان، بالإضـــافة إلى كتاب المفكر الفرنسي **Pier** Chardonel.

ولقد اعتمدنا على بعض الدارسـات السـابقة ، والتي تتناول صـلب الموضـوع وهي: أطروحة عنوانها: "براديغم السـيولة وتطبيقاته عند زيجمونت باومان" للطالبة عفاف جدرواي من جامعة باتنة، والتي مست بعض نقاط بحثنا، والتي تعتبر هي الدراسـة الوحيدة والسباقة التي تناولت موضوع زيجمونت باومان بشكل واسع، في إبراز الخطوط العريضة لفكر باومان خاصـــة بالطريقة التي انطلق فيها زيجمونت باومان من نقل التقارير على ارض الواقع، وفي العملية والطريقة التاريخية التي حدثت في الغرب من خلال التميز بين مرحلتين اســاســتين وهما مرحلة الحداثة الصـلبة التي انطلقت في فلسـفة التنوير في القرن السـابع عشـر والقرن الثامن عشـــر في أوربا والتي قامت على مجموعة من الأســس أو القوالب الصـــلبة المتينة كالحرية والعقلانية والفردانية والذاتية والتقدم ...، والتي تحولت في انلقت فيمابعد، حيث لم تعد صـلبة قوية متينة كان كان منتظرا منها وأصـبحت سـائلة مائعة تجسـدت في مظاهر الحياة المختلفة التي انتشـــرت فيها مظاهر جديدة جعلت من الحياة الراهنة رخوه أو كما يســـميها باومان بالعيش على الرمال المتحركة التي لاتعرف اليقين والثبات، مع تصـــدع واليقينينات والمعالم الأخلاقية الكبرى التي كان لها دور كبير في الحياة، والتأكيد على بعض التلاقي والإمتداد الفكر الباوماني لبعض الفلاســـفة المعاصـــرين أمثال إدغار موران وعبد الوهاب المسيري وجيل ليبوفتسكي.

ومن بين الصـعوبات والعوائق التي واجهتنا أثناء إعداد هذا البحث المتواضـع، يتمثل أسـاسا في قلة المراجع المتعلقة بموضـوع الأطروحة، خاصـة أنّ فكر زيجمونت باومان جديد على العالم العربي، مما جعلنا نعود باســتمرار بضـــرورة العودة المســتمرة إلى المصـــادر الأساسية التي خلفها باومان، باعتباره من الشخصيات الفلسفية الموسوعية التي فقدها العالم منذ سنوات قليلة فقط.

بالإضــافة إلى التشــعب المعرفي لفكر زيجمونت باومان، المتعدد المصــادر والمناهل الذي يستحيل من خلاله القبض عليه في الأفكار، فهو موسوعي، تتشابك فيه حقول المعرفة المختلفة، الفلسفة علم الاجتماع، الفلسفة السياسية، علم النفس، النقد الأدبي...، لذلك نجده يطوف ويتبحر في حقول معرفية لا تعد ولا تحصى من خلال الاستعارت التي قام بتوظيفها.

الفصل الأول

مقدمات بين الشر السائل والوقت الراهن لدى زيجمونت باومان.

تمهيد

1.الشر السائل وأشكلة المفهوم.

2 . الوقت الراهن وفك الغموض الباومني

3. التقاطعات المعرفية بين الشر السائل والوقت الراهن

نتائج الفصل

تمهيد:

شـهد العالم تغيرت جذرية لا تعد ولا تحصـى في شتى المجالات والميادين، ومن بين هذه التغيرات في مظاهر الحياة، تغير مجموعة من الســـلوكات وظهو معاير مختلفة، التي تؤكد على هذا التغير الجذري، وهي التي تعبر عن شـــرور جديدة تمارس من طرف الأفراد تماشيا مع مستجدات الحالة التي تتغير باستمرار، وهي أشبه بالعيش على الرمال المتحركة، والتى يطلق عليها باومان بالشــرور الســائلة، التي تختلف إختلافا جذريا عن الشــرور التي كانت تمارس في السابق.

ضـــف إلى ذلك نجد فكرة أخرى والمتمثلة في الوقت الراهن من أهم المفاهيم التي اســتقطبت الكثير من الفلاســفة والمفكرين، لما تمتاز به من مشــاكل وقضــايا في مختلف المجالات التي يعاشيها الإنسان ،وبالتالي تعتبر محطة حساسة جدا في تاريخ الفكر الإنساني عموما وفي تاريخ الفكر الفلســفي خصــوصــا، بالنظر إلى الكم الهائل من الأطروحات التي عالجت هذه الأزمات والمشاكل...

ومن بين هذه الأقطاب الفلسفية والاجتماعية التي عالجت هذه القضية نجد الفيلسوف البولندي الأصل الإنجليزي الجنسية زيجمونت باومان، الذي إهتم بالوقت الراهن بشكل واسع لما له من أطروحات فلسـفية حولها، والتي لخصــها في نقطة واحدة سـماها بمرحلة السـيولة التي تحتوى بداخلها على مجموعة من الشرور المختلفة والسلوكات المتناقضة، التي صنعت حياة مخالفة لما هو عليه في الســابق، والذي يســميها باومان بالشــر الســائل الذي غير من ملامح البشــرية، والذي هو عبارة عن تيار جارف يأكل الأخضــر واليابس، والذي يعبر عن عجز الإنســان عن البحث عن بديل جديد للخروج من هذه الدوامة التي يعاشــيها الإنســاني الراهني

ومن هنا نطرح الأسئلة التالية: **ماعلاقة الشر السائل بالوقت الراهن؟**

ماذا نقصد بالشر السائل؟ وماهي مميزاته؟ وهل يوجد شر آخر غير الشر السائل؟ وماذا نقصد بالوقت الراهن؟ وماهي معالمه الأساسية؟

1. مقدمات في الشر السائل:

1.1 .الشّر لغـة:

يعتبر الشـــــر من أهم المفاهيم اللغوية حضـــورا وتدولا في الحياة، عبر مختلف العصـــور التي رافقت التطور البشـــري، لذلك ســنحاول هنا أن نتعرف على بعض التعاريف اللغوية لها، لغرض معنى محدد لها، ومنه نجد الكثير من اللغويين الذين وضـــعوا تعريفا لها ونجد من بينهم:

صاحب قاموس لسان العرب لإبن منظور فيعرف الشر في الجزء في حزء حرف الشين بقوله:" الشّر: السوء ورجل شرير، أي كثير الشر وهو ضد الخير"[1]، وهذا التعريف يدل على فكرة أساسية مفاذها هو أن الخير ضد الشر .(*إبن منظور، لسان العرب* .د.ت, ص 403)

أما صـاحب كتاب المرادفات في غريب القرآن للراغب الأصـفهاني، ويعرف الشـر من خلال التأكيد على أنه فعل مستهجن ويقول": والشر الذي يرغب عنه كلهم، كما أن الخير هو الذي يرغب فيه كلهم"[2]. (*الراغب الأصـــفهاني، المرادفات في غريب القرآن*.د.ت, ص 258) وهذا التعريف غير بعيد تماما عن التعريف الذي قدمه إبن منظور، بالتأكيد أن الشر هو ضد الخير.

أما أصـــحاب الموســوعة الميســرة في الفكر الاجتماعي فيؤكدون على بعض المعاني الخاصـــة بالشــر، لكنها في الأخير تصـــب في قالب وواحد، وهو الســـوء والأذى الذي يخلفه الشر أثناء وبعد الممارسة

---

[1]. إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج3، ص 403.

[2]. الراغب الأصفهاني، المرادفات في غريب القرآن، دار إحياء للتراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، ص 258.

ويشتق الشر من فعل شرر: والشّر: السوء، والفعل للرجل الشرير والمصدر: الشرارة والفعل: شر يشر شرا وشرارة، وقوم أشرار خلاف الأخيار...[1] (*ناشرون، الموسوعة الميسرة في الفكر الإجتماعي* د.ت, ص 219)، وهذا التعريف أيضا يصب في القالب نفسه وهو التأكيد على أن الشر هو ضد الخير، وكل شر بحد ذاته هو عبارة سوء وأذى سواء كان للذات أو الأخر.

1 .2 الشّر اصطلاحا:

الشر بالفرنسية: Mal، وبالانجليزية: Evil أما باللاتينية: Malum.

يعرف أندري لالاتد لالاند في موسوعته الشر Mal فيراه في سياقين السياق الأول بمعنى الصفة Mal adj التي تطلق على لفظ للتقويم غير المؤاتي؛يستعمل في تمييز كل ما يكون فشلا أو لا يحظى بالاستحسان في نسق غائي: "آلة سيئة الصنع، كتاب سيء الوضع، آلة سيئة التشحيم، مخطط سيئ التصور." ومنه فالشر هنا يطلق على كل ما هو سيء لذلك تكون الصفة المقابلة هي Mauvais، فالصفة القديمة Mal لم تعش إلا في بعض التعابير الجاهزة أو في أسماء علم.[2] (*أندريه لا لاند موسوعة لالاند الفلسفية* ,د.ت, ص 764)

والسياق الثاني يطلق عليه Mal ,subst شرّ(أذى، داء، مرض، إلخ) بمعنى عام كل ما هو موضوع إستقباح أو ذم أو لوم ، كل ما يكون وكأن للإرادة الحق في معارضته شرعيا وتعديله، ويرى لالاند أن هنالك ثلاثة أنواع من الشرور وخص كل واحد بميزته؛ وهي الميتافيزيقي الطبيعي والأخلاقي يقول: "يمكن تناول الشر ميتافيزيقا طبيعيا وأخلاقيا، يكمّن الشر الميتافيزيقي في النقص المجرد، الشر، الشر الطبيعي في العذاب، والشر الأخلاقي في الخطيئة."[3](*أندريه لا لاند موسوعة لالاند الفلسفية* ,د.ت, ص 764)

---

[1]ـ ناشرون، الموسوعة الميسرة في الفكر الإجتماعي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2000، ص 219.

[2]– أندريه لا لاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل احمد خليل، منشورات عويدات بيروت–باريس، ط02، 2001، مج 01، ص 764

[3]– المرجع نفسه، ص 764

بالإضافة إلى هذه الأنواع توجد الشرور الطبيعة والشرور البشرية، فإذا كانت الشرور الطبيعة ناتجة عن خيارات بشـــرية خاطئة أخلاقيا فإن الشـــرور البشـــرية اذن تقابل أحيانا بالشرور الطبيعة[1]؛ فالشرور الطبيعة ناتجة عن كوارث من قبيل الزلازل والبراكين... إلخ التي تجعل الإنسان رهين تقلبات القدر وهذا ما سمته العصور السابقة "بشرور الطبيعة"[2](*الخوف السائل ل زيجمونت باومان* د.ت, ص 118) ولكن مع مجيء الحداثة حاولت التخلص من هذه الشرور وترويض الطبيعة بنزع الألوهية عنها باومان:" وبعيدا عن التخلص من التناقض المزمن المزعج المنافي للمنطق، فان فك الســـحر عن الطبيعة قد حقق أثرا قويا مذهلا، إلا وهو التحرر من أفظع الوان الخوف والتحرر من الهلع من إنعدام الأمل عند ملاقاة الشـــر."[3] (*الخوف السائل لزيجمونت باومان* .د.ت, ص 121)

وقد ورد الشر في معجم جميل صليبا بمعنى السوء والفساد "يقال رجل شرّ، أي ذو شر، وهو شر الناس، أي أسوؤهم وأكثرهم فسادا. والشر ضد الخير، لأن الخير يطلق على الوجود على الوجود، أو على حصول كل شيء على كماله، على حين أن الشر يطلق على العدم، أو على نقصان كل شيء عن كماله."[4](*جميل صليبا المعجم الفلسفي-ج3* ,-د.ت, ص 695)

وفي ذات السياق يرد مصطلح الشر في Dictionnaire de philosophie لجاكلين روس Jacqueline Russ في معنى المعانات ويرد أيضـــا في ثلاث معان أخرى ففي المعنى العام كل ما هو موضـــوع حكم بعدم المواءمة أو يقف في طريق كمال الإنســـان ذاته، أما المعنى الميتافيزيقي فهو النقص، أما الأخلاقي فكل ما يتعارض من الصالح والأخلاق والقيم،

---

[1]– تدهوندرتش: دليل أكسفورد للفلسفة، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتصوير، ليبيا، ج01، ص196

[2]– زيجمونت باومان، الخوف الســائل، تر: حجاج أبو جبر، الشـبكة العربية للأبحاث والنشـر، بيروت، ط01، 2017، ص118.

[3]– زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 121.

[4]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ج01، ص 695.

وفي بعض الأحيان يدل على الخطيئة.[1] (*Jacqueline Russ Dictionnaire de philosophie.*، 1991، p169)

ومن وجهة الدين، فإن معصية الله (جنة عدن) تأتي في أعلى قائمة الشرور من خلال مخالفته في التصرفات والأفعال، تليها جريمة قتل الشقيق (قابيل هابيل) والتي يتلوها مقتل الأب، وقتل الأم والوأد وتدنيس الأبرياء أسفل القائمة يأتي التعذيب والقسوة والاستبعاد والفوضى والقتل العمد والإغتصاب والإعتداء والضرب ضد الأشخاص، ويضاف إلى القائمة جرائم ضد الإنسانية، مثل الحرية والكرامة والاختيار الشخصي، وكذلك القيم الأخلاقية والمعنوية والحقوق المعنوية بما في ذلك الألقاب وأخيرا العواطف.[2](*ديفيد هاوكينز، الانا الواقعية والذاتية*, د.ت, ص 238)

ويقول لالاند من جهة أخرى على أن الشر "أذى، داء، مرض... وهو اسم أذى قومه الظلم أو الخطأ، بمعنى عام فهو كل ما هو موضوع استقباح أو ذم ولوم، وكل ما يكون، وكأن للإرادة الحق في معارضته شرعيا وتعديله إذا أمكن وبنحو خاص، فهو شر أخلاقي وأذى هو المعنى دوما معنى الكلمة في تعبير ضع"[3](*أندريه لا لاند موسوعة لالاند الفلسفية*, د.ت, ص 764)

2. تعريف الشر فلسفيا:

كانت القضايا الرئيسية التي ناقشها الفلاسفة حول موضوع الشر هي: هل يجب أن نستخدم مصطلح "الشر" في خطابنا وتفكيرنا الأخلاقي والسياسي والقانوني، أم أن الشر مفهوم قديم أو فارغ يجب التخلي عنه؟ ما هي العلاقة بين الشر والمفاهيم الأخلاقية الأخرى مثل الشر والظلم؟ ما هي الشروط اللازمة والكافية للفعل المنكر؟ ما هي الشروط اللازمة والكافية لسوء الشخصية؟ ما هي العلاقة بين الفعل الشرير والشخصية الشريرة؟ ما هي أنواع

---

[1]–Jacqueline Russ : Dictionnaire de philosophie, Bordas, Paris 1991, 169

[2] ـ ديفيد هاوكينز، الانا الواقعية والذاتية، ترجمة: حسين محمد، دار الخيال، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص 238

[3] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص764.

الأفعال والشخصيات الشريرة التي يمكن أن توجد؟ ما هو التحليل الصحيح للمفاهيم المشتقة مثل مؤسسة الشر يميل الشر بالمعنى الواسع، الذي يشمل جميع الشرور الطبيعية والأخلاقية إلى أن يكون نوع الشر المشار إليه في السياقات اللاهوتية، كما هو الحال في المناقشات حول مشكلة الشر، وهي في الأساس مشكلة تفسير الشر في عالم خلقه إله كلي القدرة، كلي المعرفة، كلي الصلاح. يبدو أنه إذا كان الخالق يمتلك هذه الصفات، فلن يكون هناك شر في العالم. لكن هناك شر في العالم. وبالتالي، هناك سبب للإعتقاد بعدم وجود خالق كلي القدرة وكلي المعرفة والصالح .على النقيض من المفهوم الواسع للشر، فإن المفهوم الضيق للشر ينتقي فقط أكثر أنواع الأفعال والشخصيات والأحداث حقيرًا أخلاقياً وما إلى ذلك بما أن المفهوم الضيق للشر ينطوي على إدانة أخلاقية، فإنه يُنسب بشكل مناسب فقط إلى الفاعلين الأخلاقيين وأفعالهم. على سبيل المثال، إذا كان البشر هم فقط وكلاء أخلاقيين فعندئذٍ فقط يمكن للبشر القيام بأعمال شريرة. غالبًا ما يُقصد بالشر بهذا المعنى الضيق عند استخدام مصطلح "الشر" في السياقات الأخلاقية والسياسية والقانونية المعاصرة. سيركز هذا الإدخال على الشر بهذا المعنى الضيق.

1.2.عند أغسطين:

يعتبر القديس أوغسطين من أشهر الفلاسفة الذين تناولوا مسألة الشر عبر تاريخ الفكر الفلسفي، وأغلب الدراسات الفلسفية لمسالة الشر تعود إليه، ويظهر ذلك الإسهام من خلال كتابه الشهير "مدينة الله"، الذي يحدد فيه الأصول الأولى لمسألة الشر في الحياة الإنسانية فيقول: "خلق الله الإنسان مستقيما، لأنه خالق الطبيعة دون ألم، ولكن الإنسان خطأ بحريته فعوقب بعدل وانتقل إلى ذريته فساد العقاب"[1] (*القديس أوغسطين، مدينة الله، تر يوحنا الحلو، ج2*, د.ت, ص 26) في هذا التعريف يظهر أن أوغسطين يصرح بفكرة الخطيئة الأولى التي

[1] – القديس أوغسطين، مدينة الله، تر: يوحنا الحلو، ج2، دار المشرق، بيروت، 2006، ص26.

كانت في الجنة، من خلال فعلة النبي آدم، والتي انتقلت إلى أبنائه، ومنه الشـــــر ينتقل بين جميع البشر.

لذلك يؤكد أغســـطين أن مصـــدر الشـــر في الحياة يعود إلى الإنســـان، من خلال الإنحراف الذي من خلاله يخالف الإنســـان أوامر الله، وذلك بســـبب تخلى الإنســـان عن الأسـمى "" الله"" إلى الكائن الأسـفل، وذلك بفعل التمرد القائم في الإرادة الحرة للإنسـان الذي هو عبارة عن كائن بإمكانه إختيار الأفعال التي يمارســـها[1]، وعليه الشـــرور الأخلاقية عند أغسطين من نبع إرادة الإنسان ، له القادرة الكاملة في العصيان والتمرد على الأوامر الإلهية[2]

كما يوجد نقيض آخر للشر وهو الخير، من خلال الصراع الموجود بينهما في الحياة فيقول: "والغاية من الشـــر ما يتجنبه بكليته في حد ذاته وعلى هذا النوع إننا نعني بالخير ما يحققه لوصوله إلى كماله، لا ما يقضي عليه نهائيا، كما أن غاية الشر ما يوصله من الأذى إلى الذروة، هاتان الغايتان هما الخير الأسـمى والشـر الأسـمى"[3]، (*القديس أوغسطين، مدينة الله، تر يوحنا الحلو، ج2* .د.ت, ص 126) وعليه هذه هي الثنائية التي تصارع حياة الإنسان.

الخير هو محاولة الإنسان الدائمة من أجل مسايرة مقتضى القانون الإلهي الطبيعي، لا ســـيما فكرة الشـــر فهي عند أوغســـطين مخالفة القانون الإلهي منه كان الخير هو غاية الوجود الأســـمى، بينما الشـــر من ســـلبيات وممارســـات الإنســـان لحريته وتجاهل الأوامر الإلهية.[4](كامل عويضة، *الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى* د.ت, ص 58)

وعليه فمختلف الشرور التي يمارسها الإنسان هو تعبيرا صارحا على الحرية المطلقة التى يتمتع في الحياة، و ينفى أي دور للإله في تلك الشرور، ومنه نستنتج كل الشرور هي

---

[1] ـ كحول سعودي، مكانة الحدس في فلسفة القديس أغسطين، أطروحة دكتوارة دولة، جامعة عبد الحيد مهري قسنطينة 2، سنة2017، ص 185.
[2] ـ المرجع نفيسه، صفحة نفيها.
[3] – القديس أوغسطين، مدينة الله، ص126.
[4] – كامل عويضة، الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، 58.

التعبير السـيء للانسـان للحرية المطلقة التي يمتلكها في أفعاله، بكل إختصـار الشـر عند أغسطين نابع عن فساد الإرادة[1]

2.2. عند حنة أرندت:

ومن أشـهر من أثار مشـكلة الشـر في الوقت المعاصـر، نجد الفيلسـوفة الألمانية حنة أرندت في كتابها (إيخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشـر)، والتي تؤكد على أن مصـطلح تفاهة الشــر، وتسـتنتج أن الشــر ليس جذريا مثل الخير، ولا يمكن أن يكون في واقع الأمر مادام يمثل سـواد القانون على الحق، والسـلطة على الذات، فهي ترى وتؤكد أن الشــر هو تدمير لكل عظمة، وهذه الفكرة مغايرة تماما لتعاليم يسـوع.[2] (*الان تورين، الحداثة المتجددة* ,د.ت, ص 70)

حتّا أرندت من أعمدة الفكر الفلسـفي المعاصـر، ومن أبرز الفلاسـفة الذين عالجوا مشـكلة الشـر عبر التاريخ من خلال محاولة التخلص من الطرح الكلاسـيكي الميتافيزيقي للشر، إلى محاولة جديدة تتمثل في فهم جديد للشر من خلال ربطه بالأفعال الإرادية (ساحة السياسة) للإنسان.

وقد حاولت أرندت فهم الشـر من خلال العودة إلى الأصـول الفلسـفية الأولى للشـر خاصـة عند كل من القديس أوغسـطين وكانط، ويعتبر كتابها "إيخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشر" الكتاب الرئيسي الذي عالجت فيه مشكلة الشر.

فقد أخذت أرندت من خلالها حضـــورها في المحكمة أثناء محاكمة إيخمان على أن الشر هو ليس كيان جذري في الفرد، وإنما يعبر الشر عن تخلي الإنسان فيه عن أهم صفاته وخصـــائصـــه البشـــرية وهي عملية التدبر والتفكير، لذلك كان الشـــر من الأمور التافهة والسطحية، وايخمان هو من الشخصيات القيادية في الجيش النازي في مرحلة الحرب العالمية

---

[1] ـ كحول سعودي، الشر الأخلاقي عند أغسطين، مجلة منيرفا، المجلد5، العدد2، فيفري 2021-، ص 18.

[2] – ألان توران، الحداثة المتجددة نحو مجتمعات أكثر إنسانية، ترجمه: جلال بدلة، دار الساقي، بيروت لبنان، ط1 2020، ص 70.

الثانية، وكان أثناء المحاكمة التي تمت في إسرائيل، كل إجابته حول الأسئلة التي طرحت له، أنه كان يقوم بالواجب فقط، من خلال تطبيق التعليمات التي كانت تملى عليه من طرف القيادات العليا.

وقد إعتبرت أن إيخمان من أهم النماذج التي تعبر عن الشر التافه، من خلال تخلى إيخمان عن إنسانيته، وتمسكه والتزامه بالأوامر الإدارية السياسية التي يتلقاها من السلطات العليا النازية، وهنا شخصية إيخمان وكأنه آلة ميكانيكية تسير وفق برنامج معين دون تفكير وتدبر لأن الإنسان الحقيقي الذي يتدبر هو إنسان يحمل الخير، حيث إعتبرت أن العنف والتطرف ليس من الأفعال الراديكالية في الإنسان، بل الراديكالية الحقيقية في الإنسان هي الخير وكلما كان الإنسان يفكر تفكيرا سطحيا كلما كان تفكيره تافها حيث تقول: "أعتقد صراحة أن الشر لم يكن راديكاليا قط، وإنما كان شرا إلى أقصى حد".[1] (*حنة أرندت، إيخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشر* ,.د.ت, ص 58)

وعليه فغياب فكر وعقل الفاعل "الشرير" يترتب عنه الكثير من الأمور، خاصة بعد غياب الفهم الصحيح، وغياب الإرادة والحرية، ما يجعل الإنسان يصل إلى هذه الشرور التافهة السطحية، وتعبر على ذلك في كتابها "الفكر السياسي" الذي يصدر الأوامر من الأعلى إلى الأسفل دون مناقشة فتقول: "فهي تنظم حياة أعضائها بحسب معتقد سري ومتوهم، بحيث الأشياء كلها مختلفة عما هي، كما تعتمد على استراتيجية للكذب متماسكة في سبيل أن تظل الجماهير الغير الملقنة، كما أنها تفرض الطاعة العمياء على أعضائها"[2] (*اسس التوتاليتارية حنة أرندت* ,.د.ت, ص 124) وهذا بالضبط الأمر الذي حدث في ألمانيا النازية في القرن 20.

---

[1]– حنة أرندت، إيخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشر، تر: نادرة السنوسي، الجزائر، 2014، ص58.

[2]– حنة أرندت، اسس التوتالتارية، تر: أنطوان أبو زيد، دار الساقي، لبنان، بيروت، ط2، 2016، ص124.

كانت أرندت من أبرز الحضـــور في محاكمة ايخمان في القدس، الذي كان من أبرز القادة الذي نفذوا المجازر في حق الأبرياء في حقبة الحرب العالمية الثانية، ومن أبرز القادة المخلصين للنظام النازي، والذي حاولت من خلاله حنا أرندت الربط بين هذا الانسان باعتباره موظف في الحكم النازي بأعلى الرتب، ومن جهة أخرى هو إنســـان يمتلك بعد أخلاقي انساني.

ومن خلال ذلك التقرير، توصلت إلى فكرة أساسية مفادها هي أن ايخمان مجرد شخص تافه لا يجيد إلا لغة واحدة وهي لغة الإدارة، وحتى أنه لا يتقن الكلام أساسا، وهذا هو نموذج الشر التافه الذي يتهرب من بعده الأخلاقي، وكما أنه تخلى عن شرطه المتمثل في التفكير والتدبير، وكل هذه كان من أجل الدفاع عن النفس فقط:" إن اللغة الإدارية هي الوحيدة التي صـــار يعرفها، لأنه كان عاجزا عن التفوه بكلمه، وإلا كانت مبتذله"[1](*حنة أرندت، إيخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشر* ,د.ت, ص 58)

ومنه حسب أرندت ايخمان وحتى إن كان مجرما نازيا ارتكب الجرائم في حق الملاين من الأبرياء إلى أنه مجرد موظف بيروقراطي في نظام شمولي يطيع الأوامر النازية التي هي صنيعة سياسة لنظام شمولي، وبذلك مثل هذا النظام الشر السياسي في القرن العشرين، كانت نتائجة مروعة ومخيفة في حق الملايين من اليهود:" فما قام به لم يكن ســـوى جرم بالتقادم، وقد كان دائما مواطنا محترما للقانون، إذ من الأكيد أن أوامر هتلر التي نفذها بكل مالدية من جهد كانت بمثابة سلطة القانون"[2].(*حنا ارندت، ايخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشر* ,.د.ت, ص 251)

من بين الأمور الأخلاقية التي كرســـها المجتمع البروقراطي الحديث في الغرب، يتجلى في ذلك التباعد في المســافة الأخلاقية بين أصـحاب النويا وأصـحاب الأفعال الذين ينفذون أوامر أصحاب النوايا، وأنّ الشخص الذي ينوي فعل شيء معين هو في مكان معين،

---

1. حنا ارندت، ايخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشر،ص 58.
2. حنا ارندت، ايخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشر ، ص 251.

والشـــــخص الذي مهمته تنفيذ تلك النوايا أشـــــخاص أخرين، وبذلك يحدث نوع من التهرب الأخلاقي في المحاسبة، منه كل شخص يدعى البراءة في الحادثة، وهذا ماحدث بالضبط في الهولوكوست التي قامت بها النازية ضد اليهود الألمان، فكل شخص يتعبر نفسه غير مذنب ويجد نفسـه برئ، صـاحب النوايا ينكر الفعل على أرض الواقع، بينما الفاعل الذي قام بتنفيذ الفعل على أرض الواقع يقول أنـه مجرد عـامل تلقى الأوامر فقط وإنتهى الأمر[1]. (*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,.د.ت, ص 81)

من أهم النتائج التي تحصـــــلت عليها حنا أرندت في التقرير أثناء المحاكمة هي الوصول إلى فكرة تظهر أن الشـر ليس كيان جذري في الإنسـان، وإنما الشـر هو سـطحي وهامشـي يتجلى من خلال تخلى الإنسـان عن أهم السـمات الأسـاسـية التي يتميز بها البشر، والمتمثلة في التفكير والتدبر، و ايخمان هو إنسان يمثل الشر التافه، وتتجلى هذه التفاهة في تخليه عن إنسانية وتمسكه بالأوامر الإدارية فقط.

3. الشر عند زيجمونت باومان

لقد أفرد زيجمونت باومان وليونيداس دونســـكيس كتابا في غاية الأهمية كتاب بعنوان **الشر السائل(العيش مع اللابديل) Liquid evil, living with the irreplaceable**، الذي هو عبارة عن كتاب ضـمن سـلسـلة السـيولة، ويقدم فيه الملامح الأسـاسـية للشـر السـائل، في زمان أصبح فيه الإنسان المعاصر عاجزا عن إيجاد البديل، للأزمة الحادة التي يعشيها.

عن علاقة الشــر في الحياة الإنســانية فيقولان في كتاب الشــر الســائل والعيش مع اللابديل: "يمكن النظر إلى الشر على أنه رفيق دائم دائم وأصيل للوضـع البشري"[2] (*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل*._2017, ص 19) مما يبين أن الشــر مقرون بالحياة الإنســانية في كل المراحل

---

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص 81.

[2]– زيجمونت باومان وليونيداس دونسـكوس، الشـر السـائل، العيش مع اللابديل، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشـكبة العربية للابحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص 19

التاريخية التي عاشـها الإنسـان، وعليه الشـر هو الأفكار التي سـيرت تطور الإنسـان، فلا يمكن دراسة مجتمع معين دون الولوج إلى فكرة الشر.

وبالتالي في كل مجتمع بشـري يحتوى على الشـر، ولكن الشـر الراهن عند باومان يختلف تمام الاختلاف عن الشـر في الأزمنة السـابقة: "ولكن أشـكاله وتجلياته، لاسـيما في صـورتها الحالية الخاضـعة لحالة السـيولة إنما هي ظواهر جديدة كل الجدة، أنها تسـتحق معالجة خاصة تتمحور حول جدتها بالتحديد"[1] (*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل*_2017, ص 19).

من خلال التميز بين الشـر الطبيعي والشـر الأخلاقي، الذي يؤكد على فكرة مفاذها وهو الشر السائل هو شر من نوع خاص في التمظهرات الواقعية، يختلف تمام الاختلاف عن الشرور السابقة من حيث أشكاله وضرباته للإنسان.

يتسـأل زيجمونت باومان أسـاسـا عن معنى الشـر وكيفيه فهمه على أحسـن وجه، ويرى أن الشـر السـائل يرتدي ثوبين، ثوب الخير وثوب الحب، بعكس الشـر الصـلب، الذي يقوم وفق الرؤية الاجتماعية التي ترى الأمور من خلال اللونين الأبيض والأسـود بعبارت:" إن الشـر السـائل يسـتعرض نفسـه وكأنه تقدم الحياة المحايد والمتجرد من الأهواء، وكأنه السـرعة الغير المسـبوقة للحياة والتغيرالإجتماعي بما ينطوى عليه من نسـيان، وفقدان للذاكرة الأخلاقية/ كما أن الشر السائل يرتدى عباءة غياب البديل"[2] (*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل*_ ,د.ت, ص 24)

وبين باومان فكرة مهمة أن الشـر من الأفكار الأكثر اسـتعصـاءا على الفهم لأن خصـائص الشـر هو الضـبابية وسـوء الفهم:" فالشـر هو ما يتحدى القدرة على الفهم"[3] (*الخوف السائل ل زيجمونت باومان 2016* ص 85) لذلك كانت محاولات الإنسان هي التخفيف من الشر.

---

[1]– زيجمونت باومان وليونيداس دونسكوس، الشر السائل، العيش مع اللابديل، ص 19.

[2]– زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع اللابديل، ص 24.

[3]ـــــ زيجمونت باومان، الخوف السـائل، ترجمه حجاج أبو جبر، الشـبكة العربية للابحاث والنشـر، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص 85

يلخص ليونيداس دونسكيس مفهوم الشر السائل عند زيجمونت باومان في قوله: "إن الثالوث غير المقدس للمكونات الأساسية التي يتألف منها الشر السائل (الإنتشار، والتحرر من القيود والضوابط والخصخصة التي تصفها في حديثك بأنها (إسالة الشر) هو قريب جدا من يمكن أن نسميه طغيان إقتصاد لا يمكن فصله عن النزعة اللاشخصية العقلانية التي سأتحدث عنها هنا"[1].(*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل*, 2017, ص 78)

يشير زيجمونت باومان مع ليونيداس دونسكيس في فقرة مهمة جدا يلخص فيها بشكل واسع مفهوم الشر السائل فيقولان في هذه الفقرة ما يلي: "ويدور حوارنا حول الشر في صوراته الحديثة السائلة على وجه الخصوص، وهي صورة تكون أكثر رهبة وخطورة من التجليات التاريخية الأخرى للشر، لأنها تتسم بالتمزق والتفكك والانفصال والانتشار، إنها تختلف بشدة عن الصورة السابقة التي كانت تتسم بالتركيز والتكثيف والتمركز، وبذلك فإن الشر الحالي السيال لا تدركه الأبصار، ويتوارى عن الأنظار، ويخفي طبيعته وما ينذر به إن الشر السائل قدرة رهيبة على ارتداء أقنعه فعالة، وعلى حشد الهواجس والرغبات الإنسانية في خدمته تحت دعاوى زائفة، ولكنها دعاوى يصعب للغاية دحضها وإثبات زيفها، وما أكثر المتطوعين لخدمته[2]. (*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل*,2017 ص 20)

ويربط باومان فكرة الشر بفكرة الخوف، ويشير إليها على أنهما توأمان متلاصقان فيما بينهما: "الشر والخوف كالتوائم السامية المتلاصقة، لا يمكنك ملاقاة أحدهما دون لقاء الآخر، وقد يكونان إسمين مختلفين لتجربة واحدة ، حيث يشير أحدهما إلى ما تراه أو تسمعه، والآخر إلى ما تشعر به "[3](*-زيجمونت باومان، الخوف السائل*, ص 85)، أحدهما يشير إلى الجانب الداخلي والأخر يشير إلى الجانب الخارجي.

---

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع للابديل، ص 78.

[2]– زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع اللابديل، ص 20.

[3]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيرون لبنان، ط1 ص85

النقطة الأساسية التي يشير إليها تتمثل في ضرورة الوقوف عند هذا النوع الجديد من الشر وضرورة البحث عن مختلف أسبابه وجذوره...: "وهذا ما نسعى إليه في هذا الكتاب، إننا نحاول أن نرسم صورة لأشد مصادر الشر السائل في الوقت الراهن، وأن نتتبع، إذا ما استطاعنا إلى ذلك سبيلا، مساراته في المرحلة الحالية من مجمعتنا الاستهلاكي الحديث السائل، المتحرر من التنظيم والمفتقر إلى النظام، والخاضع للتشرذم والتفكك والانفصال والنزعة الفردية والخصخصة..." [1] (*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل* ,د.ت, ص 19-20)

يرى باومان أن الشر السائل، موجود في أبنيه اجتماعية ظالمة تساهم في قهر منظومة اجتماعية أخرى، لتحقيق البقاء لها: "إنه الشر متجسدا في أبنيه اجتماعية ظالمة وهي أبنيه لا يمكن أن تكون أساس الأمل في مستقبل أفضل"[2](*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل* ص 69)، ويتجلي بوضح أنه لن يتم بناء رحابة إنسانية أفضل دون القضاء على الشر المتجذر في طبقات المجتمع الظالمة.

يربط فكرة الشر بالأساس بفكرة الخلل الذي لا يمكن فهمه، والخلل الذي لا يمكن التعبير عنه بوضوح، بالإضافة إلى العجز عن تفسر وجوده على أكمل وجه في الواقع، فكل خلل يمكن تسميته شرا، لأنه لا يمكننا فهمه والتعبير عليه وتفسيره[3]. (*الخوف السائل ل زيجمونت باومان*,, ص 85) فكل ما لا يستطيع الإنسان الوصول إليه والخوف منه باستمرار، يعتبر شرا من الشرور التي لا يمكن التنبؤ بها، ومنه تحول الشر السائل إلى هاجس وكابوس للانسان الحالي، يستعصى التخلص منه.

يقدم زيجمونت باومان تعريفا أخر دقيقا للشر السائل، وهو تعريف أشبه ما يكون قريبا إلى التخصصات العلمية الدقيقة كا الفيزياء، خاصة عندما يتكلم عليه في الحالات الفيزيائية

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل، ص ص19-20.

[2]- المصدر نفسه، ص 69.

[3]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 85.

المختلفة: "يتمتع الشر السائل، مثل كل السوائل بقدرة عالية رهيبة على الالتفاف على العوائق التي قد تظهر أو قدر تعترض، فهو مثل كل الســـوائل الأخرى يتســـرب إلى هذه العوائق ويربطها وينقعها، وغالبا ما يعمل على تآكلها وإذابتها، ثم يمتص المادة المذابة ليزداد قوة إلى قوته الأصلية، وهذه القدرة إضافة إلى القدرة على المراوغة، تزيد من صعوبة المقاومة الفعالة للشر السائل، فقد توغل الشر في نسيج الحياة اليومية وترسخ في قلبها، وعندما يجري تحديده (إذا جرى تحديده أصـــلا) فإنه يجعل كل الصـــور البديلة للحياة تبدو غير معقولة، بل وغير حقيقة، فالســـم القاتل يصـــور نفســـه بصـــورة مخادعة على أنه ترياق منقذ للحياة من شـــقاء الحياة"[1] (*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل*,ص 21).

الشر السائل حسبه يتصف بالحركة المستمرة، وينتشر في جميع أرجاء وأنماط الحياة الراهنة، وبالتالي الشر السائل يكمن في حياتنا اليومية من خلال التصرفات والسلوكات التي نقوم بها، والحياة الراهنة تتعايش مع كل أنواع الشـــر، ومنه يصـــعب علينا تحديد المعالم الواضـــحة له، والشـــر الســـائل هو عبارة عن شـــيطان كبير يقبع في الحياة الراهنة، وبالتالي حسـب التعريف الأخير الذى قدمه باومان يظهر لنا أنه لا نسـتطيع أن نفصـل الحياة الراهنة عن الشر، وسمة الحياة الراهنة هو وجود الشر المتحرك.

يتمتع الشر السائل حسب باومان باختراق كل شئ في الحياة الاجتماعية الراهنة دون خوف وحواجز وضـــوابط: "الشـــر يتربص بكل ثقب أســـود من الثقوب اللانهائية للفضـــاء الاجتماعي المتحرر من القيود، ذلك الفضـــاء الذي حلت فيه المنافســـة الشـــرســـة والعدواة المتبادلة محل التعاون والتضـامن، كما أنّ سـطوة النزعة الفردية تقوض قوة الروابط الإنسـانية"[2](*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل*ص 60))

---

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع اللابديل ، ص 21.

[2]ـ المصدر نفسه، ص 60.

يضـــيف نقطة مهمة جدا عن الخصـــائص الكبيرة التي يتمتع بها الشـــر في الوقت الراهن، والمتمثل في ظهور منطق جديد للشـــر، من خلال الإنســـجام الكبير مع الحياة الاجتماعية والسـياســة الحالية، وهذا النوع من الشـر يعيش في سـلام وأمان، ويتغلغل في الحياة دون مقاومة: "لقد وجد الشـــر ملاذه في طبقات القماش الذي ينســـجه كل يوم النمط الحديث السائل للتجارة والمعاملات، في نسيج العيش الإنساني المشترك ومسار إعادة انتاجه اليومي، فالشـر اليوم يسـكن في بيوت آمنه، ويصـعب تحديد موقعه وكشـفه وإخراجه وطرده، إنه يظهر فجأة بلا سـابق إنذار، ويضـرب بعشـوائية بلا منطق ولا نظام، والنتيجة هي بيئة إجتماعية تشبه حقل ألغام نعلم أنه زاخر بالمواد المتفجرة، ونعلم يقينا أن المتفجرات ستنفجر عاجلا أم آجلا، لكننا لا نسـطيع أن نخمن زمان انفجارها ولا مكانه"[1] (*الشرّ السائل - العيش مع اللابديل*,, ص 60)

من بين المتلازمات المقترنة بفكرة الشر، هو الإقتران الكبير بمفهوم الشيطان بإعتبار أن الشيطان هو رمز الشر والدافع الأساسي نحو الخطيئة ومحو الإفساد وغيرها من الأمور، خاصـة في الماضـي، وبالتالي هنا الشيطان سيكون من بين الأسباب الخفية والغير المباشرة في التوسيع الراهني للشر خاصـة في مجال السياسـة: "ولهذا فإن الشيطان في السياسة ليس مجرد خيالات، بل إنه يتجسد في أشكال كثيرة، أحدهما في هدم وتدمير نظام أخلاقي كوني أو على الأقل نظام أخلاقي قابل للحياة والنمو والتطبيق[2].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ص 49)

بالتالي فالمفارقة الكامنة وراء الشر السائل هو في التدمير الأخلاقي على المجتمعات الراهنة، حيث يحاول الشيطان قدر المستطاع إبعاد الإنسان عن فكرة الأخلاقي، وعن أصوله الأخلاقية: "بيد أن الشـــيطان قد يظهر على أنه فقدان للذاكرة والحس الأخلاقي[3]، وهذا ما

---

[1]– زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع اللابديل ، ص 60.

[2]– المصدر نفسه، 49.

[3]ـــ يقدم لنا زيجمونت باومان مع ليونيداس دونسكيس، مثلا حيا الدولة التي تمتلك أكبر قدر من المفكرين الذين استطاعو فهم ضياع اللابديل وفقدان الذاكرة الاخلاقية في الجتمعات المعاصرة، التي تخلت عن جذورها الاخلاقية متمثلة في روسيا

يؤدي إلى هذيان جماعي شـــامل بمحاولة إنكار الأخلاق وكل القواعد والضـــوابط الأخلاقية التى انتشرت في السابق"[1](*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*,. ص 49)

في منظومة الشـــر الســـائل يتخفى الشـــيطان بشـــكل فضـــيع ومرعب، عند محاولته للقضـــاء على كل الإرث الأخلاقي القديم الذي يمتلكه الإنســـان في تاريخه الســـابق، وبالتالي عندما يتم تجريد الإنســـان من أخلاقيته يتم تجرديه من إنســـانيه:" يســـتطيع الشـــر أن يجرد الإنسـان–المحكوم عليه بأن لا يكون إنسـانا ولا كيانا– من الذاكرة، فإذا ما فقد الناس الذاكرة فانهم يعجزون عن نقد أنفســـــهم والعالم من حولهم، وإذا ما فقدوا قوى الفردية والترابط، فإنهم يفقدون حسهم الأخلاقي والسياسي الأصيل، بل يفقدون إحساسهم بالبشر"[2]. (*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*, ص 50)

يضـيف نقطة في غاية الأهمية والتي تعبر عن الشـر السـائل، وهي في النفاق الكبير لدى الطبقة الســياســية الذين لا يمتلكون الحس الأخلاقي دون وعي، ودون مراعاة لمختلف طبقات المجتمع: "ولكن ثمة ظاهرة أخرى مزعجة ومترسخة للغاية في أشكال الشر السائل ألا وهي ظاهرة الانتهازيين السياسيين اللأخلاقين الذين يتوارون في هيئة الشهداء والمنشقين ممن ينظرون إلى الفاشية والقومية الرادكالية أو أية صورة مشابهة من صور ازدراء الحرية والكرامة الإنســـــانية على أنها مجرد إمكانية أذهلت البورجوازية، وينم هذا الموقف عن عار وفراغ أخلاقيين شاملين"[3].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل 2017* , ص 52)

يســتشــهد زيجمونت باومان برواية أخرى يعبر فيها عن الشـــر بطريقة أخرى تتمثل في زرع ونشـــر الخوف في المجتمع، التى هي عبارة عن رواية كتبها ميخائيل بولجاروف بعنوان

التي فقدت ذاكرتها الاخلاقية بشكل كبير جدا:" وهذان الجانبان تمثلهما بكل براعة روسيا الحديثة، فهي الدولة التي شعر كتابها بقوة، وصـــفوا ببراعة لمســـة الشـــر الراديكالي الذي يكمن جوهره في رفض معتمد لقيمة الانســـان والكرامة والذاكرة والاحساس وقوي الترابط والتراحم".. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[1]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 50.

[3]– المصدر نفسه ، ص 52.

"المعلم ومارغاريتا"، وفيها يصور على أن الخوف هو مصدر للشر، بالخوف يكون خيانة الصديق وفيه يكون أيضا عدم إخلاص الأشخاص والمحسنين في تعاملاتهما، والخوف هو أهم الأسباب التي تؤدي إلى عدم تحمل المسؤولية في علاقتنا ....[1].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 129)

يلخص باومان فلسفة الحداثة السائلة التي هي نفسها الوقت الراهن من خلال فكرة التسوق التي تستحوذ على الإنسان السائل، وهي الفكرة التي تعبر عن الانتقال من مجتمع الصلابة إلى مجتمع السيولة، فيقول فيها: "التفسيرات السائدة للتسوق القهري على أنه أحد مظاهر ثورة القيم في عصر ما بعد الحداثة والميل إلى تصوير إدمان التسوق باعتباره أحد التجليات الواضحة للغرائز النائمة التي تقوم عليها الفلسفة المادية ومذهب اللذة..."[2] (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 123)

1.3. بين الشر السائل والشر الصلب:

ينطلق زيجمونت باومان في عملية المقارنة بين الشر السائل والشر الصلب من خلال استعارة واضحة في المجال الادبي، من خلال اهم الروايات التي عبرت عن الحياة في مرحلة الحداثة الصلبة، والحياة في الحداثة السائلة من خلال شخصيتي جورج أورويل[3] وكافكا، فيقول في هذا الصدد: "إن التحول الكبير من عالم فرانز كافكا إلى عالم جورج أوريل، يمثل

---

[1]- المصدر نفسه، ص 129

[2]- زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 123.

[3]- وبين في نقطة مهمة جدا من كتاب الشر الشر السائل في الصفحة 97، بأن هذه الرواية تعبر عن حياتنا الراهنة ولها صلة واسعة بواقعنا الحالي:" لقد صارت رواية جورج اووريلو1984 ومفرداتها أشد صلة بواقعنا من أي وقت مضي" ويصفه في عبارة اخرى أنه نبي الحقيقي للوضع الراهن الذي نعيشه من خلال نبوائته حول ماوصلنا اليه اليوم:" لقد صارت تنبوائته الثاقبة تاريخا واقعيا علىلا سبيل المثال رؤية السواداوية لموت الخصوصية واستعمار الحياة الجنسية الانسانية والسيطرة النهائية على الناس عبر طغيان شاشة التلفزيون ، ولهذا سيبقي جورج اووريل في الذاكرة باعتباره نبيا حقيقيا لوضعنا الراهن. لقد فاق جورج اووريل غيره في التنبؤ بالبوتنية باعتبارها فاشية ومنظومة اجرامية سياسية لا اديولوجيا لها". زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 116.

الخط الفاصل بين الشر الصلب والشر السائل، ففي عالم كافكا قبل الحرب العالمية، وربما قد نفشل في فهم السبب الذي إستدعى أن يحدث ذلك وطريقة حدوثه،... وفي عالم جورج اورويل لانفهم السبب، ولا الكيفية، بل لا نستطيع أن نفعل شيء يذكر، وربما لا نسطيع أن نفعل شيء، فليس هناك ما يديل أبدا، إفعل الشر بنفسك، هذا هو منطق الشر السائل، وأنت تفعل ذلك، وهم يجعلونك تفعل ذلك بنفسك"[1]، ومنه نجد أن جورج كافكا يمثل الشر الصلب في العصر الحديث، بينما جورج أورويل يمثل الشر السائل، من خلال الحرية التامة في كل شي، يعني إفعل الشر بنفسك.(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,, ص 116)

مفهوم الشر عندنا في الوقت الراهن يختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الشر عند أجددنا(أجدده يقصد هنا الأوربيون، والغرب بصفة عامة) يتمثل أساسا في الإقرار على أنه نتيجة من نتائج إرتكاب الآثام المختلفة، وبذلك يكون هناك عقاب على ذلك الإثم، والسبب في الوقوع في ذلك الشر يتمثل أساسا في عدم إتباع الوصايا الإلهية دون تردد وخوف وبذلك تعودوا على تفضيل الخير على الشر: " فأي شر في الكون كان من الممكن عزوه إلى البشر إلى خطاياهم وأفكارهم الأثمة، وهكذا كان وجود الشر في أساسه مشكلة أخلاقية"[2].(*الخوف السائل ل زيجمونت باومان*, ص 86)

كان الإنسان في الماضي يسعى باستمرار إلى فعل الحصانة من الشر من خلال الوقاية من جميع المصائب التي يعانيها البشر في حياتهم، بواسطة إجباره على الإختفاء من الحياة الإنسانية، لذلك كانت محاولة القضاء على الشر في السابق يكون بواسطة الأفعال الأخلاقية من خلال الندم والكفارة على تلك الآثام، وبذلك كانت الحياة في الماضي هي محاولة القضاء على الشر والحصانة منه[3].(*زيحمونت باومان، الخوف السائل*, ص 87)

[1]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 116..

[2]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 86.

[3]– زيحمونت باومان، الخوف السائل، ص 87.

ليس هناك جديد في الشر، لقد كان معنا منذ وقت طويل جدا، لكن هناك شيئًا جديدًا بخصـــوص هذا النوع من الشـــر الذي يميز عالمنا الحديث الســـائل، كان الشـــر الذي ميز الأشـكال السـابقة للحداثة الراسـخة يتركز في أيدي الدول التي تدعي إحتكار وسـائل الإكراه واسـتخدام الوسـائل المتاحة لها لتحقيق أهدافها التي كانت في بعض الأحيان وحشـية وبربرية بشكل مروّع. على النقيض من ذلك، في مجتمعاتنا الحديثة السائلة المعاصرة، وأصبح الشر أكثر انتشارًا وأقل وضوحًا في نفس الوقت.

يعتقد باومان أن أكبر تحول عرفه الشـــر، من حيث الإنتقال من الشـــر الصـــلب إلى الشـــر الســـائل، يتمثل أســـاســـا في تخلى الدولة عن وعودها في المراحل الســـابقة من خلال تحقيق أفضـل حياة للإنسـان، لكن مع طغيان الفردية وسـحب البسـاط من الدولة بدأ الشـر السائل يتغلغل بشكل واسع في الحياة وينتشر بشكل مرعب: "وأعتقد أن هذا التحول الجوهري قد أصبح أحد المصادر الأساسية لأشكال الشر الاجتماعي (السائل)، المكسورة والمسحوقة والمفصـولة والمنثورة، المميزة للغاية عن أشـكاله السـابقة المركزة والمكثفة والمجمعة والمكدسـة في قضية الدولة التي أعلنت حقها في إحتكار وسائل القهر، وقد تخلت الدولة تقريبا عن هذا الإحتكار ونسبيته"[1].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*, ص 59)

وتظهر معادلة الإنتقال من الشـر السـائل والشـر الصـلب في محاولة تحقيق مجموعة من الوعود من عدمها من خلال هذه النقاط الأسـاسـية: " فبينما كان منطق الشـر الصـلب يدعو إلى الفوز بالروح وغزو العالم لفرض القواعد الجديدة للعبة، فإن منطق الشـــر الســـائل يدعو الإغواء والانســـحاب، ولهذا فهو يغير من أشـــكاله طوال الوقت. (عليك بالإغواء والإنســحاب) وهذا هو شــعار ابطال الحداثة الســائلة"[2].(*زيجمونت باومان، الشــر الســائل والعيش مع للابديل* ,.د.ت, ص 29)

---

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع للابديل، ص 59.

[2]. المصدر نفسهً، ص 29.

أكثر نقطة ينبهنا عليها باومان في التفريق بين الشر السائل والشر الصلب في نقطة مهمة والمتمثلة في عملية عدم القدرة على التنبؤ الذي هو إحدى الخصائص الأساسية والتي يتميز بها الشر السائل، حيث لا يمكن توقعه، وكل ذلك بسبب الرهان الكبير الذي وضعه الإنسان على العقل باعتباره مصدر التشريع في الحداثة الصلبة، وبالتالي من القوالب الصلبة التي تركزت عليها الحداثة الصلبة: "الرهان الحديث على العقل البشري ويبدوا أشبه كثيرا بنقطة البداية لدوران طويل، ففي نهاية الدوران الطويل يبدوا أننا عدنا مرة أخرى حيث بدأنا إلى أصول الشر الذي لا يمكن حسابه ولا التنبؤ به، والذي يضرب الناس ضربا عشوائيا"[1].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل*, ص 95-96)

فكرة الحصانة من أهم الشرور التي ميزت الشر الصلب عن الشر السائل وتجسدت فكرة الشر بشكل واسع في المراحيل السابقة في نظام الحياة الاجتماعية، وتتمثل فكرة الحصانة في محاولة إجبار الشر على الإختفاء من الحياة الإنسانية، من خلال المهمة الأخلاقية المتمثلة في الكفارة والندم والتضرع للألهة، وهي من أهم العادات التي كانت تقوم بمقاومة الشر، والتحصن منه قدر المستطاع[2] *(زيجمونت باومان، الخوف السائل*. ص 87)

يستشهد بأحد اقطاب الفلسفة العالمية، وهو الفيلسوف الإفريقي، القدييس أوغسطين SAI NT Augustain الذي تناول مشكلة الشر باسهاب كبير في كتاباته خاصة كتاب ""مدينة الله""، والذي يرجع جميع الشرور الموجودة في العالم إلى الخطيئة الأولى، فكل الشرور التي تحدث سواء كانت طبيعية أو أخلاقية تعود إليها[3]، لكن من جهة أخرى الشر السائل، هو الشر الذي يمارسه الإنسان بسبب إختيارته، لا يمكن توقعه، مثل الشر الطبيعي[4]. (*زيجمونت باومان، الخوف السائل*,., ص 86،99)

---

[1]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص ص 95-96.

[2]- المصدر نفسه، ص87.

[3]- المصدر نفسه، ص 86.

[4]- المصدر نفسه، ص 99.

من الصعب إكتشاف الشر في شكله الحالي وكشفه ومقاومته، إنه يغرينا بطبيعته العادية ثم يقفز خارجًا دون سابق إنذار، ويضرب على ما يبدو عشوائيًا. والنتيجة هي عالم اجتماعي يمكن مقارنته بحقل ألغام: نحن نعلم أنه مليء بالمتفجرات وأن الإنفجارات ستحدث عاجلاً أم آجلاً ولكن ليس لدينا أي فكرة متى وأين ستحدث:" إن للشر السائل قدرة رهيبة على ارتداء اقنعة فعالة، وعلى حشد الهواجس والرغبات الإنسانية في خدمته تحت دعاوى يصعب للغاية دحضها وإثبات زيفها. وما أكثر المتطوعين لخدمته"[1](*زيجمونت باومان، الخوف السائل* , ص 20)

يشير باومان إلى نقطة مهمة في عملية انفصال ظهور الشر السائل الجارف في الوقت الراهن، إلى عملية انفصال الدولة عن الحياة اليومية في الكثير من الأمور المتعلقة بالحياة الإنسانية والاجتماعية خاصة في وسائل القهر والعقاب:" واعتقد أن هذا التحول الجوهري قد أصبح أحد المصادر الأساسية لأشكال الشر الاجتماعي ((السائل)) المكسورة المسحوقة والمفصولة والمنثورة، والمميزة للغاية عن أشكاله السابقة المركزة والمكثفة والمجمعة والمكدسة في قبضة الدولة التي اعتلنت الحرب حقها في احتكار وسائل القهر وقد تخلت الدولة تقريبا عن هذا الإحتكار ونسيته، في زمان سحب مهمات الدولة ونقل ادراتها إلى التنافس الحر بين قوى السوق المعفاة والمتحررة من قيود الدولة وسيطرتها..."[2].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*, ص 20)

الشر السائل هو شر مقترن بالحياة الاقتصادية المعاصرة، التي تعتمد على مجتمع المستهلكين، فالحياة الاستهلاكية ساهمت في نشر الشر في كل أشكال الحياة اليومية الراهنة، لأنه قد وجد تربة خصبة تساعده على النمو والعيش في أمان:" لقد وجد الشر ملاذه في طبقات القماش الذي ينسجه كل يوم النمط الحديث السائل للتجارة والمعاملات، في نسج

---

[1] ـ زيحمونت باومان، الخوف السائل، ص 20

[2]. زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع اللابديل، ص 20.

العيش المشترك ومسار اعادة انتاجه اليومي"[1].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*,, ص 20)

يستشهد باومان بفكرة سوازن نايمن عن التميز بين الشر الصلب والشر السائل بعد الأزمة الكبيرة التي عرفتها لشبونة بعد الزلازل والحريق سنة 1755، من خلال ضرورة الفصل بين الشر الطبيعي والشر الأخلاقي والشر الإجتماعي، من خلال إعتبار أن الحداثة قامت بقطع الصلة بينها وبين الوصايا الإلهية:" فإذا كان عصر التنوير يمثل الجرأة على التفكير من دون وصاية، فهو يمثل أيضا الجرأة على تحمل المسؤولية عن العالم الذي ألقي فيه المرء، وهكذا فإن الفصل الجذري لما كانت تسميه العصور السابقة "شرورا طبيعية" عن الشرور الأخلاقية إنما هو جزء من معنى الحداثة"[2].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل*,, ص 118)

بالتالي فالحياة الراهنة، هي حياة قائمة على صفيح ساخن، من الأعلى يظهر وكأنه جنة فيها كل الخيرات، ولكن من الباطن فهي حياة تتسم بالشرور اللامتناهية، التي تطغى على جميع مظاهر الحياة الانسانية.

من بين النقاط الأساسية التي تفصل بين الشر الصلب والشر السائل[3](*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 66) هو تلك الطفرة الشاملة التي عرفها عبر تطور الوسائل التكنولوجية، وتم الاستغناء عن المشاركة الجماعية في الشرور المبرمجة من طرف الدولة إلى تكليف بعض الاشخاص في مهمة محددة تعوض الدولة: "وقد كانت إحد نتائج

---

[1]. المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

[2]- زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 118.

[3]- يقدم زيجمونت باومان مثال حي الفصل بين الشر السائل و الشر الصلب في مايمسه هو غسل الدماغ، حيث يختلف تمام الاختلاف بين الطريقة الكلاسكية" الصلبة" و الطريقة الراهنة" السائلة" :" كان غسل الدماغ بالطريقة الكلاسكية يستهدف تطهير الموقع من أثار المعني و المنطق القديم ليجهزه لبناء معني ومنطق جديدين، وأما غسل المخ في الوقت الحاضر فيبقي الموقع فارغا وقاحلا دوما، فلا يسمح بدخول أي شيئ أكثر نظامية من بعثرة عشوائية لخيام يسهل نصبها بقدر ما يسهل خلعها، فلم يعد غسل المخ عملية هادفة مرة واحدة للابد، بل عملية مستمرة تجعل من استمراريتها هدفها الوحيد".- زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 66.

التغيرات هي الاستغناء عن المشاركة الجماهيرية في الشرور التي تخطط لها الدولة وتأمر بها وتشرف عليها، فلم تعد هناك جيوش التجنيد العام والتبعئة الشاملة، بل تحول القتل إلى مهمة لجمود المحترفين، وتحول هؤولاء المحترفون في الغالب إلى أدوات مبرمجة تماما ملحقة بأجهزة تكنولوجية ذكية"[1]، ويتضح لنا جليا أن المواجهات السابقة المباشرة، أصحبت نادرة الحدوث في الوقت الراهن، فكل الحصون القديمة للشر تلاشت بشكل واسع، ولم يبقى لها أثر على أرض الواقع. (*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ص 58،66)

ضف إلى ذلك كله، نجد أن" الشر السائل، ينتحل صفة أساسية التي تتميز بها كل السوائل والمتمثلة في القدرة الرهيبة على الالتفاف على كل العوائق التي قد تقف في الطريق أو تعترضه من أجل محاربته، فهو عبارة عن دوامة تسحب كل شيء، لذلك تقوم بسحب كل هذه العوائق وتدخلها في تياراتها، وتعمل على إذابتها وسحبها في داخلها[2].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*، ص 20)

من الأمور التي تجعله يمتلك القوة في جلب تلك العوالق والمواد التي حاولت الوقوف في طريق الشر السائل، من خلال المراوغة الدائمة والمستمرة، وبالتالي تزاد صعوبة المقاومة لذلك نجد أن الشر السائل يتوغل في الحياة اليومية دون مقاومة ويترسخ في كل معالمها ومن هنا مهما حاول الإنسان الراهن البحث عن بدائل، ستجرفها دوامة السيولة الجارفة: "لذلك فهو يجعل من الصور البديلة غير معقولة، وغير حقيقية، فالسم القاتل يصور نفسه بصورة مخادعة على أنه ترياق منقذ للحياة من شقاء الحياة"[3].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*, ص 21)

يشير باومان إلى فكرة أساسية أخرى في كتابه "الخوف السائل"، يظهر فيها طريقة الانفصال بين الشر الطبيعي والشر الاجتماعي الأخلاقي منذ قرنين ونصف من الزمان والتي

---

[1]- المصدر نفسه، ص 58.

[2]. زيحمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل ، ص 20.

[3]. المصدر نفسه، ص 21.

تجدر الإشـــارة إلى إمكانية وإحتمالية العودة إلى حالة الاندماج والالتقاء بينهما من جديد لا بد أن تتوفر مجموعة من الشروط والتي تتمثل أساسا في ضرورة أن يتصف الشر الاجتماعي جميع صفات الشر الطبيعي، والمتمثلة في النزوع إلى الضرب العشوائي، وعدم التميز بين المذنب والبريء، والامتناع عن التنبؤ، أو على الأقل الاســـتعصـــاء عليه، وتجاوز القدرة البشرية على الإمساك به يقول: "على الشر الإجتماعي/الأخلاقي أن يتقمص شخصية نقيه المزعوم، وأن يكون كارثة على شاكلة الطبيعي"[1](*زيجمونت باومان، الخوف السائل*، ص 119)

2.3.مفهوم الوقت الراهن.

يشـير زيجمونت باومان إلى نقطة مهمة جدا في كتابه "هل للأخلاق فرصـة في عالم الاستهلاك"، إلى نقطة أساسية مهمة كثيرا في تحديد الوقت الراهن، أو عالم الحداثة السائلة "مابعد الحداثة هي حداثة دون أوهام"[2] (*Pier Anttoinne Chardel. Zygmunt Bouman .les illusions perdues de la modarnite 2013.pdf*, p28)، هذه العبارة تحمل في طياتها معاني كبيرة، تدل على أن المرحلة الراهنة (مابعد الحداثة، الحداثة السائلة...)

يثير نقطة أخرى في عملية الفصل بين الحديث وما بعده من خلال التأكيد على على عدم وجود قطيعة مع الحداثة الصـلبة، وعدم الاسـتخفاف بها في المرحلة الأخرى (الحداثة السـائلة): "فعند حديثك عن وعود الحداثة قلت إن ما بعده اسـتخفت بها، (مابعد الحداثة، الحداثة المتأخرة، الحداثة الانعكاسية، الحداثة السائلة، أو غير ذلك من الأسماء المتداولة[3])

---

[1]– زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 119.

[2]Pier Anttoinne Chardel. Zygmunt Bouman .les illusions perdues de la modarnite ; CNRS edition ; paris : 2013. P28.

[3]– الحداثة السائلة (زيجمونت بومان)، عصر الفراغ (جيل ليبوفيتسكي)، ما بعد الحداثة (جان فرانسوا ليوتارد) ، المجتمع المنحرف (داني روبرت دوفور): يتفق العديد من المفكرين على تحديد، في هذه الغاية في القرن العشـرين وبداية القرن الحادي والعشرين، نوع من الانحلال الاجتماعي والأيديولوجي الذي يستجيب للتوسع السياسي– الاقتصادي للنيوليبرالية. نهاية المُثُل العظيمة، الشك، النسبية، التركيز على المال والربح كقيم رائدة، الاستهلاكية، المذهب التجاري، زعزعة استقرار

فإن هذا الفصل يخبرنا بتعرض قصة الوعد الحديث للإستخفاف ولا للسخرية، بل يخبرنا بإحيائه من جديد، وإستحداثه من جديد، وتجسده من جديد، ونفض الغبار عليه... وربما أقول إنّ الوعد الأصلي للحداثة في زماننا وصل إلى إكمتاله وذروته"[1].(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ا pdf,*.د.ت, ص 71)

يواصل زيجمونت باومان استعارة المفاهيم مرة أخرى من خلال وصف الوقت الراهن من خلال الإعتماد على مفهوم الفيلسوف الايطالي انطونيو غرامشي "Antuniu ghramshi"، وهو مصطلح خلو العرش، الذي يعبر عن فكرة مفاذها:" إنه زمان تتراكم فيه الدلائل كل يوم تقريبا بأن الطرق القديمة المألوفة المختبرة لفعل الأشياء ليست فعالة، في حين أن بدائلها الأكثر كفاءة لم تظهر بعد، أو لأنها مبتكره ومتقلبة وغير مكتملة للغاية، بحيث يصعب ملاحظتها، أو أخذها على محمل الجد عندما نلاحظها (إذا لاحظناها)[2].(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ا*., ص 111)

وينبهنا جيل ليبوفتسكي إلى صفة نقطة أساسية من عصر الحداثة الفائقة كما يسميها هو، هي أن الوقت الراهن يعرف إرتباط كبير بوسائل الاعلام والإتصال المتطورة، من خلال التكنولوجيا الجديدة، من خلال ما يسميها في **كتابه** ""**شاشة العالم**"" مع جان سيرو، أن العالم الأن مغاير تماما لما كان عليه قبل عقود، العصر الراهن أصبح أشد إرتباطا بالشاشة، فالعالم كله يمكن مشاهدته عن طريق شاشة الهاتف شاشة التلفاز شاشة الكومبيوتر...ولم يصبح دور الشاشة هي روئية العالم، بقدر مأصبحت اليوم جزءا مهما وأساسيا في الحياة اليومية لمجتع الأفراد، من خلال الحاجيات اليومية، عكس ماهو موجود

الأعراف، عدم الاستقرار العلائقي والمهني ، تترك فراغًا. دعونا نلاحظ أن هذا الوضع قد تغير بالفعل، لأن الفراغ يتم ملؤه بعودة الدين والاحتجاج الشعبوي القومي للمستبعدين والذين يشعرون بالأذى من هذه التطورات.

[1]– زيجمونت باومان، كارولو بوردوني، حالة الأزمة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط1، ص 71.

[2]– زيجمونت باومان، كارولو بوردوني، حالة الأزمة، ص 111.

في العقود الســابقة في التلفاز من خلال مشــاهدة الأحداث... أما شــاشــة اليوم دورها هي التعايش مع الحياة ولحق الركب في التقدم [1].(*جيل ليبوفتسكي و جان سيرو، شاشة العالم" " ثقافة وسائل إعلام وسنيما في عصر مابعد الحداثة*. 2012 .271ص)

3.3.خصائص الوقت الراهن

إن حالتنا الراهنة (الحداثة السـائلة) هي قبل كل شــيء ثمرة خبيثة، لأمال عميقة من التقدم المنشــود الذي كان من المفترض أن تحققه الحداثة الصــلبة، وهذا فإننا نتقدم عكس ماكان منشــودا في عصــر التنوير، والوقت الراهن هو العيش على أنقاض الحداثة الصــلبة التي تحـاول تحقيق مقولـة التقدم[2]، (*Pier Anttoinne Chardel. Zygmunt Bouman .les illusions perdues de la modarnite 2013.pdf,* 33) وبالتالي تجلت الكثير من الشــرور في عالمنا اليوم، الذي يعيش على أنقاض وكوابيس وأحلام الماضي الذي لم يتحقق الكثير منها.

الوقت الراهن تم وصــــفه في كتاب حالة الأزمة بعبارة في غاية الأهمية من طرف كارلو بوردني وزيجمونت باومان، وفي هذا الكتاب عمل ســـويا على إظهار النقاط الملظلمة التي يقبع فيها الإنســان الحالى:"الحاضــر كتاب بلا عنوان وعلى الأقل للوقت الحالي، بلا إســم مناســب يطرد مخاوف المجهول"[3]،(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني*. ص 106) منه كان الإنســـان الحالي في الوقت الراهن، يتعايش مع الضــــبابيبة والغموض في كل المجالات.

الوقت الراهن هو وقت الأزمة، وهذا ما نبهنا إليه زيجمونت باومان في كتابه الذي كان على شــكل حوار مع كارلو بوردوني، الذي يقولان فيه أننا نعيش في وقت الأزمة، وهي ليســت مجرد أزمة بســيطة بل هي أزمة معقدة تتطلب العودة إلى الماضــي من أجل حلها:

---

[1]. جيل ليبوفتسكي و جان سيرو، شاشة العالم " ثقافة وسائل إعلام وسنيما في عصر مابعد الحداثة، ترجمة: رواية صادق، المشروع القومي للترجمة، القاهرة ، مصر، ط1، 2012، ص 271.

[2] Pier Anttoinne Chardel .Zygmunt Bouman .les illusions perdues de la modarnite : p33

[3]. زيحمونت باومان وكارولو بوردوني، حالة الازمة، ص 106

"فالأزمة الراهنة لا تضـرب أوروبا وحدها، وهي ليسـت مجرد أزمة اقتصـادية، بل هي أزمة عميقة في التحول الاجتماعي والاقتصادي، وهي تضرب بجذورها في الماضي، وحتى نفهمها ونقلبها، لابد أن نرجع إلى أسبابها، ونربطها بنهاية الحداثة والإنتقال المؤلم عبر حقبة التكيف التـي تـعـرف بـأنـهـا مـرحـلـة مـا بـعـد الـحـداثـة (Postmodernité).[1])

حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ،ص 69)

ويشـير إلى فكرة أسـاسـية يصـف فيها الوقت الراهن بدقة، من خلال الإعتماد على مفهوم لمؤرخ المفاهيم راينهارت كوزلك Koselleck reinhart، من خلال صـورة مجازية لوصف الوقت الراهن: "إننا نصعد منحدرا شديدا لنصل إلى القمة، ونعجز أمام شدة الانحدار عن التوقف ونصب الخيام، فلا يصمد أي بناء أمام الرياح العاصفة ولا العواصف المطيرة، ولـذ عـلـيـنـا أن نـواصـل الصـعـود، ونـحـن نـفـعـل ذلك..."[2]،)*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني* .ص 85) فهذه العبارة توحي إلى المخاطر التي يعيشـها الإنسـان الراهني، فهو في تحدي مسـتمر لمقاومة مختلف الاخطار التي تحدق به، لذلك نجده يعيش في خوف مسـتمر ودائم(أشـبه بأسـطورة سـيزيف عند الفيلسوف الفرنسي الوجودي ألبير كامي.)

الوقت الراهن حسـب كارولو بوردني في الحوار القائم بينهما داخل صـفحات الكتاب يظهر جليا أن الوقت الراهن يتسـم بالتغير المسـتمر والدائم، بعد قرون من الصـلابة والاستقرار، وهذا العصر هو عصر اللايقين وعدم الثبات، والزوال والتغير الاجتماعي، وهو مجتمع السيولة فكل شيء فيه يكون متغيرا في وقت وجيز[3]، وأن الفرد المعاصر مر بتجربة ما بعد الحداثة والتي تعرضـت فيها مختلف الإديولوجيات والأفكار للانهيار، وفقد الفرد مختلف مرجيعياته القيمة في سـلوكياته الأخلاقية، وأصـبح أمنه مهدد، واعترته حالة غير

---

[1]. المصدر نفسه، ص 69.

[2]– زيجمونت باومان وكارلو بوردوني، حالة الازمة ، ص 85.

[3]– المصدر نفسه، ص 101.

مسبوقة من اللايقين الوجودي والاقتصادي[1].(*حالة الأزمة ، زيجمونت باومان ، كارلو بوردوني ا*, ص 101)

يثيران فكرة في غاية الأهمية عن علاقة الوقت الراهن، بفترة ما بعد الحداثة، هل مازلنا في فترة ما بعد الحداثة، أم أننا في وقت آخر، فيقول في ذلك كارول بوردوني: "إن العالم الذي يترك وراءه مابعد الحداثية هو عالم يضـــيق على الفرد للغاية، إنه عالم قمعي ومتطفل، حيث يعجز الفرد عن توكيد ذاته وبســـبب كثره الروابط التي تقيده بالوجبات نحو غيره"[2].(*حالة الأزمة ، زيجمونت باومان ، كارلو بوردوني ا*, ص 104–105)

هذه العبارة إن دلت فإنما تدل على فكرة أســـاســـية هي أننا في بداية الألفية الثالثة تجاوزنا فترة مابعد الحداثة من خلال حدثين مهمين: "وإذا ما أردنا أن نحدد تاريخا ورمزا بارزا لنتعرف أفضل نهاية ما بعد الحداثية يمكننا أن نتحدث على الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001، وهو تاريخ الهجوم على البرجي التوأم في نيويورك، وكان ذلك حدثا مأسويا جرى بثه على الهواء مباشرة في جميع أنحاء العالم، وثمة تاريخ أخر رمزي، وإن كان أقل درامية، وهو رحيـل جـاك دريـدا"Jacques Derrida" (2004) فـهـو أهم فيلســـوف لـمـا بـعـد الحداثة"[3].(*حالة الأزمة ، زيجمونت باومان ، كارلو بوردوني ا*, ص 104)

هذا العالم الذي نعيش فيه عالم أشـبه بالمحيط في فصـل الشـتاء، الذي تتلاطم فيه أمواج العلاقات الاقتصـــادية والاجتماعية والثقافية على الدوام، حيث توجد فيه حركات كبرى مســـتمرة، وطفرات معتبره وقوية، وفيها تيارت شـــديدة وكبيرة توحي إلى فكرة مفادها عدم الاستقرار الذي تتسم به المنظومات الكبرى على المستوى العالمي.

[1]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– المصدر نفسه، ص ص104–105.

[3]– المصدر نفسه، ص 104.

يلخص ادغار موران "Edgar Morin" الفيلسوف الفرنسي الراهني في كتابه (هل نسير إلى الهاوية) الذي هو ملخص للحالة الراهنة التي نعشيها نتجه لانعكاسات المشروع التنويري الحداثي في القرني 17 و18، ويقدم ذلك بعبارة صريحة توحي بالخطر الذي نعيشه في الوقت الراهن: "يتميز الواقع الراهن بالانهيار الخفي، خفي لإن تحققه قد استغرق وقتا غير يسير "[1].(*ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية*، 2012)

4.التقطعات المعرفية بين الوقت الراهن والشر السائل:

مسألة الشر السائل مرتبطة بالوقت الراهن في كثير من النقاط الاساسية، حيث أننا لا نسطيع التحدث عن الوقت الراهن عند زيجمونت باومان دون الحديث عن الشر السائل لذلك توجد تقاطعات كثيرة بينهما:

1.4. الاستهلاك متلازمة عمقت الشر السائل في الوقت الراهن:

يعد الاستهلاك من أهم الشرور التي انتشرت بشكل في الوقت الراهن، حيث يتسارع ويمنو بشكل راهيب، وبالتالي هو الشر الناعم الذي يحرك الحياة الاجتماعية الراهنة، الذي يعيد الحياة باكثر رافهية وتقدم وتطور، وهكذا يصفيه باومان في كتابه الشر السائل:" إن حريتنا اليوم تنحصر في الاستهلاك والوجاهة، وهكذا فإن السيطرة والمراقبة والقوة الغير المتناثرة التي ترتدي عباءة حرية الاختيار، وصناعة الخوف وألعاب فضح الخصوصية، كل هذه الاشكال يتألف منها ما " اللابديل" " الشر السائل" فما عليك إلا أن تعد البشرية بأنك رجل الحرية والمساواة والعدل والعقل والسعادة وحقوق الإنسان وقوى الفردية وحرية الاجتماع والحراك الاجتماعي والعيش بلا حدود، ثم تختفي فجأة – تاركا الافراد في ألعاب الهوية اللانهائية باسم الحرية، مذكرا... تلك الاستراتيجية المضمونة التي يتبعها الشر السائل"[2].
(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* .د.ت, ص 29)

---

[1]. ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، دار افريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2012.
[2]. زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع للابديل، ص 29.

الفكرة الأساسية التي تقوم عليها المتلازمة الاستهلاكية في الوقت الراهن تتمثل أساسا في التغير المستمر للحياة الإنسانية، من خلال فعل الصيرورة التي تحدثها في الأشياء، لا شيء يبقي في حالة واحدة دون تغير، وبالتالي فهي تنفي الثبات التام للأشياء والإنسان، فكل شخص يكون مجبرا على الالتفاف لهذه المتلازمة التي تجعله منخرطا فيها:" في عالم تكون فيه الأشياء المتبدلة عن قصد المادة الخام لبناء الهويات المتبدلة"[1](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص 142)

من هنا يجب على المرء أن شـــديد الانتباه دائما وفي كل الأوقات، من أجل التغير المستمر أن يتمتع بالمرونة اللازمة حتى يساير النماذج التي تبتكر في الحياة القائمة على المتلازمة الاستهلاكية:" ولا بد للمرء أن يكون دوما على أهمية الاستعداد، وأن يعتني بمرونته وسرعته في التأقلم حتى يساير النماذج المتغيرة في العالم البراني"[2]،(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* د.ت, ص 142) هذا هو زمان التغير، لا مجال للثبات، وآي شخص يحاول ادعاء الثبات يكون مصيره هو التخلص منه بمختلف الطرق، ومنه الإنسان السائل يتميز بالتعليم والنسيان السريع في الحياة:" وهذا يعني أن الحياة الإستهلاكية هي حياة من التعلم والنسيان السريعين"[3](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*، ص 197)

العالم الراهني هو عالم اقتصادي محض، حيث لا نستطيع الحديث عن القرن الحادي والعشرين دون الحديث عن لاقتصاد، واقتصاد اليوم في أساسة قائم عل الاستهلاك، باعتباره العجلة الكبيرة التي تجعل من الاقراض ينخرطون في ا قتصاد اليوم:" إن الاليات الاقتصادية الراهنة تشجع على الاستهلاك المفرط، ولكن الواضح أن النزعة الاستهلاكية

1. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 142.

2– زيجمونت باومان الحداثة السائلة، ص 142.

3– زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 197.

الجامحة المصحوبة بالظلم تثبت أنها مدمرة للنسيج الاجتماعي تدميرا مضاعفا، فالظلم يولد العنف..."[1]. (*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل..*, ص 69)

يركز باومان على فكرة أساسية ومهمة جدا في عصر الحداثة السائلة (الوقت الراهن) إلى فكرة الخيانة، وهي خيانة الماضي، سواء الماضي أو لماضي البعيد للإنسان الراهني لأن ثقافة الحداثة السائلة تعمل على متلازمة أساسية ومشهورة وهي الحط من قيمة الدوام واجلال سرعة الزوال والارتقاء بفكرة المرونة.[2].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*, ص 135)

متلازمة الاستهلاك أثرت بشكل رهيب على الحياة الراهنة في كل شئ:" باعتبار العالم وعاء ضخم لا يفيض الإ بمواد قابلة للاستهلاك"[3]، (*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*., ص 165) وهذا كله من خلال روؤية تجعل من العلاقات الأفراد علاقات اقتصاد بحتة، علاقة الزبائن والمستهلكين والسلع، لأن فكرة السعادة لن تتحقق إلا ب السلعة من أجل ملاحقة الركب، والتقدم في الجماعة البشرية الراهنة:" إن الحياة الإجتماعية في شكلها الليبرالي هي عبارة عن سوق غير منظمة يدفع فيها الأخر إلى تخصيص نفسه بمنتج يسميه صفة رابحة"[4](*آلان توورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم*, ص 153)

الشيء الوحيد الذي يهم الإنسان الراهني بعكس الإنسان الماضي، هو الإشباع والنهم الاستهلاكي، من خلال عدم الولاء لسلعة معينة بقدر ما هي إلا رغبة غير متناهية في تحقيق اللذة المستمرة، وذلك بعدم الولاء لسلعة معينة:" فهما كانت اللذات الاستهلاكية محققة للإشباع، فإن المستفيدين منها لا يدينون بالولاء لشيء، وأغلب الظن أنهم لا يحتاجون إلى

---

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع اللابديل، ص 69.

[2]– المصدر نفسه، ص 135.

[3]. المصدر نفسه، ص 165,

[4]ـ ألان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمه: جورج سليماني، مركز درسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 153.

القسم بالولاء التام غير المحدود لموضوعات الاستهلاك"[1].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*., ص 166)

الحشود الاجتماعية الجديدة حسبه من خلال الرؤية الاجتماعية الجديدة القائمة على الفردانية، صنعت مجتمع جديد يقوم على فكرة السعادة، المبنية على الاستهلاك، الشيء الوحيد الذي يدخل البهجة في المجتمع، هو في المباهج الاستهلاكية:" انقسمت الرؤية الاجتماعية الكبرى إلى حشد من الحقائب الفردية والشخصية، المتشابهة، بشكل مدهش ولكن البعيدة كل البعد عن أن يكمل بعضها بعضا، كل واحدة صنعت لتناسب سعادة المستهلكين قصد بها، ككل المباهج الاستهلاكية، أن تكون للمتع الفردية المنعزلة حتي حين يتلذذ بها الفرد مع غيره"[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص 43)

من بين النقاط الأساسية التي فرضتها المتلازمة الاستهلاكية، في الوقت الراهن، هي ظهور مايسمي بحضارة الفواروغ ، حيث أن مجتمع المستهلكين يسير بوتيرة سريعة من اخلال استخدام البضائع الاستهلاكية ورميها باستمرار:" لقد خلقنا حضارة التخلص من الفوارغ، وهي حضارة اخذة في الانتشار، فلم يعد الامر يدور ببساطة حول الاستغلال والقمع بل حول شيئ جديد"[3].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*. ص 166)

الوقت الراهن هو زمان الوقوف على الرمال المتحركة، لا شيئ ثابت، و هذا الوصف الذي يقدمه حول الإنسان الراهني، حيث أنهم ملزمون بالعيش مع هذه الرمال المتحركة:" داخل هذا العالم لسائل الكبير تدور حياة ملاين البشر، وغالبا ما تذهلهم سيولة بيئتهم وتشتتهم ، ويدفعون في اتجاهات اعتباطية ضد إرادتهم، ويجدون صعوبة في تحديد مستقبلهم وفهم اسباب ما يحدث، إنهم أناس غمرتهم سيولة الحياة وربما أغرقتهم فليس هناك أثر لحياتهم ولا لعملهم ، ولا لافعالهم في سطح المحيط العالم المضغوط والمشدود... وتحت

[1]– زيجمونت باومان ، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 166.

[2]. المصدر نفسه، ص 48.

[3]. زيحمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 166

السطح، يتشكل مجتمع خفي يتكيف كل يوم مع ظروفه البيئية المتغيرة، تماما مثل طحالب البحر وهي تقاوم باصرار عبر التشبث بالرمال..."[1] ..
(حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ا ,, ص 105)

هذا المجتمع الذي يعيش مع الرمال المتحركة، يتميز بالمقاومة المستمرة، من خلال محاولة التكيف المستمر مع الحياة الراهنة، من خلال مواجهة مجموعة من الشرور، التي تجلعه في صراع دائم مع الحياة، وقد عبر عنها كارولو بوردوني في فقرة وجيزة تحدد ملا ملامح الحياة الراهن:" إن هذا المجتمع الخفي يتألف من حشود بشرية، ويقوم على القدرة على التكيف مع ظروف غير مواتيه، يتمثل وجوده في مقاومة مستمرة لكل الزيادات والانخفاضات، والأحداث الاستثنائية والكوارث الطبيعية والأخلاقية والوعود المختلفة والانيهارات، والاغلاقات المفاجئة، واغلاق الرهن والاستيلاء أو الحجز على المرهون وعمليات التهميش والتميز، والأمال المحبطة، والتأويلات الحصرية، والمشروعات غير المدرجة في برامجنا، وعمليات النصب والاحتيال، والجرائم الخطيرة، والعويضات غير المسددة والمصائب، وحالات الخلل، وخيبات الامل"[2] .
(حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ا, ص 105)

من الخصائص الأساسية في الوقت الراهن، هي في تلك الموضة الخاصة التي تعرفها، والمتمثلة أساسا في التدمير الخلاق لكل شيء، فهذا التدمير في أصله يستهدف الكائنات الحية الأخرى، بما في ذلك البشر الذين يحيون هذه الحياة، لذلك يقدم لنا استعارة من الاستعارات التي يقدمها لنا باستمرار للتعبير عن الوضع الراهن، فيقولها فيها:" الحياة في المجتمع الحديث السائل هي نسخة مخيفة من لعبة الكراسي الموسيقية التي تحولت إلى واقع حقيقي، ويكمن الرهان الحقيقي في هذا السباق في النجاة المؤقتة من الاستبعاد والإدراج

[1]. زيجمونت باومان، وكارولو بوردوني، حالة الازمة، ص 105.
[2]– زيجمونت باومان، وكارولو بوردوني، حالة الازمة ، ص 106.

في صفوف الهالكين، ويكمن في ذلك اجتناب الإلقاء في سلة المهملات..[1]. (*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*. ص 24)

من بين المفارقات التي جسدتها المتلازمة الاستهلاكية على أرض الواقع، من خلال فكرة الإغواء والإغراء المستمر الذي يجعله يتسوق باستمرار، لكن المشكل هنا في الطبقة الأولي في المجتمع التي هي طبقة الأثرياء، لكن المشـــكل في الطبقة الثانية التي هي طبقة الفقراء، الذين لا يستعطون غض أبصارهم عما حولهم من الملذات، لانه لا يوجد أي مكان يغضوا فيه أبصارهم ، بسبب ازدياد الحرية على الشاشات وكثرة المغريات الموجودة في كل مكان التي تغرى الناس بضرورة التسوق، وهنا تتحقق المفارقة، حيث أنه كلما كثرت اختيارات الأغنياء في التسوق نقصت قدرة الجميع على احتمال حياة بلا قدرة على الاختيار[2]،(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*. , ص 146) ومنه المجتمع الاستهلاكي، يمكن أن يكون سعيدا أو ينهار بطريقة سريعة مغايرة للمجتمعات الأخرى:" ويصمد المجتمع الإستهلاكي ، أو ينهار أكثر من أي مجتمع أخر بسعادة أفراده"[3]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ص 213)

2.4.فقدان الذاكرة الأخلاقية: أخلاق ما بعد الواجب

فقدان الالتزام من أهم الافرازات التي افرزها الشر السائل في الوقت الراهن، خاصة مع تنامي الفردانية وتغلغل الليبرالية التي أصحبت موحشة، جعلت من إنسان الحداثة السائلة ينسحب من كل الالتزامات السابقة، خاصة الاخلاقية، المبنية في السابق على أسس دنية واجتماعية، أما في زمان السيولة، فلا صوت يعلو فوق صوت النرجسية الفردية.

من بين أهم الشروط التي قامت عليها فلسفة التنوير، هي في قيام ثورته الأولى على خطاب أساسي يتمثل في الأساس في خطاب التقدم وتمجيد العلم وتحقيق السعادة معا، ولن

[1]- زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 24.

[2]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 146.

[3]- زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 213.

تأتي السعادة إلى من خلال التحرر الشامل من الضغط السابق، لذلك كانت القطيعة هي الحل الأنسب للقضاء على النظام اللاهوتي، والتي تحولت فيما بعد إلى مجموعة من الإنعكسات الهرمية على منظومة الأفكار والقيم[1] (*فيصل عباس، الفرودية ونقد الحضارة المعاصرة* ص 142)

الخاصية الأساسية التي تدور حلوها الحياة الراهنة القائمة على المتلازمة الاستهلاكية، في الفكرة الأساسية المتمثلة في الاستغناء على القواعد والضوابط الأخلاقية، فهي في الأساس على تقوم على الإغراء المستمر من خلال الرغبات المستمرة ومحاولة تحقيق الأمنيات الدائمة التي لا تنتهي والتي أصبحت مخدرا:" فلم تعد تهتدي بهدى الضابط الذي تحكمه القواعد، وما من نموذج مثالي محدد بين الجيران الأغنياء يمثل مرجعية للحياة الناجحة"[2](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص 131).

الوقت الراهن الذي نعيشه انفلت من الماضي بشكل فضيع، ففي عالم الفردانية والاستهلاك يصبح التجديد اهم شيء في الحياة، من خلال زعزة الذاكرة الجماعية، التي شيدت الماضي:" ففي العالم الذي نعيش فيه، لم يعد الأمر يقتصر على الذاكرة الجمعية والوعي المتدهور بالماضي، ولكنه يتعلق بالهجوم العدواني على أيه ذاكرة باقية والتشويه والعمد للسجل التاريخي واستحداث ماضي أسطوري في خدمة الظلام"[3].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*. ص 133–134)

تم إلقاء القواعد الأخلاقية والوجبات والالتزامات المتبادلة المنظمة للحياة، حيث أصبحت سائلة مرنة وفق متطلبات الحياة الراهنة، ومن ثّم لا توجد ثوابت قليلة ، إذا وجدت أصلا ثوابت أصلا على في الذاكرة الأخلاقية [4]. (*زيحمونت باومان، الخوف السائل*, ص 103)

---

[1]. فيضل عباس، الفرودية ونقد الحضارة المعاصرة (برومثيوس مشيد الحضارة) دار المنل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2005،ص 142.

[2]– زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 131.

[3]– زيجمونت باومان،الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 133 134.

[4]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 103.

فلسفة النسيان، هي الفلسفة الاكثر رواجا في عصرنا الراهن، من خلال محاولات جادة لطمس معالم الذاكرة التاريخية:" إننا نعيش في ثقافة النسيان لا الحفظ، فاليوم نجد أن سماسرة بورصة الذاكرة التاريخية، وهم ايضا اصحاب اسهم في الذاكرة التاريخية، يركزون جهودهم على تقويض قوى الحفظ بالذاكرة ونشر فقدان الذاكرة التاريخية"[1].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*., ص 135)

وهذه الفكرة بحد ذاتها قام بالاشارة إليها في كتاب الخوف السائل، بالتأكيد على القضاء على أهم الأفكار التي سيطرت على الانسان في العصور السابقة وهي تصور الإنسان للحياة الفانية، والتي تم القضاء عليها في العصور الحديثة، وذلك في عصرنا الحالي تم القضاء على معضلة الحياة الأبدية من خلال التصور لوجود حياة ثانية خالدة بعد الموت، لذلك يجب على المرء أن لا يقلق على الأمور الأبدية في وقتنا الراهن، لذلك يجب أن يكرس كل جهده واعماله في الفردوس الأرضي من خلال فعل الاستهلاك، ومنه يجب عليه استهلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء التي تقدمه له هذه الحياة[2](*زيحمونت باومان، الخوف السائل*, ص 29)

من بين الأمور التي ساهمت بشكل كبير في تقويض الأسس والروابط التقليدية إلى انحلالها الكبير، كانت بسبب الروح الفردية التي كانت من أكبر المكاسب التي انبثقت من الروح الحديثة، فكل لكل فرد حرية الاختيار وفق المعايير والأسس التي يرديها هو دون العودة إلى الأسس القديمة (الأسس الأخلاقية)، وبالتالي تكرست هنا الفردانية التي حطمت كل المعايير والأسس لبناء المجتمع، والذي كان من نتائجه ظهور الأنظمة الشمولية الجديدة في القرن العشرين[3]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص 207)

---

[1]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 135.

[2]. زيحمونت باومان، الخوف السائل، ص 29.

[3]. زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 207.

المجتمعات الراهنة هي مجتمعات لم تسلم من الشر السائل، فهي مجتمعات متحررة من كل القيود الأخلاقية السابقة، علحساب المنفعة الشخصية:" لقد تبين أن "أهون المجتمعات ضررا" يموج في الواقع بجميع أصناف الشر التي يصنعها بنفسه، إنه مدينة البشر، أو مدينة المنعزلين، مدينة البشر الوحيدين الذين يستمدون مرجعيتهم من انفسهم بعدما تحرروا من قيود الروابط الإنسانية المضمحلة والمتلاشية التي يمكن فكها والتخلص منها، واستكانو في ملاذات المنفعة الشخصية والمصحلة الشخصية"[1]. (*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* .ص61)

المدينة الراهنة حسب باومان، هي مدينة فك الالتزام والارتباط والمتحررة من القيود السابقة: "أنه مدينة الأفراد المجاهدين بأجسادهم و أرواحهم من اجل السلامة الشخصية، من اجل البقايا المشوهة من الأوامر الأخلاقية والوازاع الأخلاقي بعد خصخصة الاهتمامات والالتزامات والواجبات"[2]. (*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*. ص 61)

والفضاءات العامة في الوقت الراهن تعمل على فعل أساسي يتمثل في الترويج للاستهلاك بختلف أنواعه فقط ليس إلاّ، لأن هذه الفضاءات تتميز بضفة اخرى على أنها ليست أماكن اجتماعية بحتة، فهي مجرد أماكن تسمح للافراد فقط بالالتقاء لمدة زمينية محددة، مثل الأسواق قاعات السنيما المعارض الحفلات ... وبذلك يجتمع فيها الأفراد دون وجود لأي أثر للتفاعل بينهم، لأن خصيتها هي التشجيع على الفعل لا على التفاعل بين الأفراد بينهم[3] (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*. ص 157)

النصر الحقيقي الذي حققه إنسان الحداثة في كل مراحله(الصلبة والسائلة) هي في تلك الحياة التي قضت على معالم الحياة الكلاسيكية القديمة القائمة عل مصادر وأسس ميتافيزيقة، ولذلك ظهرت مفاهيم جديدة اخلاقية بعيدة كل البعد عن المفاهيم الأخلاقية

1– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 61.

2– المصدر نفسه، ص 61.

3. زيحمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 157.

الســابقة، ذات المصــادر الميتافيزيق، إلى اخلاق قومها المجتمع المفتوح[1].(*جيل ليبفوتسكي، أفول الواجب*, ص 36)

وبالتالي مجتمعات الحداثة الســائلة، تبقي مهمتها الوحيدة هي إكمال اذابة كل المعالم الموجودة في زمان الحداثة الصـلبة، من خلال الغزو المتسـمر للشـر السـائل في كل معالم الحياة الإنسـانية:" إنه مدينة الوحيدين التي لم تفعل شـيأ سوى إذابة الشـر الصـلب المتحجر الذي اتسـمت به مدينة الرب أو مدينة الشـمس، ولم تنتزع شـيأ من سـمه ومرارته، فإذا كان الشر الصلب في يد كاردينال أو أمير طاغية أو طاغية أو منقذ أو دجال قد سحق المجتمع البشـري، فإن الشـر السـائل ينتشـر خلاله ويشـبعه مثل الاوعية الدموية الشـعرية التي تغمر خلاياه الفردية وتستقر فيها ويتسرب إليها ومنها"[2]. (*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,, ص 61)

أما فيما يخص الضـوابط الأخلاقية والقواعد الصـلبة التي كان يقوم عليها المجتمعات في السابق فقد تلاشت، من خلال القطع والبتر المستمر لها في كل مرة ، من خلال ابعادها عن الحياة اليومية للإنسـان، حيث أصبح الإنسان الراهن والذي قبله، يسعي إلى صـهر تلك القوالب الصلبة في كل مرة:" العهود الماضية (بأن لا يفرقنا إلا الموت) صـارت عقود بصيغة (مادام الإشــباع) وهي عقود مؤقتة وعابرة بطبيعتها وبتصــميمها وبتأثيرها البراغماتي ..."[3]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص 134)

وقد أسـهب الفيلسـوف الفرنسـي جيل ليبفوتسـكي "Gilles Lipovestsky" بشـكل واسـع عن هذه النقطـة المهمـة جدا في الوقـت الحـالي، في حـدثيـه عن التخلي لكـل الوجبـات الاخلاقية الســابقة:" لاشــك أن الهتاف للواجب ليس من خصــائص الحداثة، لكن مايعد من خصـــائصـــها حقا التأكيد على واجبات لازمة أجنبيه عن عقائد الاديان الســماوية، والنشــر المجتمعي لأخلاق متحررة من كل وصــايا إلهية، إن القطيعة الاديولوجية مع الماضــي، في

---

[1]– جيل ليبفوتسكي، أفول الواجب، ص 36.

[2]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 61.

[3]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 134.

هذه النقطة، حاسمة ونموذجية للسيطرة الحديثة للاكتفاء الذاتي الارضي قبل عصر الأنوار "[1]. (*جيل ليبفوتسكي، أفول الواجب*., ص 34)

أما صاحبة كتاب حياة تالفة أزمة النفس الحديثة، تذكر أن من بين مقومات الحداثة الحالية التي نعشيها، التي تعتبر من مخرجات الحداثة والمشروع الانواري، تقول أن إنحدار الأخلاق من الخصوصيات الأساسية للوقت الراهن، حيث لم يحتفل بالأخلاق ولم لها أهمية في الحياة الخاصة والعامة معا، فلم يعد يهتم أحد بغيره، ولا صوت يعلو فوق صوت الأنا ضمن مسار النرجسية المتعية الاستهلاكية، و كلهم يطرحون سؤلا واحد لماذا يجب علي اتباع هذه القواعد الأخلاقية؟[2].(*تود سلوان، حياة تالفة أزمة النفس الحديثة*, ص 33) .

بشير إلي نقطة لأخرى في علامات الشر السائل في الوقت الراهن تتعلق بفكرة فصل الأخلاق عن الحداثة الصلبة، فالمشروع الحداثي الغربي فصل المنظومات الأخلاقية الكلاسيكية بمختلف مصادرها عن الحياة الاجتماعية :" أن الثقافة الحديثة منقطعة الصلة بالاخلاق ، بمعنى انها تتجه إلى استئصال المسؤولية الاخلاقية الفردية عن الحياة الجمعية على محمل الجد"[3]، وبالتالي معالم الشر السائل في وقته الحالي، يتجسد بشكل واسع في الانفصال الموجود بين الحداثة السائلة والأخلاق. (*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*., ص 175)

لقد كان الغرب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، شهد على ظهور إنسان جديد عكس الكائن السابق، فهو إنسان يحمل الوعي، ويتميز بالاستقلالية والفضول بشأن العالم، إنسان يمتلك ثقة عمياء في كل الأحكام التي يصدرها العقل، ومن جهة أخرى فهو إنسان مشكك في كل المعتقدات الكلاسيكية التقليدية" الدنية"، يتصف بصفة التمرد على

---

[1]– جيل ليبوفتسكي، أفول الواجب، ص 34.

[2]ـــ تود سلوان، حياة تالفة أزمة النفس الحديثة، تر: عبد الله بن سعيد الشهري، ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2021، ص 33.

[3]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل، ص175

السلطات القديمة، ومسؤول على الأفعال التي يقوم بها[1] _(*ريتشارد تارناس، ألام العقل الغربي* ,.ص 337).

الثقافة الاخلاقية الحديثة المنفصلة عن الاخلاق تنكر المسؤولية الفردية والاختيار الاخلاقي، لذلك تكون مهمة الإنسان الأولي هي عملية تحقيق الذات على حساب الجماعة، والتهرب من أي مسؤولية عقابية وجزائية، وهذا ما وصفه باومان بصفة بمجتمع الشبكات الاجتماعية، التي تكون في داخلها مجرد عضو، فهي لا تكترث إلا قليلا، أو أبدا بطبيعة الأفراد، فهي تقدم بداخلها مجموعة من القواعد، وهنا بعض الشبكات لا قواعد لها أساسا فهي تقدم لك العنان في فعل ماشاء خاصة في حياتك الخاصة، ولكن المصيبة الكبرى في الوقت الراهن، أنها لن تعاقبك على الرحيل و المغادرة[2] (*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*. ص57) .

ويشير إلى نقطة أساسية في فصل الاخلاق عن الحياة من خلال مقارنة بسيطة بين نموذج الماضي، ونموذج الراهن، من خلال فكرة الخوف، حيث توصل إلى أن الحكايات الاخلاقية في الماضي انتشرت في المجتمع من خلال فكرة غرس الخوف، بالثواب والعقاب، بوجود عالم أخر يتحقق فيه الخلاص له ترياق، ومن ثمة العيش دون خوف فكان ذلك الخوف، لكن في الوقت الراهن، الحكايات الاخلاقية لا تعرف الرحمة، ولا تعد باي خلاص في عالم اخر، ولوان الخوف التي تغرسها يصعب الخلاص منها، فهي تبقي للابد عبارة عن ارواح شريرة لا يمكن طردها[3]،(*زيحمونت باومان، الخوف السائل*.ص 56) ومن هنا تكون الحياة عبارة عن لعبة متواصلة لانهائية وهي أشبه بلعبة الغمضية، مجرد أن تفعل لثواني، أو لحظة من الغفلة، تؤدي ببك غلى الهزيمة[4].(*زيحمونت باومان، الخوف السائل* .ص 56)

---

[1]– ريتشارد تارناس، ألام العقل الغربي، ص 337.

[2]. زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 58.

[3]– زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 56.

[4]. المصدر نفسه، ص 56.

من بين أكثر الأشــياء التي تحررت بشــكل رهيب في الوقت الراهن، نجد العلاقات الاجتماعية بمختلف أنواعها مهما تعددت، وهي في الوقت تحولت إلى علاقات تقوم على التبادل من خلال فكرة الإشــباع، وهي عبارة عن شــبكات جديدة ،تحكمها الفردية والأنانية: "تتسم الشبكات بأنها تتألف بصورة فردية ويجري تصفيتها أو تفكيكها بصورة فردية، وليس لها من أســاس يعتمد عليه دوامها ســوى الإرادة الفردية، وان كانت أســاس غير متين"[1](*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني*, ص 16).

هذا النوع من العلاقات الجديدة في أساساها تعبر عن فكرة الفردانية، لأنها تقوم على فكرة تحقيق المصالح الشخصية الفردية فقط والانصراف عن أي التزام أخر في المجتمع، من خلال الابتعاد عن كل المصوغات الأخلاقية:" فلا تبشر العلاقات الصافية بالتحرر المتبادل، بل بالفقدان المتبادل للحس الأخلاقي"[2].)*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني* ص 168)

من هنا كانت التشــريع الأخلاقي معاكســا لما كان في الســابق، فأصــبحت الأخلاق ســائلة مائعة لا تعرف الاســتقرار وثبات التشــريع الأخلاقي، مما جعل الأخلاق تتصــدع بتصدع الأسس والمبادئ التي تتأسس عليها، فأصبحت التشريعات الأخلاقية القديمة مجرد أساطير فقط يجب القضاء عليها، فأصبحت الأخلاق بتعبير باومان مجرد حكايات يمكن ســردها في الوقت الذي نريدها وفق مصــلحتنا الخاصــة، وبذلك عجزت عن إيجاد حل للوضــعية التي يعشــيها الإنســان الحالي ولا تظهر الأخلاق إلا في مرحلة الخطر فقط:" فالحكايات "الأخلاقية" في زماننا تدور حول الخطر الشــرير والطرد الوشــيك، حول اقتراب الناس من مرحلة العجز عن منع القدر"[3]. *(زيجمونت باومان، الخوف السائل*, ص 56)

---

[1]– زيجمونت باومان،وكارلو بوردوني، حالة الازمة، ص 168

[2]. زيجمونت باومان وكارلو بوردوني، حالة الازمة، ص 168.

[3]. زيجمونت باومان الخوف السائل ، 56

المفاهيم الأكثر غرابة والأكثر تأثيرا في مرحلة الحداثة الغربية، يتمثل في الأســـاس فكرة القطيعة، التي تؤكد على قطع كل الصــلات التي كانت قوية في الماضــي، والتي من بينها قطع الصـــلات والعلاقات الاجتماعية والمشـــاعر و العادات، التي ينظر على أنها تقليدية، و أن فعل التحديث يكون بفعل فاعل، لا يتمثل أســاســا في فئة اجتماعية أو طبقة معينة، وإنما يتمثل الفاعل أســـاســـا في فعل العقل، الذي هو يمكنه تغير التاريخ و الحالة الحالية للواقع[1] (*لان تورين، نقد الحداثة*, ص 3)

الكوارث الأخلاقية التي نعشيها في وقتنا الراهن، يعود سبباها في ذلك التحالف الذي الموجود بين الروح الحديثة ((فصـــل الســـحر عن العالم) والتكنولوجيا المتطورة جدا التي ساعدت على نمو هذه الكوارث الأخلاقية من قيامهما على قاعدتان أساسيتان هما :

– القاعدة الأولي: وهي تحيد الفعل الاجتماعي وإخراجه من القانون الأخلاقي وذلك بالتهوين من المعاير الأخلاقية وأستأصلها من المجتمعات، يعني جعل المجتمعات عارية من الأفكار الأخلاقية سواء نظرية أو عملية، قمع الحس الأخلاقي.

– القاعدة الثانية: وهي تجريد النفس البشـــرية الفردية من المســـؤولية الأخلاقية من تبعات أفعالها[2].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل*, ص 123)

يذكر في كتابه الخوف السائل عبارات يؤكد فيها الفرق الكبير بين الحكايات الأخلاقية القديمة، مع الحكايات الأخلاقية التي تســـود الراهن، وهي الأخلاق الســـائلة، مما يبن تلك الفجوة الكبيرة بين أخلاق الماضــي وأخلاق الحداثة الســائلة فيقول في ذلك:" كانت الحكايات الأخلاقية في الماضـي تدور حول الثواب والذي ينتظر الأبرار والعقاب الذي ينتظر الأشـرار، وأما ما يقدمه "الأخ الأكبر" و"الحلقة الأضــعف" من حكايات أخلاقية، وغيرها من حكايات لا حصــر لها، لأهل عالمنا الســائل، فتؤكد حقائق أخرى مختلفة، **أولا:** العقاب هو القاعدة،

[1]– ألان توران، نقد الحداثة، ترجمة، أنو مغيث، المشروع القومي للترجمة، مصر، 1998، ص 32

[2]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 123.

والثواب هو الاستثناء، فالفائزون هم من يستثنون من الحكم العام بالطرد، **ثانيا:** الصلات بين الفضيلة والرذيلة، والثواب والعقاب، إنما هي صلات واهنة وعشوائية، وكأن الأناجيل اختزلت في سفر أيوب ومصائب القدر التي حلت به من دون سبب"[1].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل ,,* ص56)

لقد سعت البيروقراطية الحديثة إلى إلغاء العواطف البشرية في العمل وساعت بكل طاقتها إلى منع كل الروابط الروحية الممتدة خارج العمل، ودعت إلى ضرورة الفصل بين السلوكيات الإنسانية وقواعد العمل وقوانينه المختلفة، لذلك كان لها هدف خفي يتمثل أساسا في تكون روح الجماعة بقوانين العمل كافية لتأسيس قانون أخلاقي منظم، للبيروقراطية العقلانية.[2] (*زيجمونت باومان، الخوف السائل,* ص 124)

هذه الفكرة بالضبط مطورة عن فكرة فيلسوف الأخلاق ايمانويل ليفناس " Emmanuel Levinas"، التي يساهميها :"عالم التقدير الأخلاقي"[3]،(*زيجمونت باومان، الخوف السائل,*ص 168) وهذه الصورة الأخلاقية الجديدة هي صورة انتشرت بشكل واسع في زمان وعصر الحداثة الصلبة، لكنها تفشت بشكل رهيب في الحياة الراهنة، دون هوتدة، فكل شيئا صبح تقدري يخدم المصلحة الخاصة.

يبين لنا في فكرة أخرى استنادا إلى الفيلسوف ايمانويل ليفناس بفكرة أساسية وهي التشبع بالأخلاق السائلة:" ولكن ليست هذه هي الكارثة الوحيدة التي تؤثر في الأفعال المتشبعة بالأخلاق في زمان حديث سائل"[4]، لقيام أخلاق الحداثة السائلة على المتلازمة الاستهلاكية، ذلك لوجود رغبة شديدة في النهم الاستهلاكي على حساب القواعد الأخلاقية

---

[1]. المصدر نفسه، ص 56.

[2]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 124.

[3]. المصدر نفسه، ص 168.

[4]. زيجمونت باومان كارلو بوردوني، حالة الازمة، ص 169.

والضـــمير الأخلاقي، لذلك تهب ما يســـمى بالواخزات، واخزات الضـــمير الأخلاقي، اتجاه المسؤولية الأخلاقية.

ويضف لنا باومان استعارة أخرى تتمثل في فكرة أساسية مفادها التي تلخص لنا زمن التكنولوجيا والقيمة الأخلاقية الرخوة من خلال مقارنة طفيفة بين ما كانت تفعله العقلانية البيروقراطية في زمان الحداثة الصلبة، وما تفعله التكنولوجيا في زمان الحداثة السائلة فيقول فيها: " فإذا كانت البيروقراطية العصــــر الحديث الصـــلب قد حيدت الآثار الأخلاقية للأفعال البشرية، فإن التكنولوجيا المتحررة في أزمتنا السائلة تفعل شيئا مشابها عبر توفير المهدئات والمسكنات الأخلاقية"[1]. (*زيجمونت باومان، الخوف السائل*, ص 126)

وهذه المسكنات والمهدئات الأخلاقية تعمل باستمرار تقديم حلول سريعة عابرة تمرمر السحاب، فهي تغرس اللامبالاة الأخلاقية في إيجاد ضوابط دائمة تقيد المجتمع ، ومن بين هذه المخدرات التي نجد معابر وأصنام الاستهلاك، التي تترجم الخيارات الأخلاقية إلى أفعال انتقاء السلع:" وياتي توفر المهدئات المسكنات الأخلاقية في صفة مجملة جنبا إلى جنب مع ضمير مرتاح وعميّ اخلاقي"[2]، ويقدم لنا عبارة تدل على هذا المخدر الأخلاقي الذي يؤكد على موت الوعي الأخلاقي من خلال فصل الحياة عن الأخلاق:" الحياة عديمة القيمة حيث أصبحت حياتنا تمثيل للمبدأ إذ موت شخص واحد، إنما هو مأساة، وموت ملايين الناس هو مجرد احصائية"[3]. (*زيجمونت باومان، الخوف السائل*. ص ،49 126)

لكن من جهة أخرى تلك الواخزات الأخلاقية لن تصـــــمد أمام عاصـــــفة العروض الاستهلاكية باستمرار دون انقطاع، وبالتالي هنا التوبة التي تحدد تتمثل في :" ومن هنا مرة أخرى تهب العروض الاستهلاكية لنجدة الأفراد، فيمكن التوبة عن خطئيه الإهمال الأخلاقي

[1]– زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 126.

[2]. المصدر نفسه، ص 127.

[3]– المصدر نفسه، ص 49.

وغفرانها بهدايا توفرها المحال التجارية، ذلك لان فعل التسويق يجرى تصويره على أنه عمل أخلاقي، مهما كان يتسم بالأنانية، ومهما كانت دوافعه الحقيقية و الإغراءات التي أفضت إليه"[1].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل*، ص 169)

من بين الفواصل المهمة في الوقت الراهن، الذي يسميه باومان، فكرة التخدير الأخلاقي، بفعل المتلازمة الاستهلاكية، التي قضت على المعالم الكبرى للأخلاق الواجباتية وبذلك تم الوصول إلى نوع جديد من العقاقير، التي يسميها بالعقاقير الأخلاقية:" وتستغل الثقافة الاستهلاكية الدوافع الأخلاقية الخلاصية التي أثارتها الخطيئة التي ولدت بنفسها والتي شجعتها وعززتها، وهي بذلك تحول كل المحال ووكالات الخدمات إلى صيدلية توفر للناس مسكنات وعقاقير تخديرية"[2].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل*, ص 170)

وهذه العقاقير الجديدة ليست وضفتيها تسكين الآلام، بل تقوم بفعل أخر جديد، يتمثل أساسا في تسكين الألأم الأخلاقية، وبالتالي انتقالنا إلى الإدمان على المسكنات الأخلاقية من خلال التحول الإفراط الاستهلاك من أجل نسيان كل المشاكل والهموم ووو:" تهدف العقاقير إلى تخفيف الآلام الجسدية وتهدئتها، ولما كان الإهمال الأخلاقي يزداد اتساعا وكثافة ، فان الطلب على المسكنات يزداد بلا انقطاع، ويتحول استهلاك المهدئات الأخلاقية إلى إدمان، وبذلك تتحول بلادة الإحساس الأخلاقي إلى أمر قسري أو إلى طبيعة ثانية..."[3].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل*, ص 170)

وراء هذا الانزياح الأخلاقي في الوقت الراهن والتخلي عن الوجبات الأخلاقية نتيجة التخدير الأخلاقي ، نجد أكبر المتضررين في ذلك شبكة العلاقات الاجتماعية أصبها الوهن والعجز، وبالتالي أصبحت هشة رثة، وذلك من خلال البحث عن البدائل المختلفة التي تعجز

---

[1]. المصدر نفسه، ص 169.

[2]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 170.

[3]. المصدر نفسه، ص 170.

عن بناء منظومة اجتماعية متماسكة، ولا يجديها إلى في بديل واحد وهو الاستهلاك فقط:" ومع إخماد الألام الأخلاقية قبل أن تتحول إلى ألام مزعجة ومقلقة، فإن شبكة الروابط الإنسانية المنسوجة من الغزل الأخلاقي تصبح هشة وواهنة، وتتفكك ومع تدريب المواطنين على البحث عن الخلاص من متاعبهم وحل مشكلاتهم في الأسواق الاستهلاكية"[1].(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني*, ص 170)

الفضيلة الأساسية التي حلت محل الفضائل الأخلاقية القديمة تتمثل أساسا في فضيلة السوق والتسوق، ومتابعة الموضة باستمرار:" فإن السياسة تنظر قد تنظر إلى رعاياها على إنهم مستهلكون في المقام الأول... ومن ثم تعيد تعريف الحماسة الاستهلاكية باعتبارها فضيلة الموطن، وبالنشاط الاستهلاكي باعتباره تحقيق المواطن لواجبه الكبير..."[2]، المواطن الصالح في نظر الدولة الحديثة، هو في ذلك الشخص الذي يجعل من الاستهلاك الشغل لتفعيل وتيرة التنمية الاقتصادية والتقدم والرقي، فالإنسان الفاضل في تصورها هو الإنسان الاستهلاكي، الذي يعيش في الفردوس الأرضي فقط.(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني/*, ص 170)

من مفارقات عصر الاستهلاك في الوقت الراهن، والتي تعتبر من الأمور الأكثر جذبا ظاهريا، وتقدم في صورة جميلة، ولكنها مؤلمة من جهة أخرى في الخارج، نجد أن المتلازمة الاستهلاكية تقوم أساسا على نشاط التسوق، الذي يقوم على فكرة حرية الاختيار اختيار السلع والأماكن والأشياء التي نرديها، وهذه الحرية حرية تامة دون الإجبار على شيء معين، ولكن من جهة أخرى نجد تلك الحرية التامة تتحول إلى إدمان يألفه المستهلكون، من خلال فكرة الإجبار اللاشعوري على الاستهلاك، وبالتالي الناس تبقي في سياق وسباق الاستهلاك الدائم، وهذا ما يبين أنه شر قاتل مميت سائل[3].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*,.ص 127)

---

[1]– زيجمونت باومان، وكارولو بوردوني، حالة الأزمة، ص 170.

[2]. زيجمونت باومان، وكارولو بوردوني، حالة الأزمة ، ص 170.

[3]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 127.

الصـراع من أهم الإفرازات التي لا تزول في الحياة الاسـتهلاكية السـائلة، من خلال الصـراع الدائم بين مجتمع المسـتهلكين ومجتمع المنتجين، فهو صـراع يتم من خلال التأثير والتأثر بينتهما، المسـتهلكين تقودهم الرغبة الجامحة للحصـول على الأشـياء، بينما مجتمع المنتجين تقودهم عملية تلبية الرغبات للمسـتهلكين:" فالمسـتهلكون الذين تقودهم الرغبة لا بد من إنتاجهم بصـورة متجددة على الدوام و بكلفة باهظة"[1]، القضـية هنا هي قضـية حرب خفية تقوم على جذب الأطراف فيما بينتهم، لذلك يقوم مجتمع المنتجين بالتضـحيات الجسـام من أجل كسـب أكبر قدر ممكن من المسـتهلكين، لاسـتمرارية وجودهم/ الحرب هنا هي حرب الوجود، إثبات الوجود يتطلب وجود الأخر، لا مجال للحديث عن مجتمع المنتجين، دون الحديث عن مجتمع المستهلكين، والعكس كذلك.(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*.، ص 129)

يشبه زيجمونت باومان العصر الذي نعيش فيه بحبة الافوكادو، التي يجني منها جوز الهند من خلال القسوة والخشونة الكبيرة التي تتمتع بيه:" كليات عصرنا أكثر شبها بالافوكادو القاسية اللب منها بجوز الهند قاسي القشرة"[2](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*. ص 30).

فقدان الذاكرة الأخلاقية في زمان السـيولة الرخوة له تأثير كبير في الحياة، ويتجلي ذلك في الفساد الأخلاقي الذي يؤكد على العبثية في الحياة من خلال التقارب الموجود بينه وبين الكوارث الطبيعية القديمة، التي تضـرب ضـربا عشـوائيا وبقوة دون القدرة على التنبؤ بيها، حيث لا يستطيع الإنسان منعه ولا يمكن فهمه ولا تفسره، :" الكوارث الصادرة عن أفعال البشـر تأتي عن عالم غامض، وتضـرب بعشـوائية في أماكن يصـعب التنبؤ بها، وهي لا تخضـع للتفسـير الذي يفصـل الأفعال البشـرية عن الأفعال الأخرى كافة أو تتحدى هذا التفسـير، وهو التفسير بلغة الدوافع أو الأهداف والأهم من كل ذلك أن الشـر الصـادر عن

---

[1]. المصدر نفسه، ص 129.

[2]. زيجمونت باومان، الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص 30.

الأفعال الأخلاقية للبشر يبدو غير قابل للإدارة بالأساس على نحو متزايد غير مسبوق"[1].(زيجمونت باومان، *الخوف السائل*,, ص 122)

منه يمكن ان نلخص هذا العنصـــر في القول الذي أكده الفيلســوف المعاصــر روجيه غارودي"Roger Garaudy" في كتابه حفاروا القبور،الحضـــارة التي تحفر لللإنســـانية قبرها إلى نقطة جد مهمة في نقد النزعة الاســتهلاكية في الغرب والتي اعتبارها أحد الشــرور التي تعبر عن إنحطاط الحضـــارة الارهنة في الغرب، من خلال الاســتشــهاد والعودة إلى الكتاب المقدس في العهد الجديد أو القديم، في الجملة التالية((ليس بالخبز وحده يحيا الإنســـان)) وهو بالطبع النقيض التام لرســالة المســيح عليه الســلام ، التي قامت وداعت إلى الزهد في الدنيا وضــرورة محبة البشــر فيما بينهم ومحبة الله ايضــا.[2](*روجيه غارودي حفاروا القبور، الحضارة التي تحفر للانسانية قبرها* .ص 74)

3.4.غياب البديل [3]:

من الأمور التي اشـــار إليها باومان في كتابه الحداثة الســـائلة إلى نقطة جوهرية اساسية تتمثل في التميز بين مرحلة الصـلابة ومرحلة السيولة، من خلال فكرة جوهرية يبرز فيها عمق الأزمة الراهنة، بوجود أزمة كبيرة في الوقت الراهن، وقد وضـــحها في هذه العبارة الصـــريحة:" إذا كان جوهر الحداثة في مرحلة الصـــلابة يتمثل في التحكم في المســـتقبل وتثبتيه، فإن شغلها الشاغل في مرحلة السيولة، يتمثل في ضمان إستقلال المستقبل وحريته

[1]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 122.

[2]ــــ روجيه غارودي : حفاروا القبور، الحضارة التي تحفر للانسانية قبرها، ترجمه: عزت صبحي، دار الشروق، القاهرة، مصر ،ط1، 1999، ص 74.

[3]ـــمن الامور المهمة التي يشير أليها زيجمونت باومان، في هذا السياق عن هذه الفكرة، ألا وهي غياب البديل، لذلك يقدم لنا عبارة التي تؤكد على أن الوقت الراهن، هو قوت يغيب فيه البديل تماما، بالنظر لأرتباطه بالحلول المؤقتة وســـريعة الزوال باستمرار:" لا يمكن تصور الحداثة إلا باعتبارها تحديثا وسواسيا قهريا متوصلا، إنها اسم مختصر لبناء طرق جديدة وطويلة تفوق دوما ماقبلها، وهي تتخفى في الغالب على أنها طرق مقتصرة، إنها لا تمنح سوى قوة مؤقتة وعابرة في الواقع– للعوائق، أنها تمنحها في أفضــل الأحةال مكانة القيود المؤقتة، فيجري احتمالها فترة من الزمن، ولكن ســرعان ما يتم إزالتها وتفاديها أو دفعها في الطريق بمزيد من العلم..."زيجمونت باومان الخوف السائل، ص 111.

ودرء التهديد الذي يمثله أي استغلال مبكر للفرص الخفية المجهولة التي ربما يأتي بها المستقبل أو التي لا بد أن يأتي بها"[1]،(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص28) وهذه العبارة الصريحة تؤكد على عمق الأزمة التي نعيش في مرحلة السيولة الجارفة، وهي أشبه بالعيش على الرمال المتحركة، التي يمكن أن تسير وتغير من مكانها باستمرار.

من الدلائل والقرائن التي توحي بفكرة عمق الأزمة وغيا الحلول العاجلة أو الأجلة هي ظهور صدمات متوالية في العالم، الذي يعرف مايسمى باحتضار المرجعيات المختلفة مهما كانت، بالاضافة إلى أنه وقت احتضار الواقع العقلاني، الذي من خلاله أصبحت الحياة منفتحة على عصر جديد هو عصر الاصطناع، من خلال الرقنمة والمديا وغيرها من الميادين الجديدة[2](*جان بودريار، المصطنع والاصطناع، 2008*).

من بين الإفرازات التي افرزها الشر السائل في الوقت الراهن هي ظهور مصطلح جديد يسمي ب بالابديل، والمتمثل في الغياب عن ايجاد استرتجيات ممنهمجة تساعد الإنسان من اجل القضاء على هذه السيولة الجارفة، والتي خلفت فوضى عارمة في شتى ميادين الحياة، و بالتالي فمجتمع الحداثة السائلة يفتقد إلى البديل، وهذا الذي يتجلي بشكل واضح في عنوان الكتاب (الشر السائل والعيش مع اللابديل).

الحياة الراهنة تعرف التغير المستمر، ولكن الصفة المشتركة هي غياب البديل من خلال نمط الحياة الراهنة التي تعرف حسب باومان بالحياة الطيبة، التي هي عبارة عن لعبة وضحية للجوالين المسلحين والصيادين وواضعي الأفخاخ، والتي تكون لها نتائج كبيرة تتمثل أساسا في بعض الغنائم، من خلال رفع الضوابط، و الوصول إلى الخصخصة الفردية في

---

[1]– زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 28.

[3]. جان بودريار، المصطنع والاصطناع، ترجمة: حوزيف عبد الله، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

كل مجالات الحياة، وذلك غزو القطاع الخاص في كل المجالات[1](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص 48)

من بين النقاط الأساسية التي توحي بغياب البديل في الوقت الراهن يتمثل أساسا في السرعة الكبيرة التي من خلالها تبدأ و تنتهي العلاقات الإنسانية، وذلك من خلال التصدع الكبير للمنظومة القيم القديمة، بسرعة تفوق السرعة التي تشكل بها الأشكال الاجتماعية الجديدة، فلا يمكن أن تحتفظ بشكلها ولا أن تتخذ أطرا مرجعية صلبة، مثلما كانت عليه في السابق، من خلال التحكم في أفعال البشر و مختلف الاستراتيجيات التي تبنى عليها الحياة الاجتماعية المعاصرة، وذلك بسبب الوقت القصير لصلاحية استخدامها[2] (*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*, ص 27).

الحضارة الراهنة في صراع دائم مع المشاكل المختلفة والمتوالية باستمرار، فحل المشكلة يكون فيما بعد عبارة عن مشكلة في حد ذاتها، وبذلك تنعدم مسألة الوقت في الحياة الراهنة، من أجل تدبر الظلام الواقع في النهاية البعيدة للنفق،هذه الحياة في أصلها تتميز بالعرضة الدائمة للتهديدات والكوارث التي تتربص بالإنسان الحالي، الذي يحاول حل هذه المشاكل، والتي سيكون لها تأثير كبير على الحياة المستقبلية، ومن منه يقدم لنا استعارة أخرى تتمثل في القول التالي: "والطريقة التي تتعامل بها الحضارة الحديثة مع تلك الكوارث تتبع قاعدة إحكام علق باب الإسطبل بعدما يخرج منه الحصان فجأة، وبعد هروبه بعيدا في الغالب بحيث لا يمكن الإمساك به ، كما أن روح التحديث المحموم تدرك أن هناك عددا متزيدا دوما بالتكاثر الذاتي من أبواب الإسطبل التي تتطلب إحكام الإغلاق".[3] (*زيحمونت باومان، الخوف السائل*., ص 111)

---

[1]– زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 48.

[2]. زيحمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 27.

[3]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 111.

غياب البديل في الوقت الراهن يتجلي في نقطة مهمة، يعشيها الإنسان الراهني، هي ما يطلق عليه في كتابه الحياة السائلة ما يسميه الحياة المملوءة بالمخاطر المخاوف، من خلال البدايات والنهايات التي تتجدد باستمرار في الحياة، مما جعل الحياة تفقد اليقين وتجعل الأفراد الذين ينتمون إلى الشبكات الاجتماعية تحاول باستمرار اللاحق عن الركب:" الحياة السائلة هي سلسلة من البدايات الجديدة، ولذا فإن النهايات السريعة المؤلمة التي لولاها لكانت البايديات الجديدة خارج طوق الفكر هي عادة أصعب لحظات الحياة السائلة وأوجعها، وهكذا فإن تعلم أسبقية التخلص من الأشياء على تملكها صار أحد فنون الحياة الحديثة السائلة وإحدى المهارات اللازمة لمارستها"[1] (زيجمونت باومان، *الحياة السائلة*, ص 22).

يقدم لنا مجازا أخر عن الحياة الراهنة باعتبارها حياة نحو الجري المستمر دون الوصول ألي الهدف المنشود، والمرتبط بشكل كبير بالمتلازمة الاستهلاكية، بفكرة مراطون الاستهلاك، لكن هذا المرطون من نوع خاص يختلف عن المراطون في السباقات، حيث أنك لا تستطيع الوصول ألى خط النهاية مهما فعلت، وذلك بفعل الإغواء المستمر للسلع الاستهلاكية، فكلما أوشكت على خط الوصول تتسع المسافة من جديد وتزداد أكثر فأكثر وكل ذلك يكون كان بسبب محاولة تحقيق الوعد المضلل المتلاشي بحياة خيالية من المتاعب، فإنه لا ينتهي أبدا هذا المراطون، مما يجعل هذا الإنسان يسعي باستمرار[2]،(زيجمونت باومان، *الحداثة السائلة*, ص 12) فأغلب عدائين هذا المراطون يمتلكون عضلات رخوة وضعفاء جسديا، لكنهم مجبرون على الركض باستمرار من الاستهلاك.

الإنسان الراهن الذي يربط حيات بالسلع الاستهلاكية في حد ذاته محاولة منه لتحقيق السعادة، التي من خلالها عبارة عن جري مستمر في مضمار سريع يحتوى على السلع الاستهلاكية، التي تجعل هؤلاء العدائين يستعرضون عضلاتهم القوية من أجل النهم في

---

[1]– زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 22.

[2]ـ المصدر نفسه، ص 127.

الاســتهلاك، وهذا بحد ذاته، دليل على هذا البديل الذي يقدمه المجتمع الاســتهلاكي، فكلما استطاع الشخص الوصول إلى مجموعة من السلع الاستهلاكية ضمننا منه أنه قد وصل لاحت في الأفق سلع أخرى تغريه من جديد تجعل من خط الوصول يتمدد مرة أخرى توهمه بتحقيق الوصول والسعادة الأبدية[1] . *(ZYGMUNT BOUMAN ,the art of life,polity ptess , 2008.pdf,* .p9)

كلمة الانسان السائل من أهم المصطلحات الأكثر حضورا في سيولة زيجمونت باومان، و هذه الاستعارة في حد ذاتها تعبر عن البؤس الكبير الذي يعانيه الانسان الراهني لذلك كانت من أهم الخصائص التي يتميز بها الإنسان السائل أنه انسان بلا روابط وبلا صفات، فهو إنسان دائم التحول من حالة إلى حالة أخرى، فهو إنسان بلا روابط ولا صلات دائما ما يعاني من الوسواس القهرى، الذي يجعله لا يثق في أية لحظة يعشيها، سواء كان ذلك في الحاضر أو في المستقبل، لذلك العصر الذي يعيش فيه الإنسان السائل هو عصر اللايقين، فكل شئ عنده يخضع للشك، لذلك كان شعاره هو أن كل شيء صالح لإشعار أخر[2].(*ياسر بكر، نظرية السوائل بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل,pdf*.. 2022ص09)

العالم الراهن الذي نعيش فيه هو عالم سائل، لا يعترف إلا بيقين واحد، ألا وهو اليقين بأن الغد ليس ما يمكن أن يكون ولا ينبغي أن يكون، بل هو ما يكون وما يكون اليوم تحديدا، لذلك يجب التدرب وتعويد النفس باستمرار على الاختفاء والذوبان والانسحاب والرحيل، وهذا يعني ضمنا، التدرب على نهائية الموت والإحياء والبعث الدائمين.[3](*زيجمونت باومان، الخوف السائل*، ص 28)

لذلك ترى فيلسوفة الأخلاق الفرنسية المعاصرة جكلين روس Jacqueline Russe في كتابها ((الفكر الأخلاقي المعاصر)) أن العصر الراهن هو عصر الانحرافات والتجاوزات

---

[1] ZYGMUNT BOUMAN ,the art of life,polity ptess , 2008 , p 9

[2]. ياسر بكر، الانسان السائل، بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، مصر، 2022، ص 09,

[3]زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 28.

في كل مكان فتقول في هذه العبارة:" إنحرفات حاضـرة في كل مكان في التطورات الراهنة"[1]، وهذه الشـهادة الحية تؤكد على عمق الأزمة في الوقت الراهن، فكل تطور وتقدم في مجالات الحياة ينمو بجانبه انحرفات في الحياة الاجتماعية بشـكل خاص، بعد فقدان بوصـلة الأخلاق.(*جكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر*، ص 130)

بالنسـبة لباومان فإن موضـوع الحداثة الحداثة ((الوقت الراهن))، يعرفها تعريفا يختلف تمام الاختلاف عن التعريفات السابقة، مبرزا فيها صفات السيولة الخاصة بالأجسام السـائلة، فيقول فيها:" هي الإيمان المتناهي بأن التغير هو الثبات الوحيد، وأن اللايقين هو اليقين الواحد، فإذا كانت في مئة عام الماضية، تعنى محاولة الوصول إلى حالة نهائية من الكمال ، فالأن الحداثة تعني عملية تحسـين وتقدم لا حدود لها من وجود حالة نهائية الأفق ومن دون رغبة في وجود مثل الحالة"[2](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص 26) .

مرحلة الحداثة السـائلة في أصـلها، هي مرحلة الغموض والإبهام، ومرحلة المشـاكل المختلفة، فهي تمثلات الواقع الراهن، ومنه نكون نحن الذين يعشـون في هذه المرحلة السـائلة عاجزون تمام العجز عن تصـور أية طرائق وطرق بديلة للتعامل مع المصـائب والمشاكل التي ستظهر في محالة في تتال وتوال مستمر وسريع في الحياة:" فنحن لا نعرف دواء يقاوم الآثار المفزعة لطريق ملتو باسـتثناء طريق ملتو أخر..."[3] (*زيجمونت باومان، الخوف السائل*, ص 112).

من البدائل الموقتة التي يقدمها التي تؤكد أن الشـر السـائل مرتبط بالمتلازمة الاسـتهلاكية، هي من خلال تقديم مجموعة من البدائل ذات الوقت المحدد المرتبط بالاستهلاك، والتي تجعل الأفراد مقيدون بمجموعة من السلع والأفكار التي من خلالها يصبح

---

[1]. جكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة: عادل لعوا، منشوات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 130

[2]– زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 26.

[3]زيجمونت باومان، الخوف السائل ، ص 112.

الإنسان مرتبط بها على مدار الوقت، حيث لا يستطيع حتي التفكير في نفسه أو في مشاكله، من الصـــبـاح حتى المســـــاء وهو غـارق في المتع الاســـتهلاكيـة التي تلهيـه عن كـل شـــيء[1]،(*ZYGMUNT BOUMAN ,the art of life,polity ptess , 2008.* p6) ومن هنا يتم تعويضه بالأطعمة الفاخرة والحافلات الراقية...

من خلال العدو المســـتمر نحو الاســـتهلاك من أجل تحقيق مجموعة من الوعود المادية، يصــبح فيما بعد عبارة عن إدمان حقيقي على المتع الاسـتهلاكية والأشـياء المادية المختلفة، ومنه الوصـــول إلى رغبة ولذة معينة باعتبارها جائزة تم تحقيها في هذا المرطون التي توهمك بأنك وصـــلت إلى خط الوصـــول، بهذا بحد ذاته وهم في مجتمع الاســـتهلاك ومنه تلك الجائزة الأولى الموهمة، تجعلك فيما بعد تفقد الكثير من الجوائز القيمة الأخرى، وكل هذا بفعل الإغواء، وبهذا تصـــبح الحياة في المتلازمة الاســـتهلاكية عبارة عن بحر لا شاطئ له، من خلال تحول الرغبة إلى امتلاك الأشياء إلى غاية في نفسها[2](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*،. ص 127).

الوصف الرائع الذي قدمه زيجمونت باومان للحياة الراهنة التي نعيشها، هي في تلك الاســـتعارة التي أخذها باومان، من أحد مفكري المعاصـــرين له، وهو"جاك أتاي"" Jacques Attali" وهي متلازمة تيتانيك، التي تعبر عن عمق الحياة المأســـوية التي تغيب فيها كل البدائل والتي تجعلنا نستشعر الأخطار باستمرار فبقول فيها:" تيتانيك هي نحن، إنها مجتمعنا الغربي المعتز بثقـافتـه، والفخور بعظمتـه/ مجتمعنـا الأعمى المنـافق الـذي لا يرحم فقراءه مجتمع يتوقع فيه كل شـــيء إلا وســائل التوقع... إننا جميعا نظن أنه يوجد جبل جلدي عائم

[1] – Zygmunt Bouman , the art of life, p6

[2]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 127.

يتربص في كل مكان ما في المستقبل الضبابي، وسنصطدم به وسنغرق في أصوات الموسيقى" [1](*زيجمونت باومان، الخوف السائل*ص 35–36).

الأمور الكبيرة التي تظهر في غياب البديل في الوقت الراهن، تتجلي أساسا في التغير المستمر في الظروف المعشية التي يعشيها الأفراد، نجدهم كل يوم ينتقلون من حالة إلى حالة أخرى في العيش، وبالتالي صرنا نعيش رابطة مشتركة تتمثل أساسا على أنه كلما تغيرت الحياة الاجتماعية للأفراد، كلما صارت الحياة أأكثر سيولة، مما يعني:" وهكذا تتغذى سيولة الحياة على سيولة المجتمع"[2](*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, ص 21)، ومن هنا كانت السيولة تستمد طاقتها وحيواتها من المجتمع، والعكس صحيح، كلما أن الحياة السائلة، لا تستطيع أن تحفظ على أفرادها من المخاطر المتعددة، وكلما قدمت حلا، سيكون قصير المدى.

بذلك يكون الباب أصبح مفتوحا أكثر من ذي قبل على غير احتمال، وذلك بتنامي الفوضى العالمية المتزايدة باستمرار دون توقف، لكن في الوقت الراهن أصبحت الفوضى غير معقولة وغير مفهومة تماما، من اجل البحث عن بديل ليها.[3](*ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية*, ص 16)

من الأمور التي تؤكد على غياب البديل راهنا من فكرة العطش المستمر نحو التغير، لأنه من الصعب راهنا البحث عن أنموذج يهدف إلى طلب النصح والإرشاد أصبح حاليا عبارة عن إدمان، لأن الأفراد في المجتمع الاستهلاكي الراهني، يتميزون بكثرة الطلبات على وسائل السعادة باستمرار:" البحث عن أنموذج بهدف طلب النصح والإرشاد إدمان فكلما طلبه المرء احتاج إلى طلبه وازداد شعوره بعد السعادة عندما يحرم من الإمدادات المخدرة المنعشة المطلوبة، فكل وسائل الإدمان فهي مجرد وسائل لإطفاء غليل العطش ولذا فإن

[1]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص ص35–36.

[2]– زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 21.

[3]. ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ص 16.

جميع ذاتيه التدمير إنها تدميرية إيه إمكانية مســتقبلية للإشــباع الفوري والارتواء"[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص 127)

لقد سـقط مفهوم "المجتمع السـائل" الآن في لغة الحياة اليومية، بأي حال من الأحوال من خلال لغة وسـائل الإعلام، ولا شـك في أنها وثيقة الصـلة بالموضـوع وتجعل من الممكن الإشـارة بكلمة واحدة إلى خصــائص المجتمعات المعاصــرة.يسـتخدمه، بمعنى محدد.يُقال إن المجتمع يتمتع بالسـيولة الحديثة إذا تغيرت المواقف التي يجد فيها الناس أنفسـهم ويتصـرفون حتى قبل أن تنجح طرقهم في التصرف في توحيد أنفسهم في إجراءات وعادات.لقد ظهر، في العصـر الصـلب للمنتجين، عندما تم اسـتبدال الحقبة السـائلة للمسـتهلكين، مما جعل الحياة نفســـها أكثر مرونة ، وحياة محمومة وغير مؤكدة ومحفوفة بالمخاطر، مما جعل الفرد غير قادر على تعلم درس. الإعداد والظروف التي حدثت فيها تتغير باستمرار.

ويصف الفيلسوف الفرنسي الراهني، في كتابه النهج انسانية البشرية والهوية البشرية، لما يسـميه العمى الشـديد للحالة الإنســانية الراهنة في عبارة شــديدة اللهجة توحى بخطورة الأمر:" ويسـير العالم سـيرا أعمى، ما فتئت عجلته تزداد بسـرعة، ويحرك المركبة الفضـائية (الأرض) أربعة محركات مرتبطة بعضـهن ببعض، وهي العلم والتقنية والصـناعة والاقتصـاد الرأسمالي"[2].(*النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية أدغار موران*,2019 ص 285)

والأمر نفسـه عند الأديب والفيلسـوف تيرى ايغلنتون في كتابه " عن الشـر" في عبارة وجيزة من خلالها يحدد الماهية الجوهرية للوقت الراهن فيقول فيها:" لا يوجد شـــيء يتم اصـــلاحه بشـــكل حقيقي في عصـــر مابعد الحداثة"[3]، وهذه العبارة الوجيزة في مغزها تحمل معنى كبير يتمثل في عمق الأزمة الراهنة لوقتنا، حيث يسـتحيل ايجاد بديل نهائي من خلاله

---

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 127.

[2]ـــــ ادغار موران، النهج إنسـانية بشـرية الهوية البشـرية، ترجمه: هناء صـبحي، هئية ابو ظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2019، ص 285.

[3]. تيرى ايغلتون، عن الشر، ص 33.

نقوم باصــلاح كل المشــاكل التي نعشــيها في حاضــرنا الراهن، لذلك لقبه باومان بعصــر اللابديل.(*تيري ايغلنتون، عن الشر*، ص 33)

منه يمكن القول في الأخير حســب الفيلســوف إدغار موران، أن الوقت الراهن في أساسه هو زمن نهاية الأساطير التي سطرت في العصر الحديث، وبذلك انتهت أساطير الحداثة، سيشهد هذا العصر الذي نعيش فيه اساطير جديدة أخرى مخالفة، و معظم الحلول التي نجدها تتحول بســرعة إلى مشــكلات[1](*ادغار موران، هل نسـير إلى الهاوية*, ص 29)، و بالتالي الوقت الراهن وقت اللابديل الذي يتخبط في الأزمة.

ومنه يمكن أن نلخص عنصر غياب البديل، في الوقت الراهن بالعبارة التالية للمفكر جميس مرتن في كتابه (معنى القرن الحادي والعشــرين)، في مقولة تؤكد على مانحن عليه من شــرور في حياتنا الراهنة:" والمعنى الكبير الذي يمكن أن نســتخلصــه في القرن الحادي والعشرين، يتمثل أساسا في بضرورة وضع مكابح في المكان المناسب، لكي نتأكد من أننا لن تدمر بصورة عرضية الجمال المطلق للمستقبل الطويل للجنس البشري"[2](*جيمس مارتن، معنى القرن الحادي والعشرين*،2011، ص 299).

ويقول في عبارة أخرى ينبها فيها إلى فكرة يمكن أن تكون بديلا جديدا نتجاوز منه عصر اللابديل، للخروج بأخف الأضرار، ليكون للقرن الحادي والعشرين معني جديد ومخرج من المأزق والمشــاكل الممتابعة، وضــعف أيجاد بديل للحياة الراهنة فيقول:" إنّ التحول من كوكب على مسار انتحاري، إلى كوكب يذر بذكاء هو معنى القرن الحادي والعشرين"[3](*جيمس مارتن، معنى القرن الحادي والعشرين* . ص 300)

نتائج الفصل:

[1]. ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ص 29.

[2]– جيمس مارتن، معنى القرن الحادي والعشرين، ترجمه: أحمد رمو، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2011،ص 299.

[3]– جيمس مارتن، معنى القرن الحادي والعشرين ، ص 300.

ليس هناك جديد في الشـر. لقد كان معنا منذ زمن سـحيق. ولكن هناك شـيء جديد بخصوص هذا النوع من الشر الذي يميز عالمنا الحديث السائل. إن الشر الذي ميز الأشكال السـابقة من الحداثة الراسـخة كان يتركز في أيدي الدول التي تدعي احتكار وسـائل الإكراه وتستخدم الوسـائل المتاحة لها لتحقيق أهدافها التي كانت في بعض الأحيان وحشـية وبربرية مروعة.

في مجتمعاتنا الحديثة السائلة المعاصرة ، أصبح الشر أكثر انتشارًا وفي الوقت نفسه أقل وضوحًا. يختبئ الشـر السـائل في طبقات القماش المنسوج يوميًا بالنمط السـائل الحديث للتفاعل البشري والتجارة ، ويخفي نفسه في نسيج التعايش البشري وفي سياق تكاثره الروتيني واليومي. يكمن الشر في الثقوب السوداء التي لا حصـر لها في الفضـاء الاجتماعي الذي تم تحريره بالكامل وخصـخصـته حيث حلت المنافسـة الشرسـة والاغتراب المتبادل محل التعاون والتضامن ، بينما تقوض الفردية القوية القوة اللاصقة للروابط بين البشر.

من الصـعب اكتشـاف الشـر في شـكله الحالي وكشـفه ومقاومته. إنه يغرينا بطبيعته العادية ثم يقفز خارجًا دون سـابق إنذار، ويضـرب على ما يبدو عشـوائيًا. والنتيجة هي عالم اجتماعي يمكن مقارنته بحقل ألغام: نعلم أنه مليء بالمتفجرات ...

يشـــير زيجمونت باومان إلى نقطة مهمة جدا يتم من خلالها التقاطع بين الشـــر السائل والوقت الراهن في عبارة تلخص لنا السيولة الراهنة للحياة الإنسانية:" باختصـار هناك شـروط مسـبقة للسـيولة الراهنة التي يتسـم بها الشـر وهي الانتشـار العام للاوعية الشـعيرية الموصـــلة للشـــر، وكثافة شـــبكتها، وهذه الشـــروط ترتبط ارتباطا وثيقا بالتطبيع الراهن الذي تدعمه الحكومات لعدم الامن الاجتماعي الوجودي فثمة شـــعور بعدم الاســـتقرار والامن في العمل وفي الامور المالية وفي الثقافة بوجه عام ، شـــعور بالتعليق الذي يبدوا أنه يشـــبه احد قوانين الطبيعة لاشـيئا من صـنع البشـر"[1]،(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,.ص 93)

[1]- زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع اللابديل ، ص93.

الشر السائل يتعايش ويتناغم مع البشر بطريقة لاشعورية، حيث تجد نفسك مرغما والتطبيع معه؟

من الأمور التي تؤكد على غياب البديل في الوقت الراهن يتمثل أساسا في التغير المستمر للقيم المتوارثة المعترف بها، وكل ذلك تحقق وفق المتلازمة الاستهلاكية، التي كرست لقيمة الزوال المستمر على حساب قيمة الدوام، حيث قصرت المتلازمة الاستهلاكية من المدة الزمان من كل شيء في الوقت الراهن [1].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, ص 116)

[1]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 116.

الفصل الثاني

الهولوكوست والشر السياسي الأخلاقي، إنهيار أسطورة التقدم والافراط العقلاني عند زيجمونت باومان

تمهيد:

1.الهولوكوست باعتبارها مصدرا للشر.

2. الهولوكوست وانهيار التقدم العقلاني

3.الهولوكوست والعمى الأخلاقي

نتائج الفصل

تمهيد:

عرفت مرحلة الحداثة الكثير من التغيرات في مســارات الحياة الإنســانية، من خلال الانتقال من مرحلة القرون الوســطى، إلى مرحلة الحداثة الصــلبة، وتم وضــع الكثير من القوالب الجديدة للحياة، التي حاولت أن تجعلها أكثر صــلابة وقوة لللانســان، ومن بين هذه القوالب التي وضعت كأساس للمشروع الحداثي، مقولة التقدم، التي تعبر عن شغف الإنسان الحديث في بناء حضـــارة لم يســبق لها مثيل، لكن مع مرور الوقت إنقلب الســحر على الســاحر، فلم تبقي هذه المقولة صــلبة بما فيه كافية، وأصــبحت ســائلة في الوقت الراهن، وتتجلى هشاشة مقولة التقدم في تلك الأحداث المأسوية التي حدثت في القرن العشرين، والتي تعرف الهولوكوســت، التي كانت من إنعكاســات المشــروع الحداثي الغربي، وتحولت مقولة التقدم إلى مجرد أســطورة من أســاطير العقلانية الحديثة، التي ذبت وتلاشــت مع تنامي الفرادانية وظهور الأنظمة الشــمولية التي قلصــت من هذه المفاهيم وضــيقت عليها، ومنه كانت الهولوكوسـت أحد التعابير التي وقف عليها باومان ليعبر عن الشـر الجديد السـياسـي المنظم وفق النظام البرروقراطي الحديث، الذي يســتبعد كل الأنظمة الأخلاقية، ومنه نطرح الأسـئلة التالية: **كيف يمكن اعتبار أن الهولوكوسـت مصـدرا من مصـدرا من مصـادر الشـر السائل؟**

أين تتجلى علاقة الهولوكوست بالمشروع الحداثي الصلب؟
وكيف كانت الهولكوست تعبيرا عن العمى الأخلاقي؟

1-الهولوكوست[1] باعتبارها مصدرا للشر.

كان موضـــوع المعانات الإنســـانية من بين أهم المواضـــع الأكثر تداولا في جميع كتابات زيجمونت بومان، والتي يمكن وصـــفها بأنها تنتمي إلى"علم اجتماع المعاناة"، من الكتابات المبكرة حتى آخر كتاباته الفلسفية الأخيرة ، تشكلت معاناته مصدر قلق رئيسي في وصـــفه لتحول المجتمع من حديث صـــلب إلى حديث ســـائل، هناك تحولات معينة وهذا ما يعتبره تجسيدات أو تعبيرات عن المعانات، وبالتالي هناك عين حريصة على المشهد المتغير للمعاناة، وأسبابها وعواقبها، من الماضي إلى الحاضر، ولكن مع ذلك، هناك دائمًا دفاع قوي ومستمرعن أولئك الذين يعيشون في الضواحي أو في قاع المجتمع .

من المنطلقات الأســـاســـية، التي قامت عليها الحداثة الصـــلبة في الغرب، هي في الإيمان التام بالواقع المادي، دون الحاجة إلى أي تفســـير روحي يعتمد على الغيب، وهذا الواقع المادي حســـب الإنســـان الغربي في مرحلة الصـــلابة ينتظر إليه على أنه وحدة كاملة متماسـكة، ويسـتطيع فهم وتفسـير هذا الواقع المادي المتماسـك الصـلب بواسـطة العقل[2].(عبد *الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة،2003،*ص 17)

ويشـــير ريتشـــارد ترناس"Richard Ternase" في كتابة "**آلام العقل الغربي**"، الذي هو عبارة كتاب يتمثل في الإنتقال الذي عرفه الغرب في مســـيرته التاريخية، من خلال التغير

---

[1]ـــ يشير زيجمونت بامان في كتابه الأخلاق في عصر الحداثة السائلة إلى التأكيد المفهوم الخاص لكلمة الهولوكوست، التي ظهرت في الحرب العالمية الثانية ، من خلال الجرائم التي قامت بها السلطات النازية ضد اليهود:" في اربعينيات القرن العشـــرين، جين تســـربت شـــائعات القتل الجماعي لليهود عبر الاراضـــي الأوروبية التي يحتلها النازيون إلى خارج تلك الأراضـــي، اســـتعيدت مفردة " الهولوكوســـت" (المحرقة) التي وردت في الكتاب المقدس واعيد توظيفها لتســـمية جديدة ما حدث، ولم يكن لذلك الحدث سابقة في التاريخ المدون ولم يكن لها من ثم مقابل في المعجم." ص 116. ويقول ايضـا في الصفحة نفسها \انه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية على ان كلمة الهولوكوست التي تعتبر جديدة و قديمة في الوقت نفسه قبولا واسعا في العالم، والتي تعبر عن التدمير الفظيع الذي تلقتاه اليهود الأروبيون ما بين 1940 و1945، مجرد سماع كلمة الهولوكوست في النصف الثاني من القرن العشرين يعبر مباشرة ازمة اليهود.

[2]ـــ عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، ط1، 2003، ص 17.

المستمر في الرؤى إلى الكون، ويشير بذلك أن العالم الغربي في العصر الحديث عندما إنتقل من مرحلة القرون الوسطى إلى العصر الحديث، إعتمد على مجموعة من الأسس ومن بينها نجد أنه قد تم إحلال العلم محل الدين، باعتبار العلم المرجعية الأساسية الأولى التي يجب الرجوع إليها في الحياة، وحل في المرتبة الثانية عقل الإنسان من خلال الرصد التجريبي محل العقيدة الدنية اللاهوتية والوحي المقدس، بوصف العلم التجريبي والعقل الوسيلة الرئيسية لتفسير الكون، وبالتالي تم زحزحة الأبعاد الأنطولوجية والميتافيزيقية في الحياة الحديثة [1]، وبالتالي الرؤية الحديثة كانت بمثابة نقلة جديدة في الشر من خلال الإيمان بالبعد المادي للإنسان. (*ريتشارد تارناس، ألام العقل الغربي.,* ص 342)

في عام 1998، أطلق زيجمونت باومان مصطلح جديد وهو مصطلح"الحداثة السائلة" ليحل محل مصطلح "ما بعد الحداثة" الذي إستخدمه حتى ذلك الحين، وبنبرة نقدية حازمة. تتعارض الحداثة السائلة مع "الحداثة الصلبة" التي كانت توجد فيها أشكال اجتماعية مستقرة ومحددة جيدًا. في الحداثة السائلة[2].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*, ص 26–27)

أحدى السمات البارزة للثقافة الغربية هي المرحلة الحالية الحداثة هو الاستخدام الواسع لفكرة ما بعد الحداثة من قبل المثقفين، الحديث عن ما بعد الحداثة لا يعنى أن الحداثة انتهت، والأكثر دقة أن نقول إن ما بعد الحداثة هو المفتاح للفكرة التي يستخدمها المثقفون الغربيون الذين يحاولون التعامل مع تأثير مجموعة من التغييرات الهائلة في "الصورة

---

[1]. ريشتارد تارناس، آلام العقل الغربي، ص 342.

[2]— يشير دفيد ليون في حوراه مع ويجمونت باومان في الكتاب المسمى بالمراقبة السائلة، بسؤال جوهري وأساسي، عن اي حداثة نتحدث؟ فيجيب على ذلك من خلال الاعتماد على قول باومان في المقولة التالية من الصفحة 26 و27 من الكتاب فيقول:" عن اي حداثة نتحدث؟ فالظروف الراهنة يمكن أن نصيفها بانها حداثة (لاحقة) وقد مصفها بعبارة ((ما بعد الحداثة))، أو ربما نصفها بطريقة اكثر اثارة وتشويقا باعتبارها (الحداثة السائلة)، ويرى باومان أن الحداثة قد تحولت إلى الحداثة السائلة بطرق جديدة مختلفة(تتجاوز الرؤية الحديثة الباكرة لكل من كارل ماركس وفريدريك انجلز، والعبارة الشهيرة الورادة في البيان الشيوعي ": كل ماهو صلب يذوب ويختفي))

الكبيرة" للحداثة خلال العقود الثلاثة الماضـية من القرن العشـرين[1]. (*Dinnis Smith ,Zygmunt Bouman prophet of postmodernity.pdf,* 9)

يتم دمج الفرد إجتماعيا بفعل الاسـتهلاك الخاص به ويتم تحديده من خلال خياراته؛ ولكن مطلوب منه أن يتخذ باسـتمرار إختيارات جديدة تتقلب بسـرعة وفقًا للمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية. التواصل الاجتماعي السائل يتميز بالحرية، للأسف يدفع ثمنها عدم اليقين والتغيير وعدم الإستقرار وإنعدام الأمن، يمكن لأي شـخص أن يجد نفسـه بدون قيمة اجتماعية ويؤدي إلى التهميش.

الحداثة الغربية (الصلبة) Modarnetr والتي تسمى في الحداثية Modarnisie، والتي قامت على فكرة أسـاسـية وهي عبارة عن أيديولوجية تتمثل في إلغاء لفكرة الذات وفكرة الإله وبالتالي لا يمكن الحديث عن كائن إسمي فوق الإنسـان، وكل تفسير يجب أن يقدمه العقل فلا مجال للسـحر والشـعوذة في العالم الحديث، الفرد والمجتمع والعالم كله يخضـع لقوانين الطبيعة، التي تكتشـف عن طريق العقل وهذا هو شـعار فلسـفة التنوير[2].(*الان تورين، نقد الحداثة*.. ص 32)

يصل زيجمونت باومان إلى نقطة مهمة جدا في كتابه الحداثة والهولوكوست، مفادها في نظرية إنتاج المعنى، ويكشـف إلى أنّ الهولوكوسـت من نتاج وإنتاج المشـروع الحداثي التنوري ليس إلاّ، والدليل الذي يقدمه على ذلك باومان يتمثل أسـاسـا في مشـاركة الكثير من اليهود في المحرقة، لذلك كانت الهولوكوست قضية سيادة الحداثة في ذلك الوقت[3].(*ياسر بكر، نظرية السوائل بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل pdf,*.د.ت, ص 44-45)

ويعرف المفكر المصـري عبد الوهاب المسـيري في موسـوعته اليهود اليهودية والصـهيونية، أن الهولوكوسـت: "هي كلمة يونانية تعني (حرق القربان بالكامل) وهي بالعبرية

---

[1] – Dinnis Smith ,Zygmunt Bouman prophet of postmodernity ,polity press , p 9.

[2]. ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنوار مغيث، المشروع القومي للترجمة، مصر، ط1، 1998، ص 32.

[3]. ياسر بكر، نظرية السوائل بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، ص ص44-45.

(شـواه) وتترجم إلى العربية أحيانا بكلمة المحرقة، وتستخدم كلمة (هولوكوست) في العصر الحديث عادة للإشارة إلى إبادة اليهود، بمعنى تصفيتهم جسديا على يد النازين"[1](*موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية عبد الوهاب المسيري 2*, ص 397)

إن التأمل البسيط في الحضارة المعاصرة يفضي إلى أمر بديهي وهو أن هذه الحضارة أصـــيبت بأزمة عميقة، هي أزمة مرجعية، بدلا من أن ترتبط بالجانب الروحي والأخلاقي، وبمنظومة القيم، بدلا من ذلك ألهت الإنسان والواقع، لا مرجعية خارج الإنسان وخارج الواقع، القيم كلها تســتمد وجودها من الإنســان والواقع، ومنه تكون مرجعية الإنســان هي المرجعية الحاكمة في الفردوس الجديد الموجود في الأرض، وتكون معايره وأسسه وفق ما يحدده عقل الإنسان.

لذا أصبحت المنفعة المادية هي الغاية القصوى، كما أصبح الإنتاج والاستهلاك غاية تطلب لذاتها، فمسخت المفاهيم، وأصبحت الحضارة لا تعني إلا الشق المادي فقط ليصبح الإنســان في ظلها شــيئا تافها، تحكمه النوازع الهابطة، والأنانية الماردة، وتوترت العلاقات الإنسانية، وساد منطق الصراع بدافع الأطماع الخسيسة في ظل التمدن والتحضر وما صـــاحب ذلك من رفع شـــعارات حقوق الإنســـان، وهذا كان له أثره الطبيعي في إفراز كل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي استعصت على الحل.

من السمات الأساسية في عصر الحداثة الصلبة، هي إمكانية ترتيب الواقع ترتيبا هرميا من خلال المعيارية التي يستمدها الإنسان من ذاته وحتى من الطبيعة، أما في عصر الحداثة السائلة (من النصف القرن الثاني للقرن العشرين إلى غاية الوقت الراهن) فلا يوجد أي نظام مهما كان أفقي أو عمودي فكل شيء عشوائي، فلا تظهر ولا وجود للمعيارية بقدر ما توجد إرادة القوة التي تهمين على كل شـــيء والتي تحاول أن تتكيف وفق الفلســـفة البراغماتية، وهذا ما تجلى في ظهور الذاتية المنغلقة (الأنظمة الشـمولية) التي تســاوي بين

[1]. عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، ج5، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص 397.

الكائنات، من خلال التحكم التام في هذه الكائنات، فلا فرق بين النساء والشواذ والقرود...)[1](
عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة pdf, د.ت, ص 85).

مثلما أشرنا في السابق إلى مجمل الوعود الكبيرة التي حاولت الحداثة الصلبة تحقيقها على أرض الواقع بداية من عصر التنوير إلى العصر الحالي، نجد أن الحداثة الغربية برمتها قدر قد تخلفت عن الوعود التي قطعتها عن نفسها، وهذا ما أشار اليه كارل بوردوني في أثناء حواره مع باومان في كتاب حالة الأزمة ويقول فيه: "سحبت الحداثة وعودها، واستخفت ما بعد الحداثة بتلك الوعود، بل وسخرت منها، وملأت الفجوة بمظاهر براقة وصور وألوان وأصوات، واستبدلت الجوهر ليحل محله المظهر، والقيم ليحل محلها المشاركة"[2]، الحداثة الغربية لم تستطيع أن تحافظ على تماسكها كما ينبغي[3].
(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ا* pdf, د.ت, ص 65–136)

يلخصها باومان في كتابة الحداثة السائلة، الذي يعتبر ركيزة أساسية في كتاباته، من خلال فهم ثنائية السيولة والصلابة في العصر الراهن:" خلاصة القول إذا كان جوهر الحداثة في مرحلة الصلابة يتمثل في التحكم في المستقبل وتثبتيه، فإن شغلها الشاغل في مرحلة السيولة إنما يتمثل في ضمان، استقلال المستقبل وحرتيه، ودرء التهديد الذي يمثله أي

---

[1]ـــ عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1 ، 2003، ص 85.

[2]. زيجمونت باومان كارل بوردوني، حالة الازمة، ص 65.

[3]– اثناء استعراض زيجمونت باومان لفكرة التقدم ، يشير على نقطة في غاية الاهمية، حول فكرة وأسطورة التقدم التي بنيت عليها الحداثة الغربية الصلبة في عصر التنوير، عن الاختلاف الكبير بيننا و بين اسلافنا في نظرتهم نحو اسطورة التقدم فيقول في هذه العبارة الدقيقة:" لقد كان أسلافنا قابعين داخل اسطورة التقدم، ولذا كانو ينظرون إلى المستقبل بعين الأمل، وأما نحن فننظر إليه بعين الخوف، وإذا ماورد مصطلح التقدم في فكرنا أو كلامنا، فعادة ما يكون في سياق شعورنا بخطر الطرد أو السقوط، في مركبة متزايدة السرعة من دون جدل زماني ثابت، ولا مواعيد موثوقة، ولا لافتة بوجهه جديرة بالثقة"، –المصدر نفسه، ص 136.

إســتقلال مبكرا للفرص الخفية المجهولة التي ربما يأتي بها المســتقبل أو التي لا بد أن يأتي بها"[1](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 28).

يشير زيجمونت باومان إلى نقطة مهمة وحساسة في القرن العشرين على أن الدراسات التي تناولت الهولوكوست ماهي إلا افكار سطحية عرضية دون الاشارة إلى الأسباب الخفية للحادثة، وهي عبارة تدل على أهمية التعمق في دراستها دراسة عميقة تفسر مجمل الأسباب التي دعت النازية إلى إرتكابها، والبحث عن الاساب والمبرارت والنتائج في ذلك.

قدم زيجمونت باومان في كتابهِ سالف الذكر أطروحة جديدة تعتمدُ على إبراز مسؤلية المجتمع الغربي والعقل الغربي بل ومشـــروع الحداثة الغربية بأكمله عن جريمة الإبادة في الهولوكوســـت. فالعقلانية التي دعت لها حركة التنوير وتطورت عبر قرون هي عقلانية محايدة أخلاقياً بمعنى أن تلك العقلانية تعمل بلا ضـمير وبلا وازع وهي تسـتلهم مشـروعها من الحياد العلمي الجاف والبارد الذي يرى الإنسان ويتعامل معه وفقاً لرؤية مادية بحتة ومن هنا كانت الأزمة:" وقد حققت المادية نجاحاتها في العصـــر الحديث، لأن النموذج المادي عنده مقدرة تفســيرية هائلة، إذا نظرنا إلى الجانب المادي في حياة الإنســـان"[2].(*عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان* ,*pdf*.د.ت, ص 20)

كان النازيون يدركون تمام الإدارك أن النظام النازي من خلال ممارسـة الإبادة ماهي إلا ثمرة من الثمرات التي لاتعد ولا تحصـــي من التشـــكيل الحضـــاري الإمبريالي الغربي الحديث، لذلك وجدت فيها كل الأســـباب لقيام هذه المحرقة[3]، ومنه تم تنفيذ هذه المحرقة في إطا مشـروع فلسـفي منظم وهي الامبريالية الغربية لتحقيق روئية مادية محضـة.(*موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية عبد الوهاب المسيري 2* ,*pdf*., ص 405)

---

[1]- زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 28.

[2]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، ص 20.

[3]. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهونية، ص 405.

الهولوكوست جاءت تعبيراً عن فشل مشروع الحداثة الغربي حيث تماهي العقل الغربي على مستوى الأفراد والمؤسسات مع الأوامر الصادرة إلية من سلطة عليا بإقتراف جرائم غير أخلاقية يراها هذا العقل علي أنها أمورٌ روتينية لايسأل هو عنها ولا يشعر بأي تأنيب للضمير عند تنفيذها.

لقد بشرت الحداثة الصلبة بالتأكيد بفترة زدهار العلوم، وهذه العلوم الحديثة أدى التقدم إلى تحسين نوعية حياة الإنسان بشكل كبير، ولكن كما أظهرت الهولوكوست بإسهاب، هذه المحركات الحديثة، إذا تركت دون رادع، يمكن أن تنتج أكبر الرعب في الإنسان التاريخ. بالنظر إلى ما نعرفه عن الحداثة، والطريقة التي يتم بها التقدم الحديث لقد غيرت العالم من حولنا، بالنظر إلى أن الحداثة قد غيرت كل جانب من جوانب حياتنا تقريبًا، هل يمكننا حقًا أن ندعي أن الأخلاق ظلت كما هي[1]. (*Tizelle Franken.Evi. Moralety .and modarnety.pdf,* 2012.118)

يعتبر الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي بمصطلح بأن النازية من أكثر الأشياء غموضا في أروبا في القرن العشرين، من خلال هذا القول الصريح:" مازلت النازية فلكا غريبا في سماء أروبا، وهبوطا إستتثنائيا وغير معقول للشيطان، وهذا إذ لم نر فيها تعبيرا همجيا عن منطق النظام الذي يسعى له الغرب بعد الإنشطارات التي حطمت وحده العالم وفي الوقت نفسه أعطت (كاريكاتور) لسيطرة الشخص الواحد"[2].(*روجيه غارودي، كيف نصنع المستقبل*, *pdf*,. 2002ص 67)

تعتبر الهولوكوست (الإبادة) من أكثر أشكال العقلانية الترشيدية شراسة في التاريخ والتي تجلت في القرن العشرين، وذلك من خلال ظهور الدولة القومية التي تستقل عن حياة الإنسان، باعتبار هذا الأخير كائن مركب، حيث تفقد هذه الدولة الجديدة (سواء كانت

---

[1]Tizelle Franken.Evi. Moralety .and modarnety. March 2012. 118.

[2]ـــ روجيه غارودي، كيف نصنع المستقبل، ترجمه: منى طلبة وأنوار مغيث، دار الشروق القاهرة، مصر، ط3، 2002، ص 67.

رأسمالية أو اشتراكية) أي مضمون إنساني، وتكسب لنفسها مضمونا ماديا، حيث تعلن أن مصلحة هذه الدولة فوق الجميع دون استثناء، حيث تسعي جاهده تحويل إلى مجرد وسيلة لا قيمة له ولا أهمية له في الحياة.[1](*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* ,*pdf*., ص 15)

الهولوكوست ليست مجرد لحظة حدثت في رمشه عين في أرويا، و إنما هي نتيجة لمشروع الحداثة الصلبة، من خلال تطبيق ما يسمي بفكرة تحديد المعايير داخل المجتمع الحديث:" كانت رؤية ترسم نظاما كاملا يوفر المعايير لفصل " الصالح" من " من غير الصالح" المواطن الذين تستحق حياتهم أن تدافع عنه وتدعم عن أولئك الذين لا يمكنهم أن يقدموا خدمة لتقوية النظام الجديد، وإنما كان من المحتم بدلا من ذلك أن يفسدوا انسجامه"[2]،)(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 120) مما يدل أنّ الهولوكوست كانت مدروسة في السابق في عملية التطهير والإبادة، من خلال الإبادة والتخلص من الأجناس والقوميات المعادية للحداثة والمشروع التنويرى.

يفسر باومان العملية الممنهجة التي تقوم بها الدولة الحديثة من خلال مؤسساتها بتحويل الأفراد العاديين، الذين لا يتسمون بالضرورة بالفساد الأخلاقي، إلى قتلة مجرمين من خلال ما يسمى بـ(الانضباط المؤسس). تكريس (مبدأ) ضرورة الإلتزام بأوامر الرؤساء والإخلاص للمؤسسة يعمل على تجريد ضحايا العنف من الصفات الإنسانية ويصبح الإنضباط والتماهي مع المؤسسة هو الفضيلة الأخلاقية التي تفوق أي فضيلة أخرى.

لكن فكرة الإبادات الجماعية كانت معرفة عبر التاريخ البشري، لكن الإبادة الجماعية لليهود في أروبا بين 1933 و1945 المعروفة بالهولوكوست، كانت مختلفة عن الإبادات الجماعية في التاريخ الماضي، لأن فكرة الهولوكوست كانت تحت إطار ما يسمى بإطار

[1]. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج1، ص 15.

[2]– زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 120,

المجتمع الحديث[1] لأنه:" كان ذلك من المستحيل تقريبا دون مخترعات حديثة ومميزة كالتقنية الصناعية دون البيروقراطية، بتقسيمها الدقيق للعمل، والتراتبية الصارمة للأوامر والانضباط وكذلك تحييد القناعات الشخصية (الأخلاقية) والطموح الإداري لإخضاع الواقع الاجتماعي لأنموذج من الأنظمة مصمم عقلانيا "[2] (*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,*pdf*.د.ت, ص 120،121)

النموذج الكبير الذي ساعد بشكل كبير القتل الباتر، الذي تجسد في الهولوكوست وذلك النموذج المهيمن على الحياة في القرن العشرين والمتمثل في العقلانية الأداتية، التي كانت لها جذور في العصر الحديث، التى كانت لها الدور البارز في تشجيع الإبادات بكل أنواعها، من خلال توفير الوسائل التكنولوجية، وإبعاد الناس عن كل العواطف والمشاعر في مثل هذه الأحداث [3]، ويضف أيضا عبارة في غاية الأهمية على أن القتل الباتر في الوقت الحالي كان نتجه من نتاج المجتمع: "القتل الباتر، هو اليوم أثر جانبي، إفراز، وناتج تألف من إنتاج المجتمع"[4](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص -143-142)

في محاولة تفسير هيمنة العقل الأداتي على المجتمعات الغربية الحديثة، يرى أعضاء مدرسة فرنكفورت "L'école de Francfort" أن أحد أهم أسباب ظهور آليات التبادل المجردة في المجتمع الرأسمالي، فتبادل السلعة يعني تساوى الأشياء المتبادلة، فما يهم في السلعة ليس قيمتها الاستعمالية، وإنما ألأمر المهم جدا يتمثل في الثمن المجرد، من هنا كانت الهولوكوست أكثر ارتباطا بالمنظومة المادية التي تسهلك كل شيء[5].)*عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان* ,*pdf*.د.ت, ص 87)

---

[1]– زيجمونت باومان، الحداثة و الهولوكوست، ص 120.

[2]– المصدر نفسه، ص 121.

[3]– زيجمونت باومان، الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص 142,

[4]. المصدر نفسه، ص 143.

[5]. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص 87.

(منه كان النظام النازي الذي قام بتنفيذ هذه الابادة (الهولوكوست) والسير بالتساوي مع التقدم الرأسمالي في الغرب بصفة عامة[1] (روجيه غارودي، كيف نصنع المستقبل pdf, د.ت, ص 75)

يذهب زيجمونت باومان إلى الاشارة والتأكيد على أن عمليات القتل الجماعي التي قامت بها النازية في ألمانيا في القرن العشرين، ماهي إلا تعبيرا حقيقيا عن الجانب المظلم والسوداوي للحداثة الأنوارية، مع الظروف المصاحبة للبروقرطيات الواسعة النطاق، مع النمو الواسع النطاق للتكنولوجيا المكثفة والسيطرة الإديولوجية في الغرب بصفة عامة[2]،(جوردن مارشال، موسوعة علم الإجتماع pdf, د.ت, ص 2000 76) وتلك السيولة المستمرة والتي يتعذر إدراكها للمجموعة من الأشياء، فقد قامت الحداثة بصياغتها في شكلها الإبتدائي في صورة جامدة وثابتة[3].(نيكولاس جين، مستقبل النظرية الاجتماعية pdf, د.ت, ص 49)

لم تكن الهولوكوست في بالطبع مجرد حادثة سياسية عسكرية عادية مثل بقية الحوادث الحربية الأخرى، من خلال إشراك العديد من الرجال والنساء والأطفال... في عملية القتل والإبادة والتصفية، لكن بالعكس من كل ذلك الهولوكوست أمر غير عادي تماما في القرن العشرين، لأن الطريقة التي تم تطبيقها وتنفذيها لم تكن عادية، فهي طريقة جديدة ممنهجة بشكل صارم، فهي تؤكد على عقلانية الدول الحديثة التي كانت نتيجة من نتائج البروقراطية الحديثة، الهولوكوست بشكل مختصر: " أداة موجهة نحو تحقيق غايات معينة"[4](تيري ايغلتون، عن الشر pdf, د.ت, ص 111)

---

[1]. . روجيه غارودي، كيف نصنع المستقبل، ص 75.

[2]ــــ جوردن مارشال، موسوعة علم الإجتماع، المجلد الأول : ترجمة(مجموعة من الأساتذة) المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص 76.

[3]–نيكولاس جين، مستقبل النظرية الإجتماعية، ترجمة: يسرى عبد الحميد رسلان، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014. ص 49.

[4]. تيرى ايغليتون، عن الشر، ص 111.

من النقاط الأساسية المهمة في النموذج المعرفي الحديث الترشيدي الاستناري، يقوم على ثنائية أساسية، بين فعل التنظير وفعل التطبيق، فعل التنظير يسبق منطقيا وآليا فعل التطبيق، ففعل الترشيد العقلاني الذي تم في القرن العشرين في أحداث الإبادة، تم وفق إطار معرفي طبيعي مادي بحت، بواسطة الإعداد النظري في عملية ترشيد وعقلانة العقائد والتفاسير المختلفة للأحداث[1](*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* ,*pdf*.د.ت, ص 15).

لكي يكون القتل مبررا، من خلال أحداث تشبه الهولوكوست وغيرها في الوقت الراهن، ينطلق من منطق جديد، يتمثل أساسا يتمثل في: "المنطق المجتمعي للقتل الباتر هو لبناء النظام"[2]،(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د. 14) الذي من خلاله يمكن تبرير كل الأفعال التي تؤيد القتل، تلك الطبقات الاجتماعية، أو الجماعية المحلية التي تبقي مصنفة من طرف طبقات جماعية أخرى مهيمنة في النظام المستقبلي العالمي تبقي مصنفة على أسس عقلانية،:" تماما كما يحدث عند تصميم نسق منسجم في حديقة يكون من الضروري وضع النباتات في قائمة الحشائش تكون معدة للإزالة، القتل الباتر، مثل إزالة الحشائش، أو بشكل أخر عمومية مثل أي نشاط لــ (التنظيف) و(التطهير) وهو تدمير إبداعي"[3].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 144)

في هذه اللحظة (القرن العشرين) أنجز الإنسان الغربي كل عمليات الإبادة في الخارج من خلال المستعمرات الموجودة في إفريقيا وآسيا وأمريكيا الجنوبية والشمالية، ولكنه في نهاية المطاف قام بعملية إبادة ضخمة في الداخل، ليست الأولى من نوعها إذا سبقتها عمليات أخرى، لكن في نطاق أصغر، فقد قامت الدولة النازية بإبادة بعض العناصر البشرية التي

---

[1]– عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج1، ص 15.

[2]– زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة ،ص 143.

[3]. المصدر نفسه، ص 144.

تقع داخل مجالها الحيوي(الغجر، الســلاف، اليهود)[1].(*عبد الوهاب المسـيري، الفلسـفة المادية وتفكيك الانسان*, *pdf*.د.ت, ص 111)

لذلك ":كان النازيون ينظرون إلى الأمر بأنه حل"[2]،(*تيري ايغلتون، عن الشر*, *pdf*.د.ت, ص 113) من خلال سعي النازية باستمرار إلى فعل أساسي يتمثل في تطهير أروبا من اليهود، بالاضافة أيضا إلى تطهير ومحاولة التخلص من الأعداء السياسين للنازية كالشيوعيين، بالاضافة إلى التخلص من المنحرفين جنسيا أو المعوقين عقليا أو جسديا من أجل محاولة الوصول إلى السلالة النقية الألمانية.

أما بخصوص النازية، فهي بلا شك لحظة نادرة في تاريخ الحضارة الغربية بصفة خاصة، والحضارة الإنسانية بصفة عامة، حيث لم يتم إبادة الملاين من البشر من قبل بهذه المنهجية وهذا الرشد العقلاني من الحياد من قبل أو من بعد، وهذه اللحظة (النازية) بلا شك تعبر عن نموذج معرفي معين يكشف عن الوجه القبيح في إحدى أهم اللحظات الإنسانية التي كانت تعبر عن التقدم والرقي والحضاري، والنازية عبرت حقيقة عن النموذج المعرفي القائم على الفلسفة المنفصلة عن الأخلاق وفق المبدأ الدروني، التي تجلت في الفلسفة المادية التي تحول وتحوسل العالم والبشر إلى مادة إستعمالية[3].(*عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي*, *pdf*.ت2001, ص 223)

بالتالي هنا تم تصوير اليهود في أرويا في أثناء الحرب العالمية الثانية من طرف النظام الشمولي النازي، المتمثل في أن هذه الجماعة (اليهود الأوربيون)، ينظر إليهم على أنهم عبارة عن حشائش ضارة تضر نمو الأشجار الأخرى الكبيرة، وتعرقلها في تطورها.

كان اليهود بالنسبة للنازيين الألمان بمثابة مجموعة من الحشائش الضارة، ونوعا من العدم، أو مجرد كائنات زائدة، وهذا إن دل فإنما يدل النظرة الردئية للإنسانية، وهي علامة

---

[1]. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، ص 111.

[2]. تيرى ايغليتون، عن الشر، ص 113.

[3]– عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، دار الهلال، 2001، ص 223.

مخزية في تاريخ الإنســـانية، وبتلك النظرة الإزدرائية التحقيرية الدّونية، كان الأم بديهي بضـــرورة التخلص من هذه الكائنات عديمة القيمة للحفاظ على الجنس الألماني النفي[1].(تيري ايغلنتون، عن الشر ,pdf.د.ت, ص 116)

مع تطور الإدارة البيروقراطية في الدولة الحديثة فُصلت ممارسة العنف عن الحسابات الأخلاقية، وتم تحرير العقلانية وفاعلية العمل من «سـطوة» الأخلاق عليهما، كان الفصـل بين الوســائل والقيمة الأخلاقية محصـلة عمليتين محوريتين في النموذج البيروقراطي للعمل، تتمثل العملية الأولى في التقســيم الوظيفي للعمل بدقة شـــديدة، أما العملية الثانية فتتعلق بإحلال مسؤولية تنفيذ الأوامر ومبدأ طاعة المسؤل محل المسؤولية الأخلاقية.

المعانات تجعل العالم يدور.على الرغم من أن هذا قد يبدو كآبة بشكل مفرط وملاحظة ساخرة، لقد أنتجت جميع المجتمعات عبر تاريخ البشرية وديمومتها رجل يعاني إما من خلال إجراءات مفصـــلة وحازمة أو من خلال إهمال هؤلاء الذين ســـقطوا بطريقة أو بأخرى دون مستوى اللياقة البشرية وخارج عالمنا الإهتمام والرعاية.فكر في الحروب والمجاعات والكوارث الطبيعية والقتل والتطهير العرقي، البحار والاضـطهاد والوصـم والتهميش وما إلى ذلك.كانت النتيجة دائما كانت معاناة بشرية في شكل أو شكل ما.المعاناة إذن جزء لا يتجزأ من الإنسان الحالة – في الماضي وكذلك في الحاضر.بعض أسباب هذه المعاناة وراءها السيطرة البشرية أو تنبع من قوى غير بشرية، في حين أن الأسباب الأخرى هي مباشرة أو غير مباشرة نتيجة الفعل البشري أو القوى الاجتماعية.

على الرغم من المعرفة الغزيرة التي أنتجها العقل الحديث، وفي الوقت الراهن، إلا أن منطق الحياة الحديثة السائلة يتوسع توسعا جذريا وعلى نطاق غير مسبوق في مساحة أكثر فأكثر من أجل التخزين اللازم لتجنيد الأشـــرار والمحتلين في مكان من الحياه الســـائلة[2]،(

---

[1]. تيرى ايغليتون، عن الشر، ص 116.

[2]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 99.

زيجمونت باومان، الخوف السائل ,pdf.د.ت, ص 99) لذلك كانت السيمة الأساسية والجديدة والحقيقية لهذا العالم الإجتماعي الجديد، والتي تجعل من زيجمونت باومان أن يسمي الحالة الراهنة للواقع الإجتماعي، الحداثة السائلة، في مقابل الحداثة الأولى التي كانت مبكرة في العالم الحديث.[1] (*نيكولاس جين، مستقبل النظرية الاجتماعية* ,pdf.د.ت, ص 49)

وبذلك يلخص باومان الهولوكوست بالعبارة التالية التي تدل على أن الهولوكوست تكشف عن شر جديد لم يكن موجود في السابق داخل منظومة المجتمعات الغربية:" يبدو أن الهولوكوست تكشف عن ألية إجتماعية أخرى تنطوى على إمكانية أكثر شرا، ومن خلالها يتورط في عملية الإبادة عدد أكبر من أفراد لم يوجهوا على الإطلاق، أي صعوبة في الإختيار الأخلاقي أوفي منع تأنيب الضمير اثناء إرتكاب الجريمة"[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,pdf.د.ت, ص 80)

2-الهولوكوست وانهيار أسطورة التقدم العقلانى

يذكر عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران في كتابه براديغما جديدة لفهم عالم اليوم إلى نقطة أساسية تتمثل في تهدم المجتمع، من خلال تهدم الروئية الحداثية الإجتماعية، ومنه فاننا نرى مجتمعات من حولنا تنهار من خلال ظهور صرعات إجتماعية لا حصر لها وبروز العنف في كل مناطق العالم[3]. (*آلان توورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم* ,pdf.ت2011, ص 140)

---

[1]- نيكولاس جين، مستقبل النظرية الاجتماعية، ص 49.

[2]. زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص 80.

[3]ـــ ألان توورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة: جورج سليماني، مركز ذرسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ط1، 2011، ص 140.

من الأفكار التي راودت المجتمع الحديث في محاولة فك السـحر عن العالم، أن الأمور البشرية ستسير في منحني تصاعدي نحو التقدم والتطور في جميع المجالات، لكن اللحظات الراهنة التي نعشيها اليوم تؤكد أن الأمور المخططة لها كانت تسير وتطور في الاتجاه العكسي: "فبدلا من نشر السلوك المهتدي بهدي العقل إلى درجات القانون الطبيعي انحطت تبعاته إلى دركات الطبيعية الغير العقلانية، فلم تصبح الكوارث الطبيعية أقرب إلى الذنوب الأخلاقية لم تصبح " قابلة للإدارة بالأساس"[1].(*الان توورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم*, pdf.د.ت, ص 122)

يشير إدغار موران إلى نقطة في غاية الأهمية على أن الأساطير الأساسية التي انطلق منها المشروع الحداثي الغربي، والتي سماها بالأساطير، أصبحت في أزمة رهيبة جدا، فكل من فكرة التقدم والسعادة والتحكم التي كانت أمنيات عصر التنوير أصبحت في أزمة:" فكيف أمكن لفكرة التقدم أن تصمد للحربين العالميين الرهيبتين وتقاوم الفاشية والستالية والنازية..."[2].(*ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية* ,pdf.د.ت, ص 28)

ويؤكد أيضا موران في نقطة أخرى أن الحداثة الغربية في عصر التنوير قامت على ثلاثة أساطير كبرى، الأسطورة الأولى تتمثل في التحكم في الكون، والتي عبر عليها كل ديكارت وبوفون وماركلي، وأما الأسطورة الثانية هي اسطورة التقدم والضرورة التاريخية التي باتت تفرض نفسها على كوندورسي، وأما الأسطورة الثالثة هي اسطورة السعادة[3].(*ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية* ,pdf.د.ت, ص 25)

ويعود زيجمونت باومان إلى الكتاب المقدس أو العهد القديم، من خلال سفر اللاوين للتأكيد على أن هذه الكلمة استعيدت بوصفها مجازا لإبادة النازيين لليهود التي توحي:"

---

[1]. المرجع نفسه، ص122.

[2]. ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ص 28.

[3]. ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية ، 25.

بشـــمولية التدمير"[1]، مما يعني الصـــورة التدميرية التي تعرض لها اليهود في القرن العشــرين والتي تتضـــــمن فكرة يهودية تتمثل:" أن ما يقدم للمعبد لا بدا أن يكون محروقا بالنار بأكمله"[2](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 118).

في الخطاب الغربي المعاصر، بالضبط في خمسينات القرن الماضي، ظهر مصطلح الهولوكوســـــت، من أجل الإشــــارة إلى إبادة اليهود في الفترة النازية الممتدة من سنة1945/1933، وقد تم استخدام الكثير من المرادفات أمثال الإبادة Glenode ومصطلح الكارثة Catastrophe لكن كلمة الهولوكوســـت تأثرت بالكلمة العبرية Shoah التي تعني الكارثة أو الدمار، التي استخدمت في بداية المجازر.[3](*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* *pdf*, د.ت, ص 41)

تعتبر **مسالة الهولوكوست**[4](*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست*.) من المسائل الأساسية التي أولى لها زيجمونت باومان اهتماما بليغا في مشــروعه الفلســفي الاجتماعي، في عملية التحقيق والتحري عن الوقائع التي حدثت في الغرب في القرون الأخيرة، باعتباره من النقاط الأســـاســـية والمفتاحية التي لا يمكن تجاوزها في فهم الفكر الغربي بصـــفة عامة والفكر الاروبي بشكل خاص.

---

[1]. زيجمونت باومان، الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص 118.

[2]. المصدر نفسه، ص 118.

[3]. زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص 41.

[4]ـــ يشيد زيجمونت باومان في بداية الحديث عن الهولوكوست إلى الدور الكبير الذي لعبته زوجته جنينا في تناول هذه القضية الأساسية" الهولوكوست"، خاصة ما تناولته وعبرت عليه في كتابها، الذي هو عبارة عن سيره حياتها، خاصة ما تعرضت له في جيتو وراسوا، حيث وجد من خلال هذه السيرة أن الإبادة التي تعرض لها اليهود اشد تعقيدا مما نتصور نحن، فهو ليست مجرد حادثة تاريخية ساذجة وقعت للبهود، فيقول في هذه العبارة التي لخصت لنا الشغف الذي جعل باومان يتناول بعمق الهولوكوست :" أدركت أن الهولوكوست لم تكن مجرد حدث مروع ومخيف، بل هي حدث ليس من السهل على الإطلاق أن نفهمه من خلال المصطلحات التقليدية العادية، فهذا الحدث جرى تدويره في شفرته الخاصة، والتي لابد وأن تفك أولا، حتى يصبح الفهم ممكنا" (زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص39)

من النقاط الأســاســية المهمة جدا التي أشــار إليها باومان بإســهاب تتمثل في النظرة التي كان ينظر إليها اليهود في أرويا باعتبارهم كانت عديمة الجدوى والقيمة، فهي مصــــدر الفوضــــى في النموذج الحضــــاري الجديد المراد بناءه في أوربا، لذلك يجب القيام بعملية التطهير من الندوب والنقائص، لأنها عناصر غير مرغوبة تماما فيها.[1](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 120)

الهولوكوست في الأيام الراهنة اتخذت معني أوسع مما كانت عليه في السابق يتمثل أســــاســــا في الإدانة الأخلاقية العالمية للجرائم الفظيعة التي تعرض لها اليهود في اروبا وتحولت فيما بعد إلى تسمية كل إدانة وتعذيب جماعي والمعانات الإنسانية من طرف جماعة أخرى بالهولوكوست[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 120)

في السنوات الأخيرة، مصطلح الهولوكوست لم يبقي حبيس الإبادة الجماعية اليهودية والذي يعبر عن معاناتهم في الحرب العالمية الثانية :"صــارت مفردة" الهولوكوســت" مفهوما متنازعا عليه يستعمل في العديد من الصراعات الإثنية والصراعات الجماعية العنيفة الأخرى، ليكون تهمة ترفعها جماعة في وجه سلوك ونوايا العدو لكي تبرر عداءها هي"[3].(*فطيمة الدليمى، حوار الكلمات* ,*pdf*.د.ت, ص 116)

بالتالي هنا الهولوكوســت لا يعبر عن مرحلة تاريخية في الفكر البشــري، بقدر ما هي مرحلة حساسة جدا في التاريخ الإنساني، من خلال قتل الأبرياء دون ضمير دون تأنيب للضمير[4].(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,*pdf*.)

---

[1]– زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 120.

[2]– المصدر نفسه، ص 116.

[3]– فطيمة الدليمى، حوار الكلمات، ص 116.

[4]تكمُنُ الرؤية المحورية لكتاب " الحداثة والهولوكوســــت" لمؤلِّفهِ عالم الإجتماع اليهودي (زيجمونت باومان) الذي يرى أن الهولوكوســـت هي تعبير عن فكر الإبادة الكامن في مشــروع الحداثة الغربي والذي تحول من مشــروع يســتند إلي مركزية الإنســان في الكون إلي مشـروعٍ معادٍ للإنســان، فالهولوكوسـت هي أول مشـروع إبادة متكامل يقوم به الإنســان الغربي علي أرضه ضد جماعات تشترك معه في اللون والوطن

العقلانية الحديثة الصلبة، لم فقط عصر الإبادات البشرية الشاملة للجماعات البشرية بقدر ما هي مساهمة في خلق مجموعة من الطرق الحديثة الغير معهودة، التي من خلالها ممارسة القتل الجماعي الممنهج لأعداد كبيرة لا تعد ولا تحصى من البشر وجعلها معترفة فيها بين المجتمعات، ومن الأدلة الكبيرة في ذلك تقنية المصانع والبيروقراطية الصناعية الحديثة في تحقيق القتل الجماعي[1].(*فطيمة الدليمى، حوار الكلمات* ,*pdf*.د.ت, ص 37)

لقد قامت الرؤية العلمانية الإمبريالية المادية، بتطبيع الإنسان، من خلال النظر إلى الإنسان على أنه مجرد كائن طبيعي مادي بسيط فحسب، لا يمتلك أي بعد أخر دون البعد المادي، ونظرت على أنه مجرد مادة صرفة لا يحمل أي قدوسية، ولا أبعاد أخرى[2].(*عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان*, ص 79)

من بين الإفرازات الخطيرة التي أفرزتها الحداثة الصلبة في العصر الحديث هي بروز ما يسمي بالأنظمة الشمولية التي أطلقت العنان لتوجيه الدولة السيادي (الذي وصفه ماكس فيبر"Max Weber" في مطلع القرن العشرين، وكذلك عالم الاجتماع نوربير إلياس" Norbert Elias" فيما بعد، على انه إحتكار لوسائل الإكراه، وسمح لها أن تكون انطلاقتها هائجة كالنازية والفاشية والستانلية، والتي يمكن تفسرها على إنها عبارة تشويه سرطاني للجسم السياسي المتعافي، وإنما كانت محاولة متصلة لتوسيع صلاحية الجسم لإمكانيته القصوى[3]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 123)

من بين تلك الوعود الأكثر أهمية في مشروع الحداثة الصلبة عند زيجمونت باومان نجد وعد التقدم، الذي يعلن من خلاله المسار الصحيح لبناء حضارة الغد:" ولدت فكرة التقدم باعتبارها خطأ مستقيما محددا، وانتقالا متوصلا للوضع الإنساني، من الوحشيه والبربرية إلى التحضر، ومن العبودية إلى الحرية، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن الخضوع إلى

---

1. فطيمة الدليمي ، قوة الكلمات، ص 37

2– عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص 79.

3– زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة ص 123.

الطبيعة إلى السيادة عليها، ومن السيئ إلى الحسن، ومن الحسن إلى الاحسن، ومن الشقاء إلى الراحة"[1]، (*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ا pdf,* د.ت, ص 135) فهمي عملية الانتقال من المعيب إلى المثالي، ويمكن وصـــفها أنها الرؤية المتفائلة للعالم، والتي تؤكد على صعود الإنسان.(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ا pdf,* د.ت, ص 135)

في نهاية المطاف كانت النهائية غير منتظرة للحياة التي نعشـــيها في نهاية القرن العشرين والقرن الواحد العشرين، رغم النظرة الايجابية التي انطلقت منها الحداثة الصلية في تحقيق أمال كبيرة للبشـرية في تحقيق حياة إنسـانية أكثر رفاهية ونشـر للحرية الوعي، لكن حدث عكس ذلك، حيث حدثت للبشــرية انتكاســة كبيرة، من خلال تلك الوعود التي تحولت إلى شرور جديدة ابتكرها الإنسان في عالمة الذي الذي حاول تشيده ويقول زيجمونت باومان في هذا الصـــدد:" إن قصـــة القرن العشــرين والقرن الواحد و العشــرين(إلى الأن) هي درس ملموس في تلك القاعدة فبنهاية تلك القاعدة، بنهاية القرن التاســـع عشـــر، اكتظت رفوف المكتبات بدراسة بحثية، كاتبها باحثون على شاكلة فرانسيس فوكو ياما"Franci Fukuyama" والتي كانت تصور التاريخ باعتباره مسيرة طويلة نحو الحرية، مسيرة تنتهي بانتصارها النهائي القاطع، وبعد ذلك بقليل وردت أنباء عن غرق حضـــارة ناظرة إلى الأمام بعدما كان يزعم أنه لا يمكن تـدميرهـا ... في أنهـار الـدم المتـدفق عبر ســـــاحـات القتـال في أروبـا..."[2] (*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ا pdf,* د.ت, ص 75) .

غير أن عقلانية المجتمع الصــناعي أو العقلانية التكنولوجية هي في نهاية الأمر نوع من اللاعقلانية فإنتاجية المجتمع الضخمة لا تؤدي إلى تطور الحاجات والملكات الإنسانية، بل على العكس تدمر الحاجات والمواهب الإنسـانية، كما أن سـلم هذا المجتمع لا يتحقق إلا

[1]. زيحمونت باومان وكارلو بوردنوني، حالة الازمة، ص 135.

[2]زيجمونت باومان و كارلوبوردوني، حالة الازمة، ص 75.

من خلال التهديد المستمر بشبح الحروب، فالإنتاجية تنمو جنبا إلى جنب مع الدمار والبؤس يترافق مع الغنى الفاحش.

المشروع الحداثي قام على فكرة أساسية أخرى تتمثل في محاولة حضانة الإنسان من الطبيعية ومن مختلف شـــرورها، وتقلباتها العمياء لكن لذلك لم ينقص من حدة وقوة الطبيعة لكن في الأخير ظهرت مشـــكلة أخرى تتمثل أســـاســـا في التوزيع الانتقائي للحصـــانة من الطبيعة، حيث انتقل الصـــراع من ترويض الكوارث الطبيعية وفق نموذج التقدم الاقتصـــادي حيث قسم المجتمعات إلى قسمين أساسين، وهما:" فئة تستحق العناية والرعاية وفئة عديمة القيمة– كائنات غير جديرة بالحياة"[1]،((*زيجمونت باومان، الخوف السائل* ,*pdf*.د.ت, ص 116) ومن هنا وجدت الحل في عملية التقسيم التراتبي في الأجناس البشرية من اجل تفعل فعلتها.

الحداثة الغربية رأت في اليهودي ذو الطبيعة الفوضوية المستعصية، باعتبارهم عبارة عن مجموعة من الحشـــائش الضـــارة، التي نمت فوق الأرض، والتي أعدها المجتمع الغربي الحديث باعتبارها لتكون جنة المسـتقبل، ولكن اليهودي كان ينظر إليها على أنهم حشـــائش ضـــارة لابد من اقتلاعها، مثل المصـــابين بمختلف التشـوهات الجسـدية، والأمراض الخلقية مثلهم مثل المعتوهين والشـــيوعيين والشـــواذ والســـلاف والغجر[2] (*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,*pdf*.د.ت, ص 41).

من الفظـائع الكبرى التي انجرت عن المجتمع البســـتـاني الـحـديـث، يتمثـل في الإحصـائيات التي تقول أنه أثناء القرن العشـرين:" أثناء القرن الماضـي تعرض سـتة ملايين يهودي تقريبا وحســـب بعض التقديرات ما يقارب المليون من الغجر، ومعهم عدة آلاف من المثلين والمعاقين عقليا، لإطلاق النار والتســـميم على يد بناه النظام العالمي الجديد الذي

[1]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 116.

[2]. زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص41

صممه النازيون –لأنهم لم ينسجموا مع النظام الذي كان على وشك القيام"[1]،(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة pdf,*.د.ت, ص 123) هذه الحالات من القتل الباتر الذي راح ضحاياها رجال ونساء وأطفال تم إفنائهم من الحياة، بسبب التصنيف القائم على النظرة التي تقول أنهم كائنات ينبغي إفناؤها والقضاء عليها باعتبارها عديمة القيمة في الحضارة [2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة pdf,*.د.ت, ص 124)

ثقافة البستنة التي انتشرت في القرن العشرين بشكل لا مثيل له، والمتمثل في انتاج النفايات البشرية، وهي في أصلها عملية صياغة للدراونية من جديد، وهي عبارة عن خطة لحياة مثالية وتنظيم مثالي للأوضاع الإنسانية، لكونها ثقافة تستمد من الارتباب في الطبيعة العفوية لتصبح لذاك ثقافة الابادة والتخلص من البشر [3].(*ياسر بكر، نظرية السوائل بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل pdf,*.د.ت, ص 96)

يشير زيجمونت زيجمونت بكل تأسف على ما حدث في الحرب العالمية الثانية، في تلك المحرقة التي تعرض لها اليهود الالمان، والتي سميت بالهولوكوست، التي ابيد من خلالها ألاف من اليهود بحجج غير مقنعة، ومبررات غير إنسانية، حيث غابت كل المبررات الأخلاقية في ذلك، فكانت دوافعها غير إنسانية لتحقيق أغراض شخصية، وهذا ما عبر عليه باومان في كتابة الحداثة والهولوكوست[4].

---

[1]– زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 123.

[2]–المصدر نفسه ص 124,

[3] ياسر بكر، الانسان السائل، بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، ص 96.

[4]ـــ هذا الكتاب يرفض المواضع الشائعة حول الإبادة الجماعية للمأساة اليهودية الداخلية للتاريخ اليهودي، تتويجا لمعاداة السامية الألمانية ، وحادث مسار الحضارة الغربية الذي لا يمكن تفسيره. على العكس من ذلك، يدرس هذا االكتاب خصوصا كيفية الإبادة الجماعية على غرار إجراءاتها وأجهزتها على الحداثة الصناعية، مع الأخذ مرة أخرى في منطق "إنتاج الجثث" مخططات للعمل البيروقراطي والمصنع الرشيد للبلدان المتقدمة.هذا التحليل يشير إلى اجتماع فريد بين= =العوامل " العملية الحضارية وشكل معين من أشكال الجريمة الجماعية ، مما يدل على أن أوشفيتز هي امتداد للنظام الصناعي الحديث، والمجرمين النازيين من الناس العاديين الذين استولت عليهم ديناميات عملية الإبادة، Zygmunt Bauman يعيد مرة أخرى في قلب المجتمع الحديث ، فإنه يتعارض مع الاتجاه نحو تمجيد نرجسي و أثار هذا الكتاب.

لم تكن المحرقة مجرد مشــكلة يهودية وليســت حدثًا في التاريخ اليهودي وحده .وُلدت المحرقة ونُفذت في مجتمع حديث وعقلاني، مجتمعنا، وصلت إلى أعلى مستوى من الحضارة وعلى قمة الثقافة الإنسـانية، وهذا هو السـبب في أنها مشـكلة المجتمع، هذه الحضـارة، هذه الثقافة[1].

من النقاط الأساسية الأخرى التي تنبه لها، تتمثل أساسا في الهولوكوست ليست مجرد حدث تاريخي، وقع في الحرب العالمية الثانية فقط، أي مجرد تذكار أو صـــورة توضـــع في الحائط من أجل الذكرى بل كانت عبارة عن نافذة يجب النظر إليها باعتبارها نكتشـف أشـياء غير مرئية، والتي لها أهمية كبيرة في الحياة الراهنة، و يلخص ذلك في العبارة التالية:" ما رأيته عبر هذه النافذة لم يكن يبعث على السرور على الإطلاق، رغم ذلك كلما كان المنظر يبعث على الإحباط، كلما ازدادت اقتناعي بأنه إذا رفضـــنا أن ننظر عبره هذه النافذة، فإننا نعرض حياتنا للخطر"[2]. (*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,*pdf*,د.ت, ص 40)

ولكن لا تزال هناك خصـــائص أخرى للإبادة الجماعية الحديثة ، والتي لا تميز فقط عن ســابقاتها من قبل العدد الكبير للغاية من الضــحايا الذين قتلوا في وقت قصــير للغاية. "المجزرة الحديثة تتميز من ناحية بغياب افتراضـــي للعفوية ومن ناحية أخرى، بســبب غلبة

[1]- منذ الحرب العالمية الثانية ، أصبح الفلاسفة الأخلاقيون والسياسيون والقانونيون مهتمين بشكل متزايد بمفهوم الشر. هذا الاهتمام كان مدفوعًا جزئيًا بنسب `` الشر " من قبل أشخاص عاديين وعلماء اجتماع وصحفيين وسياسيين أثناء محاولتهم فهم الفظائع والأهوال المختلفة والرد عليها ، مثل الإبادة الجماعية والهجمات الإرهابية والقتل الجماعي والتعذيب والقتل. من قبل القتلة المتسلسلين سيكوباتيين. يبدو أننا لا نستطيع استيعاب الأهمية الأخلاقية لهذه الأفعال ومرتكبيها من خلال وصفها بأنها "خاطئة" أو "سيئة" أو حتى "خاطئة جدًا" أو "سيئة للغاية". نحن بحاجة إلى مفهوم الشر .لتجنب الالتباس ، من المهم ملاحظة أن هناك على الأقل مفهومين للشر: مفهوم واسع ومفهوم ضيق. ينتقي المفهوم الواسع أي حالة سيئة أو عمل غير مشروع أو عيب في الشخصية. معاناة وجع الاسنان شر بالمعنى الواسع كذبة بيضاء. ينقسم الشر بمعناه الواسع إلى فئتين: الشـــر الطبيعي والشـــر الأخلاقي. الشـــرور الطبيعية هي أحوال ســـيئة لا تنتج عن نوايا أو إهمال الوكلاء الأخلاقيين. الأعاصير وآلام الأسنان أمثلة على الشرور الطبيعية. على النقيض من ذلك ، تنجم الشرور الأخلاقية عن نوايا أو إهمال الوكلاء الأخلاقيين. القتل والكذب أمثلة على الشرور الأخلاقية

[2]- زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص 40.

مشـروع عقلاني تم تطويره بعناية. قبل كل شـيء ، تبرز لغرضـها هذا مايوضـحه في قوله:" لاشك أن الهولوكوست غير وضـع العالم، لكن ليس بالضـرورة بالطريقة المتوقعة أو المؤلوفة أضـاف الهولوكوسـت الكثير إلى المعرفة الجمعية للعالم الذي نسـكنه، بمجموعاتنا، وأن تلك المعرفة الجديدة كان لابد أن تغير طريقة عيشـنا في العالم وطريقة تفكيرنا حول التجربة الماضـية، وروايتنا لها واحتمالات العيش المشـترك، قبل أن بنفذ، لم يكن الهولوكوسـت قابلا للتصـور، بالنسـبة لمعظم الناس ظل مسـتعصـيا على الفهم عندما كان قد بدأ، اليوم من الصـعب تصـورعالم يخلو من إحتمال حدوث الهولوكوسـت، أو حتي عالم محصـن بأمان ناهيك عن أن يكون مؤمنا ضـد تنفيذا احتمال كذلك، لقد تنبهنا جميعا والتنبيه لم يتوقف"[1]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 127)

الهدف في حد ذاته في هذه الرؤية الكبرى لمجتمع أفضـل ومختلف اختلافًا جذريًا والإبادة الجماعية الحديثة هي عنصـر من عناصـر الهندسـة الاجتماعية التي يفترض أن تنتج نظامًا اجتماعيًا وفقًا لمشـروع المجتمع المثالي، إن الصـورة التي تناسـب هذا المشـروع هي أفضـل صـورة للبسـتنة، وفقًا لبومان: بالنسـبة لأي بسـتاني، في الواقع، "يجب أن تختفي الأعشـاب الضـارة ، ليس بسـبب ما هي عليه ولكن بسـبب ما يجب أن تكون عليه. حديقة جيدة التنظيم. [...] إزالة الأعشاب الضارة نشاط إبداعي وغير مدمر.

لا يختلف عن الأنشطة الأخرى التي تسهم في تطوير وصيانة الحديقة المثالية، جميع رؤى مجتمع الحدائق تحدد أجزاء من الإسـكان الاجتماعي كأعشـاب بشـرية. مثل كل الأعشـاب الضـارة ، يجب علينا عزلها والسـيطرة عليها ومنعها من الانتشـار، وإبقائها خارج حدود المجتمع إذا ثبت أن هذه الاحتياطات غير كافية ، يبقى قتلهم فقط. "وبهذا المعنى فإن الهولوكوسـت (ولكن أيضًـا المذابح التي ارتكبها سـتالين، كما يقول بومان) هي جزء من الحداثة، لأن الثقافة الحديثة هي ثقافة من النوع البسـتنة، يتم تعريفه على أنه مشـروع لحياة

---

[1]. زيجمونت باومان، الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص 127.

مثالية والترتيب المثالي للظروف الإنســانية، إنها تبني هويتها الخاصــة على عدم ثقتها في الطبيعة. في الواقع ، فهي تعرف نفســها وتعرف الطبيعة، وكذلك التمييز بين الاثنين، من حيث عدم ثقتها المستوطنة في العفوية وتعطشها لنظام أفضل ومصطنع بالضرورة.

يعود زيجمونت باومان إلى نقطة حســاســة جدا، كانت في بداية الحداثة الصــلبة وبالضبط في عصر التنوير، الذي تميز بالتوجه نحو نزعة جديدة لم تكن في السابق، تتمثل في نزعة هندسية نحو الطبيعة، نحو الإنسان نفسه ايضا(من الناحية المادية)، فلم تكن غاية العلم الحديث، غاية العلم من أجل خدمة الإنســانية بل كانت غاية في حد ذاته، حيث جعل العلم في المقام الأول أداة خارقة تســمح لمن يمتلكها بأن يغير الواقع، وأن يقوم بإعادة صياغة وبناء الواقع وفق تصورات وخطط بشرية، وأن يساهم في تغير الواقع من أجل تحقيق كماله الذاتي، من هنا كانت البستنة والطب نموذجين أصليين لتلك الرؤية التأويلية.... تتمثل في فصل العناصر النافعة التي من حظها أن تحيا وتزدهر عكس العناصر الضارة التي ينبغي القضاء عليها واجتثاثها من فوق الارض لتترك المجال للنمو والتطور جيدا و بشكل صحي وسريع للعناصر النافعة[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* *pdf*, د.ت, ص 143)

ويشير إلى مسألة حساسة جدا في كتابة "الحداثة والهولوكوست" إلى أن الهولوكوست والمحرقة اليهودية، كانت من الآثار التي انجرت عن العقلانية الحداثية المفرطة، بحيث أن طبقة اليهود المنشرة في اروبا بشكل واسع، كان يجب اخضاعها مثل باقية الظواهر الأخرى، بســبب العزلة الكبيرة التي قام بيها اليهود، لذلك كان لازما عليهم اخضــاعهم من جديد إلى العقلانية الجديدة فيقول باومان في هذا الصــدد:" ففي عصــور ما قبل الحداثة، كان اليهود جماعة من الجماعات، وطبقة من الطبقات، ولم يمثل يمزهم أي مشــكلة. أما مع بداية الحداثة، صــارت عزلة اليهود مشكلة، فكان لابد من اخضــاعها، مثل كافة الظواهر الأخرى

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص 143.

في المجتمع الحديث، إلى عملية التصنيع، وتشييد، والاقناع العقلاني، والتخطيط التكنولوجي، والإدارة والرقابة."[1] (*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,pdf.د.ت, ص 122)

الحداثة والهولوكوست هي توليفة معقدة وليست دائمًا متماسكة من العديد من الموضوعات. تتقارب هذه في محاولة لاستكشاف الأسئلة "كيف هل كانت المحرقة ممكنة؟" و"ماذا يعني هذا لفهمنا من الحداثة والعمل البشري والمجتمع " يبدأ باومان بتاريخ والمناقشة النظرية لمعاداة السامية والحداثة ، وتنتهي ب نقد طرد الأخلاق من الخطاب الاجتماعي والحياة الاجتماعية، بما في ذلك بعض الأفكار تجاه إعادة تأهيله، في ما بين ذلك، نجتاز أنواع العنصرية، القديمة والجديدة، بأشكال مختلفة نظرية الهولوكوست (أيديولوجية عنصرية، تاريخية، سياسية، نفسية (ولا سيما الهولوكوست كحدث بيروقراطي عقلاني).

من هنا ينتقل التركيز إلى فحص المجتمع البيروقراطي العقلاني نفسه "الناقل" الهولوكوست، صانع الشر من خلال التلاعب به أو تحييده من الدافع الأخلاقي. يود باومان استعادة "الخير" الى المفردات الاجتماعية محاولة وضع أسس بديل نظرية الأخلاق هي نتيجة هذا الكتاب وقلبه.

يذهب النازيون في زعمهم بضرورة إزالة الكائنات عديمة القيمة هدفا أساسيا لابد من ابعاده وازالته عن المجال الحيوي، أو حتى إبادته تتحقق للمجتمع الألماني صفة الكمال المطلق، وبذلك الأمة الواحدة الصافية الألمانية، هذه هي النقطة التي حدد ها حجاج أبو جبر في كتابه "نقد العقل العلماني دراسة مقارنة لفكر زيجمونت باومان وعبد الوهاب المسيري"[2]،(*عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ* ,pdf.د.ت, ص 37) كما يقول من جهة

[1]. المصدر نفسه، ص 122.

[2]ـــ ويشير أيضا عبد الوهاب والمسيري حول ان الإبادة النازية هي واحدة من ابرز العواقب الوخيمة التي افرزتها الحداثة الغربية في مرحلة الصلابة، وانها ليس مسألة يهودية أو مشكلة ألمانية، والأهم من ذلك، والأخطر في الوقت نفسه، هو تأكيد المسيري على أنها نتاج طبيعي للرؤية الحضارية الغربية، وليس انحرافا عنها لأأن" الحضارة التي افرزت الإمبريالية والشمولية والمفعة المادية والدارونية، وفلاسفة العرقية الحديثة، هي الحضارة التي افرزت رؤية إبادية وصلت إلى قمتها في

أخرى حســـب قول باومان، على كائنات عديمة القديمة لم تتضـــمن اليهود الالمان هو يهود اروبا فقط، حيث ضـمت أيضـا الغجر والشـيوعين وذوي الامراض العقلية، وكل من وجد فيه النازيون حشـائش ضـارة تهدد الانسجام الذي لابد ان تنعم به جنة الحداثة، وهكذا كان السـتة ملاين يهودي من بين عشـــرين مليون ضـــحية ازهقت أرواحهم، ومن ثمة ليس مســـتغربا ألا يتعامل باومان مع الهولوكوســـــت على أنه مألة يهودية أو ألمانية[1]،(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,pdf.د.ت) بل هو أحد إمكانات الحداثة بوجه عام"[2].

معســـكرات الاعتقال التي مورســـت ضـــد النازيين في النصـــف من الأول من القرن العشـــرين، هو في حد ذاته عبارة عن مجتمع أحادي مادي ، ثم من خلاله التحكم في كل شيء في داخله، خاصة البشر، حيث تم تطبيق عليهم نماذج رياضية عقلانية صارمة، ذات طابع هوبزي واســـبنوزي، تم من خلالها تطهيرها تماما من ظلال الإله والقداســـة، فلا رحمة فيها ولا تراحم، ولا مجال لوجود الغائيات أو المرجعيات الإنسـانية، لان المرجعية التي يجب أن تعلو فوق كل المرجعيات، والتي يجب أن تكرس على أرض الوقع هي المنفعة المادية الخاضعة لمبدأ إرادة القوة.[3](*عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان* ,pdf.د.ت, ص 123)

اللحظة النازية ومن ثم فإن الإبادة النازية تعبر عن شيئ حقيقي اصيل لا في التشكيل الحضاري الألماني وحده، وإنما في الحضـارة الغربية، وليس في انحراف عن تاريخ المانية أو تاريخ الغرب الحديث" عبد الوهاب المسـيري، الصـهوينة و النازية ونهاية التاريخ، دار الشروق ، القاهرة مصر، ط3، 2001، ص37.

[1]ـ ثم يكرس بومان فصلين في كتاب الحداثة والهولوكوست لموضوع "الحداثة والعنصرية والإبادة ."في البداية ، يقدم تذكيرًا تاريخيًا موجزًا لما كان "الآخر" لليهود وكيف ، مع ظهور الحداثة ، دوله القومية وتجانس اجتماعي معين ، هذه الأخرى ، كانت مرئية ويقتصـــر على الحي اليهودي ، وكان في الوقت نفســـه غير مرئية (قمع الحي اليهودي ، من بين أمور أخرى) وإعادة بنائها بطريقة خيالية .ونقلت عن هانا أرندت التي قالت إن اليهودية اسـتعيض عنها باليهودية: "لقد تمكن اليهود من الهرب من اليهودية بفضل التحويل ؛ من اليهود لم يتمكنوا من الفرار .بالنسبة للعنصريين المعاصرين .

[2]ـ حجاج ابوجبر، "نقد العقل العلماني دراسة مقارنة لفكر زيجمونت باومان و عبد الوهاب المسيري، المركز العربي للبحاث و الدرسات السياسية، قطر، ط1، 2018، ص 137.

[3]. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، ص 123.

لقد قامت النازية بشرور لا تعد ولا تحصى كل اليهود، ونجد هي عملية إرسال اليهود إلى الأعمال الشاقة (السخرة) في المناجم، تتسم بتعظيم الإنتاج و المنفعة المادية فقد كان يتم إرسالهم إلى المعامل الشاقة بثمن بخس(العمالة الرخيسة) التي كان هدفها هو خدمة الاقتصاد الألماني، مما يجعل اليهود يعملون ساعات طويلة، قصد العيش للكفاف، ومن جهة أخرى جعلوا الدولة الألمانية الشمولية تحقق إرباحا طائلة من الناحية سلعية[1]،(*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* ,*pdf*.د.ت, ص 36) الفلسفة المادية الحديثة القائمة على نمط الترشيد العقلاني، قامت بتسوية الإنسان والأشياء، وهذه الرووية الحداثية قامت بجعل كل شيء نسبي في داخلها خاصة في مجال الأخلاق، حيث يتساوى فيها الخير والشر معا[2].(*عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان* ,*pdf*.د.ت, ص 76)

لقد هدمت فلسفة الأنوار الحقائق الكبرى المتعلقة بالأديان والأخلاق وحقوق الإنسان الفعلية، وانطلقت في البحث عن مجال أخر، تختبئ فيها شعارتها الخفية، وهذا المجال هو مجال استعاري جديد تخفى فيها المطامح الاستبدادية، وهذا المجال الإستعاري الجديد كشف عن منطق جديد، من خلال النظر في مستويات هوية خطاب الضحية، الذي لم يعد يخرج عن نطاق الاقتصاد السياسي الجديد للحقيقة[3] (*جويدة غانم، ضحيوية الفلسفة والوعي بالهولوكوست* ,*pdf*. ص 2019.13).

هذا النموذج الاستعاري الجديد يخضع لأطر النموذج العلموي، الذي يتمشى مع التحريضات الاقتصادية السياسية الجديدة الدائمة، والتي تسعى إلى زعزعة الثوابت الأساسية التي يقوم عليها المجتمع ، وذلك بإحداث تغيرات شمولية على الإنسان، والتي تهدف في

[1]– عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج2، ص 36.

[2]. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، ص 76.

[3]. جويدة غانم، ضحيوية الفلسفة والوعي بالهولوكوست، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2019، ص 13.

الأخير إلى زعزعة الخطابات المختلفة.[1](*جويدة غانم، ضحيوية الفلسفة والوعي بالهولوكوست* *pdf*, د.ت, ص 14)

مارست النازية فعل الإبادة من خلال سياسة »الهندسة الاجتماعية» التي روّج له منظرو القومية جنبًا إلى جنب مع العلماء والأطباء والأساتذة الجامعيين المتخصصين بعلوم الأحياء والمؤسسات البحثية والعلمية، مؤسسين بذلك شكلًا جديدًا وحداثيًا للعنصرية. وحين خضعت «المسألة اليهودية» للدراسات «العلمية» المتأثرة بالفكر البيولوجي الحديث الذي ظهر في منتصف القرن التاسع عشر، اقتحمت المصطلحات الطبية كالطاعون والمرض والجراثيم حقل السياسة ولغة السياسيين النازيين الساعين إلى «مداواة «أوروبا من «الفيروس اليهودي».

كانت الفلسفة النازية قائمة بشكل واضح على الترشيد العقلاني الحديث وفق الفلسفة المادية من خلال القيام بالتقارير العلمية الصارمة والموضوعية المتمعنة والدقيقة، فمن يجب إبادتهم والتخلص منهم، ومن يجب الإبقاء عليهم وتسخريهم، ومن هذه التقارير العلمية الصارمة القائمة على الترشيد العقلاني ، ظهرت جماعات يهودية نافعة يتم نقلهم إلى الجيبوات، ومختلف أعمال السخرة، وجماعات يهودية أخرى غير نفعين وضارين، ومن ثم يتم نقلهم إلى أماكن الإعتقلات والتخلص منهم وفق الإبادة بمختلف أنواعها التي طبقت عليهم[2].(*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* *pdf*, د.ت, ص 37)

بين زيجمونت باومان حول فكرة الابادة الأعراق الالمانية للنزعات الأقلية التي اعتبرتا كائنات عديمة القيمة، وذلك بدعوى رسم خطة المجتمع المثالي، ويرون أن هذه الفكرة لن تأتي إلا بفكرة واحدة وهي فكرة الهندسة الاجتماعية من خلال

تقسيم الحياة إلى حياة نافعة ذات قيمة وحياة أخرى عديمة القيمة:

---

[1]. المرجع نفسه، ص 14.

[2]. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج2، ص 37.

– الحياة النافعة ذات القيمة، تحظى بعناية بالغة بمواطن الحياة وبمجال حيوى ، أما الحياة الثانية، فتعزل، وإذ لم يكن العزل حلا علميا لها فستباد[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,pdf.د.ت, ص 139)

ومن هذا المنطق الذي انطلقت منه النازية الالمانية كانت الفئة الثانية هي الفئة المستهدفة الذي نجد من بينهم (الغرباء، والمعاقون ذهنيا وجسديا، لذلك لم يكونوا أهلا لدخولهم مملكة الرايخ الألمانية، التي ستدوم ألف عام، لذلك كانت الجماعة اليهودية تمثل حالة مشابهة للأعراق الاخرى، ومن هنا كانت مهمة تدمير العرق اليهودي، باعتبارهم غرباء عن المانيا، وأمة غير قومية، وفي الاخير ستكون عدو للنظام و الدولة الألمانية، حسب فكرة القومية[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,pdf.د.ت, ص 139)

لذلك وجد هتلر هذه الافكار الخصبة روجا لمشروعه في بناء المانيا وفق الأيديولوجية النازية، وذلك من خلال تلك الحركة الكبيرة في عملية البستنة والتدمير لكل الاقليات والطوائف الاخرى، من أجل الوصول الى مملكة الرايخ الألمانية في وقت سريع، لذلك نجده في كثير من المرات على حد تعبير باومان في قوله:" أكد هتلر على أن اكتشاف "الفيروس اليهودي" هو إحدى اعظم الثورات التي شهدها التاريخ، المعركة التي نخوضها اليوم هي المعركة نفسها التي شنها لوي باستور وربورت كوخ في القرن الماضي، فكم من أمراض عديدة تعود إلى هذا الفيروس اليهودي، والسبيل الواحد لاستعادة صحتنا هو إبادة اليهود"[3](ل*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,pdf.د.ت, ص 143).

لقد وجدت الدولة النازية هذه الافكار الخصبة والتي كان لها رواجا كبيرا في مشروعها ، من خلال تلك الحركة الكبيرة في البستنة والتدمير لكل الاقليات والطوائف الأخرى من اجل الوصول إلى مملكة الرايخ الألمانية في وقت سريع، ومنه نجد هتلر في

---

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة و الهولوكوست، ص139.

[2]. زيجمونت باومان، الحداثة و الهولوكوست ، ص 139.

[3]. زيجمونت باومان، الحداثة و الهولوكوست ، ص 143.

كثير من المرات على حد تعبير يؤكد على \ان اكبر فيروس ينخر ويهتك الحضـــــارة الراهنة يتمثل في اليهوج ويقولها في هذه العبارة بلسان باومان:" أكد هتلر على أن إكتشاف "الفيروس اليهودي" هو إحدى أعظم الثورات التي شـــهدها التاريخ، والمعركة التي نخضـــوها اليوم هي المعركة نفســها التي شــنها لوي باســتور وروبرت كوخ في القرن الماضــي، فكم من أمراض عديدة تعود إلى هذا الفيروس اليهودي، والســـبيل الواحد لاســـتعادة صـــحتها هو إبادة اليهود"[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,pdf.د.ت, ص 143)

لذلك كثيرا ما نجد هتلر يشـــبه اليهود الألمان بالطفيليات وبالأمراض المســتعصــية والمزمنة المســرطنة، التي يجب القضـــاء عليها دون هوادة وتفكير، من أجل تفادي المرض واسـتعادة الصـحة، لذلك كان على تعبير النازيون بضـرورة تطهير اروبا والبشـرية من هذا الوباء بأكمله، فهناك من يسـميه **" بتطهير آروبا " "مدواة اروبا"**[2]....(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,pdf.د.ت, ص 125،126)

من هنا كانت الإبادة هي التصـــفية الجســـدية لليهود الألمان، باعتبارها هي النحل النهائي و الأمثل للتخلص منهم، و لمشــكلة تواجدهم في ألمانيا بصــفة خاصــة، وفي أروبا بصــفة عامة، وهذا كله يؤكد على أن الإبادة والتصــفية كانت ممنهجة ومرتبة مســبقا وفق مخطط مضـبوط، للتخلص من اليهود، من طرف الحزب النازي الألماني.[3](*جويدة غانم، ضحيوية الفلسفة والوعي بالهولوكوست* ,pdf.د.ت, ص 21)

---

[1]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– ينبهنا زيجمونت باومان إلى السـبب الاسـاسـي الذي جعل من الابادة الجماعية التدميرية" الهولوكوسـت" تحدث في اروبا بالضـبط، دون غيرها من الاماكن الاخرى، تتمثل أساسـا في أنه في ذلك الوقت كانت مركز اروبا تعتبر قمة التقدم و الرقي و الضوء الذي يهتدى به بقية البشر الأقل تحضرا و الأقل استعددا للتحضر، ولانه نفذ بتصميم غير عادي، بمنهجية و ثبات على مدى زمني طويل، ولأنه حشد الدعم و التوجيه طوال العملية من افضل ما في العلم و التقنية، الذي تفتخر به الحضارة الإنسانية الحديثة. من كتاب الأخلاق في عصر الحداثة السائلة ،ص ص 125 126.

[3]. جويدة غانم، ضحيوية الفلسفة والوعي بالهولوكوست، ص 21.

لذلك تم أثناء فترة الحكم النازي، الحديث عن إبادة الكثير من المعوقين والمرضى باعتبارهم نوعا من الصحة العرقية في ألمانيا، والتخلص من هؤلاء المرضى والضعفاء يعد نوعا من علاج الأمراض الوراثية الخطيرة التي تعيق بناء حضارة كاملة، لذلك كانت عملية إبادة المرجمين والمتخلفين عقليا وجسديا ونفسا ... توصف حسبهم على أنها عمل من تجنب العدوى والقضاء ضد الجراثيم، فالعملية كلها هي تطهير [1].(*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* ,*pdf*.د.ت, ص 39،38)

ومنه تبقي الأشد أهمية وإثارة في هذه العملية الحساسة جدا التي قام بها النازيون ضد اليهود الألمان، هو في عزل المبادئ الأخلاقية بأسلوب واضح وعملي ممنهج ودقيق مبرمج، والتي تستغلها الجماعات المهيمنة بما يتوافق مصالحها ومنافعها، دون النظر الى الأبعاد الإنسانية الأخرى [2].(*ألان تورين، الحداثة المتجددة* ,*pdf*.د.ت)

رفض اثنين من الأماكن المشتركة لمقاربة الإبادة اليهودية – فكرة المأساة الداخلية للتاريخ اليهودي أو التي تؤثر على الحياة اليهودية فقط وفكرة وقوع حادث في مسار الحضارة الغربية – تحلل الحداثة والهولوكوست "المواجهة الفريدة" بين العام والحالي والحاضر. وبصراحة عوامل "طبيعية" للحداثة وشكل من أشكال الإجرام لم يسبق له مثيل في تاريخ الغرب. بعيدًا عن تشكيل انحراف لا يمكن تفسيره في مسار التطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي ، فإن الإبادة الجماعية تحافظ على صلات وثيقة بين السمات المهيمنة للعملية الحضارية في أوروبا الغربية.

من الدروس المستقاة من الهولوكوست، تتمثل أساسا في أنه حدث ذا أهمية عظيمة لشكل العالم مستقبلا، لكن مغزاه الحقيقي يتمثل في دوره المخبر الذي ساعد على اكتشاف الإمكانات الكامنة في بعض أشكال التعايش التي كرستها المنظومة الحديثة بين البشر،

---

[1]. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج2، ص 38 39.

[2]ـــ ألان توران، الحداثة المتجددة نحو مجتمعات أكثر إنسانية، ترجمة: جلال بدلة، دار الساقي، بيروت لبنان، ط1، 2020، ص

التي تبقي وستظل مشتتة وغامضة يشبوها الضباب، والتي من خلالها إن لم يتم الاعتراف بها، ستبقي من بين الصيغ التي تبني العيش المشترك، ويكون مفهوم الإبادة من المفاهيم الشائعة في الحياة الإنسانية، مما يعرض الجميع للخطر في كل وقت[1](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 138).

ويشير إلى الهولوكوست باعتبارها من أهم الشرور التي انجرت عن العقل الأروبي الحديث، وذلك بسبب البعد الأخلاقي الكبير عن التفسير الحقيقي لها، من خلال تلك الجرائم الكبيرة التي عرفها اليهود في هذه المرحلة، عمل فيها اليهود دون أية أبعاد أخلاقية تماما.

مما يبين لنا البعد الكبير للمشروع الحداثي عن الأخلاق، وهذا ما يبته في هذا النص عن البعد العميق للإنسان الحديث عن بعده الأخلاقي:" حتى الأن حاولنا صناعة الألية الاجتماعية الخاصة لمقولة (القضاء على الرأفة الحيوانية) أي الألية الاجتماعية لخلق سلوك لا يتوافق والوازع الأخلاقي الفطري، وهو ألية تحول أفراد لا يتسمون بالفساد الاخلاقي باي حال من الاحوال إلى قتلة أو شركاء عن وعي جرائم قتل، بيد أن الهولوكوست تكتشف عن اليه اجتماعية اخرى تنطوي على امكانية أكثر شرا، ومن خلالها يتورط في عملية الابادة لعدد أكبر من أفراد لم يواجهوا على الاطلاق أي صعوبة في الاختيار الاخلاقي، أو في تأنيب الضمير أثناء ارتكاب الجريمة... فالسيمة الاخلاقية للقتل كانت غير واضحة أو محجوبة عن بعد"[2] (*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,*pdf*.د.ت, ص 80).

العصر الحديث كان عصر التدمير الشامل لكل شيء يفق في الطريق، وذلك من أجل الفكرة القائمة على السعي المحموم لخلق التحسينات التقنية التي هدفها بلوغ الكمال الإنساني، بعد التأكيد على الفردوس الأرضي، وذلك بإبادة أعداد لا تحصى من البشر

---

[1]– زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 138.

[2]. زيجمونت باومان، الحداثة و الهولوكوست، ص 80.

الذين كان ينظر إليهم على أنهم غير قادرين على التناغم المخطط الذي وضـــعه العقل في صورته المثالية للوصول إلى الكمال[1] .(*قوة الكلمات ل نخبة من المفكرين 2* ,*pdf*.د.ت, ص 37)

فعل الحداثة أصبح امرأ ممكنا في القرن العشرون حسبه من خلال فكرة الحداثة: "لقد جعلت الحداثة الهولوكوست ممكنا، بيمنا كان الحكم الشمولي، (أي السيادة الكاملة المطلقة) هو الذي نقل تلك الإمكانية إلى حيز التنفيذ"[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 122)

من الأمور التي تأسست فيها الفلسفة النازية، فقد تأسست منظومتهم وفق الإستناد إلى مجموعة من المفاهيم ذات الطابع المادي، وفق الفلسـفة الدروانية، القائمة على فكرة التفاوت بين الأعراق التفاوت بين الأجناس البشـــرية في المجال الحيوي، مع تبني الرؤية العلمانية الشـــاملة المتجردة تماما من كل القيم والغايات الإنســـانية، وذلك من خلال تبني أفكار وقوانين ونتائج العلم الطبيعي، وبالتالي كل القيم التي يجب الإعتماد عليها هي قيم مادية طبيعية، فلا مرجعية تعلو فوق المرجعية العلمية المادية، وإلغاء أية مرجعية تخالفها[3] (*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* ,*pdf*.د.ت, ص 34).

الإمبريالية المعاصـرة، هي نتاج للفلسـفة الداروينية، التي تجعل من العالم على شـكل سوق كبير لنشاط الإنسان، خاصـة الإنسان الأبيض المتفوق الذي أباح لنفسـه فعل ما يشـاء من خلال قتل الأخر، من أجل ضـمان بقاءه و تأكيدا لقوته، حيث سـاهمت الفلسفة الدروانية في تزويد النظريات العرقية الغربية و التجارب الخاصـة بتحسـين الأجناس البشـرية والسـلال وحتى في القتل بكل أنواعه على أســاس علمي مقنن[4] .(*عبد الوهاب المسـيري، الفلسـفة المادية وتفكيك الانسان* ,*pdf*.د.ت, ص 103)

---

[1] - مجموعة من المفكرين والفلاسفة، قوة الكلمات، ص 37.

[2] - زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 122,

[3]. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج2، ص 34

[4] - عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص 103.

لقد اســـتفد النازيون من أهم التجارب التي انبثقت عن التجربة الترشـــدية الحديثة المتمثلة في التجربة الإمبريالية الحديثة، التي قامت بتحويل العالم إلى مجرد مادة اســتعماليه من خلال تأسـيس أماكن خاصــة باليهود مجتمعين فيما بينهم وبداخلها، تسـمى هذه الأماكن "الجيتوات" التي هي عبارة عن مناطق قومية مسـتقلة لها مجالســها، التي تحكمها، ولديها نظماها المصــرفي الخاص بها، وعملتها الخاص بها، ونظمها التعليمي، تســتخدمهم الدولة النازية في الأعمال ، والقيام بعملية التبادل معهم[1](*عبد الوهاب المســيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة*, *pdf*,د.ت, ص 36)

في نهاية المطاف بنهاية القرن العشرين، فكرة التقدم التي تعد من أهم شعارات فلسفة التنوير، أصــيب بأزمة عميقة كبيرة من خلال المهجية الكبيرة في الأحداث التي عرفها القرن العشـرين، والتي شـهدت أمور أخرى تؤكد على التصـدع، ففكرة التقدم القائمة على العقلانية المفرطة، أصــيبت بالجنون، و ذلك العقل هو الذي كان ســببا في إيجاد النظام التوتاليتاري ومعتقلات الإبادة وإلحاق الضـــرر... و بالتالي فكرة التقدم لم تعد مطلقية قائمة على العقلانية بل اصــبحت مجرد مقولة نســبية فيس المجتمعات الراهنة[2].(*جلكين روس، مغامرة الفكر الأروبي*, *pdf*,د.ت, ص 407)

3- الهولوكوست والعمى الأخلاقي:

يعتبر الإنســان هو الســبب الأســاســي في الكوارث التي وقعت في القرن العشــرين، باعتباره يمتلك الأدوات التي ستجعله يعمل على تجنب هذه الكوارث بمختلف عواقبها:" وهكذا تحولت الكوارث الطبيعية إلى كوارث أخلاقية، لأن البشر يصبحون مسؤوولون عنها، ماداموا يمتلكون كل الأدوات التي يوفروها العلم من لاجتنابها، وانتهي بذلك الحديث عن المصــادفة،

---

[1]. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج2، ص 36.

[2]. جلكين روس، مغامرة الفكر الأروبي" قصة الافكار الغربية" ترجمة: أمال ديبو، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011، ص 407.

فلا يمكن أبدا الحديث عن كارثة لا يمكن التنبؤ بها، بل عن كارثة وقعت بسـبب الإخلال بالواجب والإهمال وعدم الكفاءة والإتقان."[1]،(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني ص* 66) الإنسان الراهن المعاصر وجد كل المبررات والسبل الأساسية من أجل تبرير أفعاله وخلق أعذار لهذه الكوارث الأخلاقية التي تقع.

هذا التحييد للأخلاق في عالمنا المعاصـر سـيعزز من احتمالات تكرار المجازر وتفاقمها دون أي رادع، فـ "في نظام قائم على التناقض بين العقلانية والمبادئ الأخلاقية، تصير الإنسانية هي الخاسر الأكبر، ويستطيع الشر أن يلعب دوره الوضيع".[2](*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,*pdf*.د.ت, ص 314)

فكرة التقدم التي كانت إحدى المقولات الأساسية في عصر الحداثة الصلبة، تحولت هذه الأخيرة إلى أهم المقولات التي أصـبحت أكثر سيولة وتفككا في وقتنا الراهن، وتحولت فكرة التقدم إلى واقع مرير وجبرية متطرفة، بعدما كانت من أبرز تجليات التفاؤل وتحقيق السعادة الدائمة للجميع في مراحل متقدمة للبشر، لكن تبخرت هذا الحلم، وصارت ترمز إلى التهديد الدائم والحتمي الذي لا يبشر بالراحة ولا السكينة، بل أصبحت تنذر بالشدة والمشقة وبذلك تنعدم الراحة والوصول إلى الشقاء بدل السعادة [3].(*زيجمونت باومان الأزمنة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 34)

من جهة أخرى وبحسـب باومان، يحدث تعليق للوازع الأخلاقي عندما تزداد المسـافة الفيزيائية أو النفسـية، أو كلاهما، بين الفعل وعواقبه التي تؤمّنها المؤسـسـات والتكنولوجيا الحديثة. ويصـبح إدراك عواقب الفعل إدراكًا نظريًا غير كافٍ لإيقافه. ومن إحدى أفظع الوسائل التكنولوجية للمحرقة[4]،(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,*pdf*.د.ت, ص 42–43) ابتكارها

---

[1]– زيجمونت باومان وكارل بوردوني، حالة الازمة، ص 66.

[2]: زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص 314.

[3]– زيجمونت باومان، الازمنة السائلة، ص 34.

[4]– لم تكن الهولوكوست مجرد مشكلة يهودية، ولم تكن حدثا في التاريخ اليهودي وحده فقط، لقد ولدت الهولكوكوست وطبقت في مجتمعنا الغربي العقلاني الحديث، وفي أوج مجد حضارتنا وفي ذروة إنجازنا الثقافي الإنساني، ولهذا السبب

لطرقٍ ليس فقط تحول دون رؤية القاتل للضـــحية بل تحويل القاتل إلى موظف لا يمارس القتل بصـورته المعتادة المباشـرة على جسـد الضـحايا. كانت غرف الغاز المتنقلة أو الثابتة مثالًا مهمًا على هذا، إذ يصـــفها باومان بأنها «أعظم اختراع ابتكره النازيون آنذاك لأنها اختزلت دور القاتل إلى دور «عامل الصـــحة العامة» الذي يعهد إلى تفريغ كيس من المواد الكيميائية المعقمة من خلال فتحة ســـقف مبنى دون أن يزوره أبدًا».[1](*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست*, *pdf*.د.ت, ص 158)

الإبادة الجماعية التي ارتكبت في القرن العشـــرين وفشـــل الأخلاق في الحد منها الأحداث ، يبدو من العدل أن نفترض أن الحداثة كان لها بعض التأثير على الأخلاق. ما تـأثير ولمـاذا؟ هل هنـاك جوانـب معينـة من الحـداثـة لا تتوافق معهـا الأخلاق، على الأقل بالطريقة التي تم فهمها بها تقليديًا؟ في كتابه الأخلاق والحداثة، يشـــير إلى الأهمية التي تمنحها الحداثة العقلانية والعلم يشـكّلان العلاقة بين الأخلاق والحداثة اكتســب العقل مكانة بـارزة في العـالم الحديث لدرجة أنه يحتلها الموقف الموقر الذي كان محجوزًا في الســـابق للدين.

هذا التحييد للأخلاق في عالمنا المعاصـــر ســـيعزز من احتمالات تكرار المجازر وتفاقمها دون أي رادع، فـــــ "في نظام قائم على التناقض بين العقلانية والمبادئ الأخلاقية تصـير الإنسـانية هي الخاسـر الأكبر، ويسـتطيع الشـر أن يلعب دوره الوضـيع" ، ولعودة الأخلاق إلى فاعليتها في الحياة ينبغي إنهاء فرص التهرب من المســـؤولية أو الاعتذار عن المشـــاركة في الجريمة حفاظاً على النفس، فـــــ "تقديم الحفاظ على الذات ليس أمراً حتمياً يســـتحيل تجنبه أو الهروب منه. فمن الممكن أن يفعل المرء ذلك تحت الضـــغوط، لكن لا

فإن الهولكوست هي مشكلات المجتمع الغربي والحضـارة الغربية، :" ولهذا السبب فإن المدواة الذاتية للذاكرة التاريخية التي تقع في وعي المجتمع الحديث أكثر من مجرد تجاهل، يؤدي ضـــحايا الإبادة، إنها علامة عمى خطير وروبما إنتحاري"(زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص ص42-43

[1]زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص 158.

يمكن إجبار المرء على القيام بذلك، ومن ثم لا يستطيع أحد أن يحيل مسؤولية أفعاله إلى من مارسوا الضغط عليه"[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,*pdf*.د.ت, ص 314)

الفكرة الأســاسـية التي اقيم عليها المشـروع الحضــاري يتمثل أســاســا في رؤية جديدة للنظام البشـــري، و التي تتمثل في ضـــرورة إزالة كل الأجزاء والنظم التي لا تريد الدخول في هذا المشروع الجديد، و بالتالي كل الزوايا المظلمة، وكل ما يتعلق بالجهل وكل كل مناطق الظل، التي تعتبر أوكار الشر حسب النظام الحضاري الجديد " الحداثة الصلبة"[2]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 115)

يذكر فيلسوف الجيل الثالث لمدرسة فرنكفورت يورغن هابرماس، على لسان أحد رواد الجيل الأول ولتر بنيامين، في كتابه القول الفلسفي للحداثة، أن من أكبر الأسباب التي أدت في المأســـي التي وقعت في القرن العشـــرين، هي في الفكرة التي انتشـــرت مع الحداثة في تغيب الحس الديني الأخلاقي في الحياة والممارســـات الانســـانية في الحياة[3].(*يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة.1995* ,*pdf*..د.ت, ص 30)

من الأمور الفضــعية التي توجد في منطق الحياة الســائلة، تتمثل في المنطق الداخلي للحياة الحديثة، التي من خلالها يصـــــعب إمكانية تجنب وقوع الكارثة في أي لحظة، فهي تمتلك قدرة رهيبة على الانتحار في أي لحظة، لأنها تملك صـفات أسـاسـية تتمثل في الكراهة الفطرية لتقدي النفس من أي ضــوابط مهاما كانت، فهي تســعى إلى تجاوز الحدود وانتهاكها وتكره كل من يقيدها ويضبطها[4].(-*زيجمونت باومان، الخوف السائل* ,*pdf*.د.ت, ص 111)

---

[1] زيجمونت باوما، الحداثة والهولوكوست، ص 314.

[2]. زيجمونت باومان، الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص 115.

[3]. يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، مشنوارت الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط1، 1995. ص 30

[4]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 111.

إن غياب الأخلاق وتغييبها هو المستند الذي تنطلق منه عقلية الاستبداد في ارتكابها للمجازر فـ"ما كان من الممكن أن تتم الهولوكوست لولا تحييد تأثير الدوافع الأخلاقية الأولية، ولولا فصل آلة القتل عن النطاق الذي تنشأ فيه هذه الدوافع وتؤدي عملها، ولولا تهميش هذه الدوافع أو استبعادها تماماً.[1](*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* *pdf*,د.ت, ص 289)

مع ظهور الحداثة وزيادة معرفة الإنسان بالعالم الطبيعي ، فقد سقط الدين على جانب الطريق، كما لم تعد هناك حاجة لشرح ما لا يمكن تفسيره. العلم – وضمنيًا، الجنس البشري -على ما يبدو لديه القدرة على القيام بذلك. يدعي العلم أنه موضـــــوعي وهو ما يقف في مواجهة للأخلاق، والتي تشتهر بأنها ذاتية (إلا في الحالات النظرية للغاية).

كما لدينا شواهد عبر تاريخ البشرية، واختبرناها بلا شك في حياتنا، تختلف الأخلاق من شخص لآخر ومن مجتمع لآخر. هناك بالطبع نقاط التي تتداخل فيها أشكال مختلفة من الأخلاق، ولكن حتى أصـــغر الاختلافات يمكن أن تحدث تأثيرات كبيرة. إنها الطبيعة الذاتية للأخلاق على وجه التحديد والتي تتعارض مع القيم والأهداف الســـائدة في العصـــر الحديث بالنظر إلى تركيز الحداثة على العقلانية، يعتبر الأفراد عقلانيين إذا تم اختبار معتقداتهم بأساليب "أكثر من المحتمل... أن تسفر عن معتقدات حقيقية .وبالتالي تتجسد العقلانية بهذا المعنى.[2] (*Tizelle Franken.Evi. moralety .and modarnety (2).pdf p119-,*

ومن وسائل تغييب الأخلاق عن المشهد الفصل بين بينها وبين الواجب المهني وجعل الخبرة الفنية هي الأصـــــل والمرجع، "إن ما أثبتته تجربة (ميلغرام) في النهاية هو قوة الخبرة الفنية وقدرتها على الانتصـار على الدوافع الأخلاقية، حيث يمكن أن يجد أصـحاب الأخلاق أنفســـــهم يقترفون أعمالاً غير أخلاقية حتى وإن كانوا يعلمون أو يعتقدون أنها غير أخلاقية بعد أن يقتنعوا بأن الخبراء – من يعرفون أشياء لا يعرفونها هم – أظهروا بوضوح أن أعمالهم

---

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص289.

[2]Tizelle Franken.Evi. moralety .and modarnety. pa 119.

ضرورية. وأخيراً فإن معظم الأفعال في مجتمعنا لا تكتسب شرعيتها من مناقشة أهدافها، بل من مشورة أهل الخبرة الفنية أو تعليماتهم[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست* ,*pdf*.د.ت, ص 300)

ويربط زيجمونت باومان الواقع الذي نعيشـــه اليوك أشـــبه بما حدث في بداية القرن الماضـي في اروبا من خلال ظهور فظع نظامين شموليين عبر التاريخّ، وذلك من خلال من المزاج المخيف الرهيب الذي خيم على أروبا من خلال العجز الاجتماعي الأخلاقي في أروبا المزري للبشــر وتوظيف القدرة الوحشــية التطهرية للبشــرية من خلال الحرب العالمية الاولي والثانية[2].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 102)

تجلى غياب الأخلاقي في الهولوكوســـت من خلال التدمير الفظيع الذي حركه العقل الآداتي الحديث، وذلك بتهديم كل المقومات الأخلاقية مهما كانت مصـــادرها ومعاييرها: "لمحو جنس بشــرى أو طبقة تنقل من عبر الأجيال امكانيايها التدميرية من الضـــروري كبت العواطف الإنســانية الأخرى وإخضــاع الســلوك الإنســاني لســيطرة العقل الآداتي التي لا تناقش"[3].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 121)

إن المهمة التأويلية التي وضــعها باومان لنفســه من خلال رغبته في احتضــان حدثا اجتماعيا كثيفا ومعقدا مثل الهولوكوست ليست منفصلة عن الهدف الأخلاقي الذي يتمثل في القطع مع كل الحتمية التاريخية ولا سيما مع فكرة ان المجتمع سيكون صـريحا أخلاقيا، من خلال التأكيد على التأثير البارز للهولكوســـت في الحياة الاجتماعية في الغرب.[4] (*Pier Anttoinne Chardel. Zygmunt Bouman .les illusions perdues de la modarnite* *2013.pdf*, p39)

ولتخفيف المجزرة النازية على اليهود الأروبين في الحرب العالمية، ينحت زيجمونت باومان لنا مفهوما جديد على لســان الفيلســوف الايطالي" جورج اغامبن" في المقولة التالية

---

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص 300.

[2]. زيحمونت باومان، لشر السائل العيش مع اللابديل، ص 102.

[3]– زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 121,

[4]Pier Anttoinne Chardel, .Zygmunt Bouman .les illusions perdues de la modarnite, P38

الهوموســاكر التي تعني مباشــرة :" من يمكن قتله من دون التضــحية به"[1]،(*زيجمونت باومان، الحداثة الســائلة* ,pdf.د.ت, ص 119) لان موت هذه الجماعة البشـــرية مفروغ من المغزى الديني، من خلال قتل و تدمير أشــخاص لا كيان ولا قيمة لهم، ســواء من الناحية المقدســة أو من الناحية الدنيوية، في حالة الهاموساكر يوضع الإنسان خارج القانون الإنساني دون أن يسمح له بالدخول إلى القانون الإلهي.[2](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,pdf.د.ت, ص 119)

المعادلة الســائلة، التي تجعل من الإنســان كيان مســتقيل التي تعتبر الإنســان كائن مسـتقل، له قيمة ومركزيته الخاصــة به، حيث يلتحم هذا الإنســان بالسـيولة الكونية الحولولية الكبرى، بهذا يصــبح الإنســان إنســانا طبيعيا تماما إخضــاعا لقوانين الطبيعة، فلا يختلف الإنســان عن بقية الحيوانات الأخرى، فنما ينطبق على الحيوانات كا الطيور والقردة واليرقات ينطبق على الإنسان[3].(*عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان* ,pdf.د.ت, ص 61)

من بين النقاط اللاإنســـانية التي قام بها النازيون ضـــد اليهود الأروبين وقبل تطبيق المحرقة عليه، كانت كل الترتيبات جاهزة، من خلال تطبيق قاعدة الهاموســـاكر التي تؤكد على وجود طبقة جماعة إنســـانية لا معني ولا قيمة لها في الحياة:" ... قبل أن يجمعوا ويسـاقوا إلى مخيمات الموت، قبل أن يطلق عليهم الرصــاص، أو يخنقوا، كانوا قد أعلن أنهم كما يقال مجموعة من **الهوموساكر**– صنف تعد حياته مفرغة من كل قيمة إيجابية ولا يحمل قتلهم أي مغزى أخلاقي أو يقضــي عقابا"[4]،(*عبد الوهاب المسـيري، الفلسـفة المادية وتفكيك الانسـان* ,pdf. د.ت, ص 119) فقد كانت حياتهم لا تسـتحق الحياة، ولا تسـتحق أن تعاش، فهم عبارة عن عالة وكائنات طفيلية يجب اجتثاثها.

[1]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 119.

[2]. المصدر نفسه، ص 119.

[3]. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، ص 61.

[4]- المصدر نفسه، ص 119.

من أكبر الشـــرور التي خلفتها الهولوكوســـت على العالم يتمثل أســـاســـا في الدمار الأخلاقي الهائل الغير مســـبوق في العالم، من خلال جعل معظم الاوروبيون إلى شـــهود صـــامتين على الكارثة الأخلاقية التي حالت بأوربا[1]، وعلى الرعب الذي ســـيســـتمر معهم لســنوات طويلة للشــواهد التي تبقي شــاهدة على الإبادة، من القســوة والإذلال والاهانة، وهنا تحولت الهولوكوســـت مثالا عالميا على تزعزع القيم الأخلاقية في العصـــر الحديث.(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 127))

من بين الأمور الفظيعة التي أفرزتها الهولوكوست على المستوى الاوروبي أو المستوى العالمي يتمثل أساسا في التخدير الأخلاقي الذي تعرضت له الإنسانية، يتمثل أساسا في السكوت على الإبادة الجماعية:" كان ثمة أمل قبل خمسين عاما أن تسبب المعرفة البشعة بالهولوكوســـت صـــدمة توقظ البشـــرية من نعاســـها الأخلاقي وتجعل المزيد من الإبادات الجماعية مستحيلا، ولم يحدث ذلك، لقد أثبت موروث الهولوكوست على الإغراء بالمزيد من الإبادات الجماعية الموصول إلى حلول نهائية أخرى في الوقت نفسه الذي أدى إلى كراهية لتلك الحلول،بعد ما يزيد على النصف قرن، تظل مشكلة تحصين المجتمع ضد مغريات الإبادة الجماعية مفتوحة على مصراعيها"[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 12)

من العناصـــر الأســـاســـية التي ســـاعدت على المزيد من الإبادات الجماعية عقب الهولوكوست، تتمثل أساسا في فكرة الابتذال، من خلال الابتذال يكون كل شيء مسموح خاصة عندما يتعلق الأمر بسياسة فرض السيطرة على الضعيف، من خلال إقناع الرأي العام، بالقول على أنه عبارة تضحية، بدل أن تكون عبارة عن سياسة القوة[3] (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 134).

---

[1]– زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 127,

[2]. المصدر نفسه، ص 126.

[3]. زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة ، ص 134,

فالابتذال بمثل هذه التصرفات يكرس لفلسفة النسيان، من خلال:" نشر غطاء شفاف من الرعب و التقزز يحول الناس بن ملاحظة ما في الخصـوصـية المفقودة للجريمة المبتذلة من مبادئ عدل و قواعد أخلاقية، ومثل سـياسـة كانت سـتتضـح لو أنه جرى تذكرها على النحو المناسب"[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 134)

وبـالتـالي من دون فكرة اللامبـالات[2](*زيحمونت باومان، الخوف الســـائل*, *pdf*.د.ت, ص 117) والابتذال سيتبن أخر خصوصية الجريمة مستهجنة أخلاقية[3]، لأنه من خلال ثقافة الابتذال سيكون الأمر ممكنا لإلقاء مختلف الأعذار على، والبحث عن المبررات الأخلاقية والسياسية، للقيام بالإبادات والجرائم، وبالتالي يتم القضـاء على كل الأصـوات المناهضـة أو الأقليات في كل مكان من العالم.(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 135)

من جهة أخرى الهولوكوســت هي تعبير عن الإبادة النازية لليهود وغيرهم ، على أنها شــكل من أشــكال الإباحية أو الإمبريالية، التي تؤدي إلى موت الإنســان، هذه النظرة قامت بتحويل البشر إلى مجرد جسد من لحم ينتفع بها وقت الحاجة، ومن خلال التشـابه الكبير بين اللحظة النازية واللحظة التايلاندية في الحضــارة العلمانية، فكلاهما أســقط القداســة عن الإنسـان، واعتبر الإنسـان مجرد مادة استعماليه توظف في أعمال السخرة في ألمانيا، والبغاء

---

[1]. المصدر نفسه ص 134.

[2]ـــ فكرة اللامبالات من الامور الكبرى في الوقت الراهن، الانسان الراهني لا يكترث ولا يبالي بالشرور التي تقع حوله، ولا يتفطن لها حتي تقع أمامه وفي رمشـة عين، فهي تعبر عن فقدان الحاسـة الاخلاقية في الحياة الراهنة والتي قبلها بقعود من السـنوات:" إن العادة الجديدة في الحديث عن التسـونامي، أو اعصـار كاترينا أو غيرهما من الكوارث الطبيعية، بلغة الكارثة التي كان من الممكن تفاديها أو الخطأ البشـري في الحسـاب- هي نفسـها ظاهرة مثيرة للغاية، وعلامة فارقة في التاريخ الحديث لا بد من تدبر مغزاها جيدا، إنها تشــير ألى التقاء عجيب بين افكار الكوارث الطبيعية والكوارث الاجتماعية/ الاخلاقية..." زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 117.

[3]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 135.

في تايلاند [1].(*عبد الوهاب المسـيري، الفلسـفة المادية وتفكيك الانسـان* ,*pdf*,د.ت, ص 79) (معدل البغاء في تلايندا يفوق بشكل لا مثيل له في كل انحاء العالم).

من الأمثلة الكثيرة في الوقت الراهن التي تشير إلى العمى الأخلاقي في الوقت الراهن حســـب زيجمونت باومان، هي في تخفى العمى الأخلاقي في الظواهر الطبيعية التي تقع للإنســان، والتي كانت نتيجة من نتائج الإنســان العقلاني الحديث هي في ظاهرة إعصـــار كاتيرينا في الوم أ:" أن من طالّهم أشـد الأذى من تلك الكارثة الطبيعية هم من كانوا بالفعل- قبل أن يضـربهم إعصــار كاتيرنيا – نفايات النظام وفضــلات التحديث، إنهم ضــحايا حفظ النظام والتقدم الاقتصــــادي"[2].(*زيجمونت باومان، الخوف الســائل* ,*pdf*,د.ت, ص 115) وهذه من بين الدروس الكبيرة المنتشـــرة في الوقت الراهن التي تؤكد على مســـاعدة الظواهر الطبيعية في فهمنا للشـر البشـري، من خلال فكرة التخلص منن يسـمونه بالنفايات البشـرية، التي تكن عائق في مسايرة العولمة والنظام العالمي الجديد.

وبالتالي تصــور الطبقة الكادحة التي تعيق التطور العولمي التي تعتبر من الشـــرور الراهنة التي لا يمكن الاختباء خلفها، وبالتي اعتبرت الطبقة الفقيرة في تلك المجتمعات عبارة عن نفايات بشـرية لا بد من التخلص منها في أي لحظة مناسـبة، التخلص من هؤلاء الأشـخاص أشـبه بالتخلص من النفايات في المصـانع، وبالتالي لو تمت الإرسـال في الوقت المناسب للإغاثة والمساعدة في الوقت المناسب من معادات ووسائل لم وصلت الكارثة لما وصـلت إليه، وبالتالي فهو يعبر عن العمى الأخلاقي.[3](*زيجمونت باومان، الخوف السائل* ,*pdf*,د.ت, ص 115)

ويطلق على العصـر الذي نعشيه حاليا حسبه بعصـر المذابح، والذي يعتبر من أهم الدروس التي المرعبة والأكثر بشاعة في عصـر الحداثة السـائلة، لكن الأمر المؤسف حاليا

---

[1]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص 79.

[2]- زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 115.

[3]. المصدر نفسه، ص 115

يتمثل في كيفيه تعلمه وتبنيه، ولكن يتم شرعتنه وتحقيقه بشكل عادي في الواقع من خلال إفراغه من كل المقومات الأخلاقية، وتكريس لعبة البقاء للأقوى، الذي يعيش هو القوى فقط لأنه هو الذي يمتلك الحق في الضرب وإقصاء الأخر[1]،(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 136) فكلما تجرد الإنسان من أخلاقه، تجرد من إنسانيته.

تتميز الحياة الراهن بفكرة أساسية تتمثل أساسا في إصلاح الضرر المباشر أو الجانبي الهامشي، الصادرة من الجهود الماضية، والراهنة من أجل زيادة التقدم، وهنا المجتمعات الحياة تسعى باستمرار، لإعادة البوصلة التي تعطلت في محاولة منه للتقدم العقلاني دون ضوابط وقواعد أخلاقية.[2]– (*زيحمونت باومان، الخوف السائل* ,*pdf*.د.ت, ص 111)

غير إحياء الأخلاق وحاكمتيها والمسؤولية على مختلف مستوياتها فلن تتوقف المجازر، بل ستكون مدعومة بمنظومة من القوانين أحياناً، وبرعاية أممية ودول، وإشراف قادة وحكماء ورجال دين، بل وأناس طيبين لن يجدوا مشكلة في مشاركتهم مهنياً في جرائم ومجازر لا يرضونها أخلاقياً، طالما كان سياقها يجد فلسفته العقلانية التي تخلق التبرير الذي يمكن التترس به ولو كان كما تخفي الإصبع الوجه.

من الآثار السلبية التي غرست في الوقت الراهن، تتمثل في زوال القيم الإنسانية الشاملة، التي عرفت الثبات في مراحل متقدمة من الحياة البشرية، بالرغم من اختلاف مصادرها، فقد زالت في الوقت الراهن، لأننا صرنا نعيش في عالم يتميز بالتغير المستمر فلا شئ ثابت يعرف الاستقرار نحن على أرض رخوة كل شيء فيها سائل لا يدوم ولا يستمر.

في الوقت الراهن لا توجد آليات ولا حواجز قانونية قادرة على صد مختلف الأفعال الإبادية بشكل فعال وصارم، إلا من خلال العودة إلى الأخلاق، ويعبر عنها بقوله:" فإن دفاعنا الوحيد ضدها ستعتمد على الرفع من الأخلاقي من شأن الأفراد والمجتمعات على حد

[1]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 136.

[2]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 111.

سواء، على الضمير الحي روحيا، على الإرادة القوية لفعل الخير، على الاستمتاع المستمر والمنصت للوصية (عليك أن تحب جارك كما تحب نفسك)[1]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, pdf. د.ت, ص 148)

من بين أكثر الدروس التي يمكن الاستفادة منها في الوقت الراهن من مجازر اوشفتسين والجولارج وهيروشيما، هو أنه ليست الوحوش هي التي ترتكب الجرائم والمجازر فقط، وحتى إن كانت الوحوش هي من ترتكب المعاصي والآثام، فلن تصل إلى هذه الدرجة من المجازر والجرائم الضيعة جدا، لكنها كانت وفق مخطط عقلاني منظم وصارم يجعل من الإنسان أكثر وحشية من الوحوش، وحيوانيانية أكثر من الحيوانات[2]. (*زيجمونت باومان، الخوف السائل*, pdf.د.ت, ص 99)

لقد حاول باومان في كتابه التنبيه إلى غفلة العالم عن جرائم كانت الحداثة أداة لها بعيدا عن الأخلاق، وما تزال هذه الإمكانية قائمة لدى الحداثة لخلق وتبرير مجازر أخرى من غير تأنيب ضمير ـــ "في مجتمعاتنا الحديثة أصبح من الممكن لأناس عاديين غير فاسدين وغير متحاملين أن يشتركوا بكل إخلاص وإتقان في تدمير فئة مستهدفة من البشر كما أن اشتراكهم لا يستدعي أية مبادئ أخلاقية أو أية معتقدات أخرى، بل ويتطلب محوها واستبعادها تماماً".

ومنه الهولوكوست علمتنا ونبهتنا إلى مقولة أساسية وهي:" إنّ مايثير دهشتنا هو كيف أنها حدثت ولم يعترف منا ظلما بحق أحد"[3]،(*زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست*, pdf.د.ت, ص 81) وهذه القولة تعبيرا عن الأنحراف الأخلاقي في النازية بصفة خاصة، والمجتمعات الغربية، التي كرست ثقافة اللامبالات الأخلاقية في حق العباد، والتي ألغت المعتقدات الأخلاقية في حق الممارسات الإنسانية.

---

[1]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 148.

[2]– زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 99.

[3]. زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ص 81.

من بين اهم التجارب التي تعلمها فلاسـفة وعلماء القرن العشـرين من خلال التجارب المريرة التي عاشتها حضارة هذا القرن تتمثل في الأساس في تهدم الركائز والدعائم الأساسية التي شيدت عليها، والمتثملة التقدم المرتكز على العلم والتكنولوجيا سيحقق الكثير من الحرية والديمقراطية، لكن في حقيقة الأمر، كان هذا الإدعاء تحطم بشـكل كبير[1](*فيصل عباس، الفرودية ونقد الحضارة المعاصرة*, *pdf*.د.ت, ص 144)

نتائج الفصل

وكخلاصة لما جاء في هذا الفصل من خلال هذه العناصر الثلاثة:

ـ يجدر الإشارة أن الهولوكوست من أكبر التعابير التي تعبر عن التخدير الأخلاقي في القرن العشرين، من خلال الممسارت والسلوكات الاخلاقية التي مارستها السلطات النازية ضد اليهود.

الهولوكوســــت من أهم مخرجات المجتمع الصـــناعي الحديث، والتي عبرت عن العقلانية الحداثية الهائجة التي تحاول إلغاء كل هو معارض لها في الطريق نحو التقدم وبناء الفردوس الأرضــي، لذلك تم تصــوير اليهود والغجر وغيرهم في حقبة القرن التاســع عشــر والقرن العشرين، على أنها مجرد حشائش ضارة، يجب اقتلعها، وكذلك ممارسة سياسة الصيد الجائر دون مرعاه الحياة والتنوع الثقافي.

ـــــــــــ ومنه لا يمكن تصور الهولولوكوست خارج نطاق الحداثة الغربية في فلسفة التنوير، لانها هي التي قدمت الركائز الأســاسـية، والتي قدمت كل الطرق والسـبل من أجل أن تكون.

---

[1]. فيصل عباس، الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة (بروميثوس مشبيد الحضارة) ، ص 144.

الفصل الثالث

الاستهلاك والشر الاقتصادي "المتلازمة الاستهلاكية وتأزم العلاقات الانسانية" عند زيغمونت باومان

تمهيد:

1. الاستهلاك كأفق الرؤية المادية
2. الاستهلاك كمعبد للإنسان المعاصر
3. الاستهلاك والسعادة الوهمية

نتائج الفصل.

تمهيد:

حين أعلنت مدرسة فرنكفورت في القرن العشرين عن وصول البشرية إلى أفق مسدود بسبب المآلات التي فرضها المشروع الصناعي الحديث وقاربت الحضارة الإنسانية إلى الفناء بتعبير ألبرت اشفتسر، فخلق لنا هذا المشروع الحديث نوع جديدا من الحياة أدت إلى بناء إنسان جديد لم يكن ينتظر، من إنسان يتسم بالمعقولة والأخلاقية الروحية إلى الإنسان الاستهلاكي الذي يتميز بالتغير المستمر في الحياة فانتقل الإنسان من كوجيو العقل والتفكير إلى كوجيتو الاستهلاك في القرن العشرين عند "زيجمونت باومان" و"جان بورديار""ومدرسة فرنكفورت"، فانبثقت بذلك إنسانية جديدة، إنسانية تعيش السعادة في ظل الانغماس في المتع الاستهلاكية، فجعل الإنسان المعاصر من السلعة هي هدفه الدائم التي يسعي إلى تحقيها وكانت بمثابة المعبد الذي يصلي فيه ويتوسل إلى إلهه بالدعوات، وإلى الموضة التي تتحرك باستمرار، فكانت السعلة هي معبده ووثنه الذي يعبده، والحجر الذي يتوسل إليه، وبذلك كانت العلاقات الاجتماعية هي علاقات تعاقدية تتميز بالروابط التي يمكن الدخول فيها والخروج منها في الوقت الذي نريد، فكان نتيجة ذلك هي هشاشة الروابط الإنسانية، التي تقوم على أرضية رخوة، تتسم بالضعف والوهن، على اعتبار أن محركها هو الاشباع الفوري للذات الفردية، فتحرر الأفراد في القرن العشرين، فكانت الفردانية هو هاجس كل فرد، فانتقلنا من مجتمعات المترابطة إلى مجتمعات يلقبها زيجمونت باومان بمجتمع الأفراد، لهذا يختصرها في قوله:" إننا نعيش اليوم في مجتمع معولم من المستهلكين، ومن المحتم أن يؤثر السلوك الاستهلاكي في كل وجوه حيياتنا الأخرى، ومن تلك العمل والحياة الأسرية، كلنا اليوم تحت

ضـغط أن نسـتهلك أكثر وعلى الطريق أن نصـير أنفسـنا سـلعا في أسـواق الاسـتهلاك والعمل" [1].(زيجمونت باومان، الحداثة السائلة ,pdf.د.ت, ص 86)

1. الاستهلاك كأفق للروئية المادية الغربية:

1.1.كوجيتو الاستهلاك:

يعتبر الاسـتهلاك* إحدى أهم السـمات البارزة في القرن العشـرين والقرن الواحد والعشـرين، نتيجة تطور الحياة الاقتصـادية في الغرب بعد النجاح الذي حققه المجتمع الصناعي في العصر الحديث، فانتقل الغرب من الحياة الزراعية إلى الحياة الصناعية التي غيرت من ملاح الحياة الإنسانية، فجعلت البشرية تحرز التقدم والتطور، فما حققته البشرية خلال ثلاثة قرون خلت من الزمان لم يتحقق منذ فجر البشـرية، في المجال الزراعي والتكنولوجي .

وينبهنا إلى مفارقة عجيبة في القرن الحالي، وهي مفارقة بداية القرن الحادي والعشرين، وهي معضلة تزايد الأسواق الحرة المعظمة للذة الفورية، لذلك يجعلنا الاستهلاك في الوقت الراهن نعيش في عالم اللابديل، وهذا العالم الذي يختبئ ويختفي في ورداء

[1]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص86.

*– انطلقت كملة الاستهلاك في بداية القرن العشرين، خاصة مع مدرسة فرنكفورت' النظرية النقدية' بمختلف رودها كل من ادرنوا تيودور، هربرت ماركيوز، فلتر بنيامين وماكس هوركايمر ,,,، حيث جعلت من الاسـتهلاك اهم الانزياحات والتابعات التي انجرت عن المشروع الحداثي الغربي، الاستهلاك هو التحول الجذري هو الذي حدث في الغرب بشكل خاص، جعلت الثورة الصناعية في الغرب الانسان كائن يلهث وراء الاستهلاك فقط لا اكثر ولا اقل، فهو التحول الذي وكب تطور البشرية من الناحية المادية، فكل يوم يظهر الجديد و تظهر المتع الاستهلاكية وتتطور باستمرار مما يجعل من الإنسان كائن يلهث وراء التابعات المادية فقط لا أكثر و أقل، لذلك جعله كل من يتودور ادرنوا وماكس هوركيمر في كتابهما المشـترك بعنوان جدل التنوير، وهو عبارة عن نقد جذري لمشروع الانوار الذي انطلق في اوربا في القرن السابع عشر، فجعلت من التقدم و بناء المنظومة المادية هدفا لها، وجعلت الانسان المعاصر يدفع الثمن، نتيجة تعلقه بالمادة و العمل على اشباع الرغبات و الحاجات المادية الجسـمية، حيث قلب الكوجيتو الديكارتي من جعل الانسـان بالكائن المفكر، الفكر هو الذي يحدد وجود الانسان، لكن مع القرن العشرين كان الاستهلاك هو الذي يحدد وجود الانسان. ويطلق عليها ...

الاختيار العقلاني، والبحث عن الربح السريع، وكسب أكبر قدر ممكن من المستهلكين في كل يوم. [1] (زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل *pdf,*د.ت, ص 183)

ويطلق على الحالة الراهنة القائمة على المتلازمة الاستهلاكية، بخشبة المسرح التي من خلالها يتم تبادل الأدوار باستمرار:" وهكذا يستمر بالفعل – في ظل ثقافة استهلاكية مثل ثقافتنا، تشجيع المنتجات المعدّة للاستخدام الفوري، والتشكيلات السريعة والارضاء الفوري"[2]، (زيجمونت باومان، حياة بلا روابط *pdf,*د.ت, ص 29)وهذا من خلال التبديل المستمر والدائم للسلع للاستهلاكية باستمرار حيث تكون دائما بديات جديدة ، ولكل بداية نهاية، وتكون سريعة في الوقت نفسه، وذلك يرجع لصيرورة الاستهلاك، فكل الأشياء في المجتمع الاستهلاكي قصيرة المدى، من استهلاك السلع، إلى استهلاك العلاقات الإنسانية، ويكون هذا الإنسان الاستهلاكي، يعيش مجموعة من الكوابيس التي تتركه، ينكمش على الاستهلاك فقط[3] (زيجمونت باومان، الحداثة السائلة *pdf,*د.ت, ص 200)

الحداثة السائلة المعروفة في الأوساط الفلسفية والفلسفة الاجتماعية بعصر ما بعد الحداثة، تعتبر، التي تجعل من الإنسان مجرد حيوان استهلاكي فقط:" مجتمع ما بعد الحداثة يفعل طاقات أعضائه باعتبارهم مستهلكين لا منتجين وهذا فرق جوهري"[4]. (*Zybmunt Bouman , life in frogments .1996.pdf,* 16)

من الأمور الجذابة والبراقة في المجتمع الاستهلاكي المعاصر، وفي الوقت نفسه مؤلمة لأبعد الحدود في باطنها، هي ظاهرة التسوق المستمر للإنسان، القائمة عي مسألة الاختيار ، يعني اختيار السلع والأشياء التي يرديها الإنسان، لكن هذه الحرية هي حرية

---

[1]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل، ص 183

[2]. زيجمونت باومان، حياة بلا روابط العلاقات في زمان الاستهلاك، ترجمه: فاظمة نصر، ط1، 2005، ص 29.

[3]– زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 200.

[4] Zybmunt Bouman , life in frogments ,essay in post moderern moralety, london, pollitty ,1996, p16.

الاختيار دون الإجبار على سلع معنية دون أخرى، ولكن من جهة أخرى بجد ذلك الإجبار يتحول فيما بعد إلى إدمان يألفه الإنسان من خلال الإجبار اللاشعوري على الاستهلاك وبالتالي الإنسان الراهني يبقي في حالة استهلاك دائمة ودوامة لا تنتهي من التسوق والتبضع المستمر [1].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة, pdf.*د.ت, ص 127)

المجتمعات المعاصرة والراهنة تعرف ما يسمي بالمجتمعات الاستهلاكية، التي تعبر عن نمط جديد من الحياة، فلكل عصر من العصور له صبغته الخاصة به، بينما العصر الذي يعيش فيه على حد تعبير "باومان زيجمونت" بالمجتمع السائل الاستهلاكي الاقتصادي فيقول بهذا الصدد: "مجتمع ما بعد الحداثة يفعل طاقات أعضائه باعتبارهم مستهلكين لا منتجين وهذا فرق جوهري"[2],(*Zybmunt Bouman , life in frogments .1996.pdf. p15*)

النزعة الاستهلاكية في الوقت الراهن، التي هي من الشرور القاتلة للإنسان الراهن، خاصة في مرحلتها المتقدمة جدا، فيما يتعلق بإشباع الرغبات والحاجيات...، فلم يبقي الاستهلاك مجرد تحقيق الحاجيات، بل تحول إلى فعل من أفعال الكينونة المعاصرة، بمجرد أن تستهلك فأنت موجود:" ولم تعد القوة الدافعة للنشاط الاستهلاكي تكمن في الحاجات الظاهرة في الرغبة، تلك الكينونة التي لا تشير بالأساس إلى شيء في خارجها وتفوق الحاجات في سرعة التغلب والتحول والزوال والروغان، إنها قوة دافعة تلد بنفسها، وتستمد حركتها من داخلها، بحيث لا تحتاج لأي تسويغ أو علة في وجودها"[3](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة, pdf.*د.ت, ص 129)، فالاستهلاك من الأمور البديهية للوقت الراهن، فهو خير في ظهره، لكنه شر في بطنه، لكن لا أحد يستطيع الابتعاد عنه وتجازوه، بل هو قدر لا يجب الفرار منه.

---

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 127.

[2] Zygmunt Bouaman , life i n froggmunents , ESSAY in post modern morallity, london ; polity press , 1996,p15.

[3]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 129.

إنها تشـكل معايير تقيم أحياء هذا العالم وجماداته، وفق نموذج موضـوعات الاســتهلاك، وهذه الموضــوعات لها عمر افتراضـــي نفعي قصــير، وإذا انتهي فلا يصلح استهلاكها"[1]،(زيجمونت باومان، الحياة السائلة ,pdf.د.ت, ص 24–25) المجتمع المعاصر هو مجتمع استهلاكي بامتياز.

ما يميز المجتمعات المعاصـرة عن المجتمعات الماضـية هو في الاسـتهلاك والشرط الأساسي لدخول حضارة الحضارة الراهنة يتمثل تخطي إمتحان الاستهلاك كلما كانت لدية القدرة الهائلة على الاســـتهلاك كلما كان الانتماء أكثر إلى هذا الزمان.

بينما الأشخاص الذين لم يستطيعوا تحقيق أكبر الاستهلاك، والدخول في عالم السـوق، من هنا ظهر كوجيتو جديد يحكم الحياة البشـرية، بعدما أعلن رينه ديكارت في القرن الســـادس عشـــر عن كوجيتو التفكير في قوله" أنا افكر إذن أنا موجود" وجعل من الوعي والفكر العقلي مصـــدرا للوجود البشـــري، لكن في القرن العشـــرين حدث العكس فظهر كوجيتو جديد يتمثل في كوجيتو الاســـتهلاك" أنا أســـتهلك أنا موجود" الاستهلاك هو الذي يحدد وجود الذات البشرية.

فكلما كان الاستهلاك كثيرا كان الوجود قويا في المجتمع، وكوجيتو الاستهلاك مقرون بشكل أكثر الجسد أكثر منه بالوعي والعقل والفكر:" إن مجتمعانا هو مجتمع المســـتهلكين، وفيه تظهر الثقافة نفســـها، مثل كل شـــيء في العالم الذي يعشـــه المســـتهلكون، باعتبارها مســـتودعها للبضـــائع الاســـتهلاكية، تتنافس جميعها لجذب الانتباه الخاطف المستنزف لدى الزبائن المحتملين"[2].(زيجمونت باومان، الثقافة السائلة ,pdf.د.ت, ص 21)

---

1. زيجمونت باومان: الحياة السائلة ، ص ص24–25.

2. زيجمونت باومان، الثقافة السائلة ، ص 21.

الهوية الأساسية المشتركة في عالم السيولة الراهنة، تتمثل أساسا في الهوية الاستهلاكية، فكل أفراد العالم بشكل اكبر (المتقدم) ينتمي إلى مجتمع المستهلكين من خلال الحرية التامة على الاستهلاك:" فكونك تستهلك فانك تمتلك هوية إنسانية"[1]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 140)

ويربط الفين توفلر ظاهرة الاستهلاك في القرن العشرين بشكل واسع، إلى حضارة الموجة الصناعية التي ظهرت في عهد الثورة الصناعية في اروبا بالضبط حيث جعلت من الحياة قائمة على متلازمتين فقط هما: الاستهلاك والإنتاج، حيث تقلصت الأدوار الإنسانية إلى فكرتين هما: إما أن يكون منتج لسعلة ما أو مستهلك لسعلة ما:" هذان النصفان اللذان فصمت الموجه الثانية عراهما في الحياة البشرية هما: الإنتاج والاستهلاك، نحن معتادون على التفكير بأنفسنا إما منتجين أو مستهلكين"[2]. (*الفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة* ,*pdf*.د.ت, ص 47)

الإنسان المعاصر أصبح يعبر عن وجوده بما يملك وبما يستهلك، وكل هذه الامور فرضتها الرأسمالية الحديثة، بقدر ما يملك الفرد يكون من أغراض وما يستطيع تحقيقه من مواد تؤكد وجوده:" بيد أن النزعة الاستهلاكية في شكلها الحالي (من حسن حظ المنتجين وتجار السلع الاستهلاكية الكبار) لا تقوم على ضبط (الإثارة) الرغبة، بل على تحرير عجائبية الأمنيات)... الفرد يعبر عن نفسه من خلال ما لديه من ممتلكات، بيد أن المجتمع الرأسمالي المتطور الذي يلتزم بالتوسع المستمر في الإنتاج..."[3]، (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 129) الرأسمالية الحديثة

---

1. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 140
2. الفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ترجمه: عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والاعلان، ص 47.
3. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 129.

و المعاصــــرة بشــــكل خاص، جعلت من الفرد يعيش في عالم الأشــــياء، فلا يمكن التحدث إنسان في الوقت الراهن دون أن يمتلك متاعا مادية.

الحياة المعاصـــرة كرســـت نمطا جديدا من الحياة على الإنســـان المعاصـــر وغيبت البعد الروحي والعقلي للإنســان على حســاب المادي، وجعلت الإنســان كائنا ماديا بحتا، حيث تجســـــدت المظاهر المادية في كل مختلف مناحي الحياة اليومية للإنسان، فكل شيء تم ربطه بالسوق، حتى السوق نفسها أصبحت المركز الأساسي في إنتاج الأفكار، وهذا ما جسده باومان في عنوان كبير سماه ضمن سلسلة السيولة ب" الثقافة السائلة"، إذ يعبر فيها عن الذي ينتقل فيها من مفهوم الثقافة في العصور الماضية القريبة، خاصة في العصر الحديث إلى العصر الراهن.

يؤكد أن مفهوم الثقافة تصدع بشكل واسع في العالم الراهن، وارتبطت الثقافة بالجانب المادي الاســـتهلاكي، يبين ذلك بأن الثقافة كانت في بدايتها تأســـيســـها في العصـــر الحديث لتســـاهم في علمية التغير، والانطلاق في المجتمع من حالة إلى حالة أخرى:" كان الغرض من الثقافة وفق مفهومها الأصـــلي أن تكون عاملا للتغير وليس عاملا للحفاظ على الوضع القائم"[1].(*زيجمونت باومان، الثقافة السائلة* ,*pdf*,د.ت, ص 15)

يبن أن الثقافة في بدايتها " كان الأســـــاس منها هو تحقيق مقولة التقدم التي كانت إحدى ركائز المشـــروع الحداثي الغربي، **(والتي أشـــارنا لها في الفصـــل في الســـــابق بأســـطورة التقدم)** يعني هو نقل البشـــرية إلى مراحل متقدمة من التقدم والإزهار، وبذلك نقلت الثقافة الغرب من مجتمع الريف إلى المدنية وجعلت أوروبا تغير تخرج من ظلمات القرون الوســـــطي إلى عصـــــور التنوير والإبداع العقلي و الفكري، وتلغي الخرافة والأساطير و تصل إلى مستوى التطور العلمي:" لقد أسندت كلمة "الثقافة" إلى رســالة رعوية جرى تخطيطها والقيام بها في شــكل محاولات لتعليم

---

[1]. زيجمونت باومان، الثقافة السائلة، ص 15.

العوام والارتقاء بعاداتهم، ومن ثم تحسين المجتمع وتطوير "الشعب"، من "أعماق المجتمع" إلى قمم "قمم المجتمع"، فكانت " الثقافة ترتبط بشعاع التنوير، الذي يصل إلى خبايا المدينة والريف ليكتشف عن الغيابات المظلمة"[1]. (*زيجمونت باومان، الثقافة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 15–16)

الثقافة هدفها كان نشر أفضل الموارد العلمية والمعرفية داخل طبقات المجتمع وتهيئة كل طبقات المجتمع للعيش في كنف واحد، لغاية واحدة هي خدمة التقدم والتطور، إلى أنه في العقود الأخيرة يؤكد عليها أن الثقافة تميزت بالانتكاسة فلم تكن تحقق الهدف المرجو منها، مثلما كانت تحققه في القرون السابقة.

كانت في البداية عبارة عن محفز يدعي إلى التطور والتقدم تحولت في الأخير إلى عنصر مثبط للتقدم والبناء من جديد قصد التطور والانتقال بالبشرية إلى عصور أكثر تقدما، وهذا ما عبر عنه بكل أسف وحسرة على هذا التحول الجذري للثقافة في قوله:" باختصار، تحولت "الثقافة" من باعث وحافز إلى مسكن ومهدئ، ومن ترسانة ثورية حديثة إلى مستودع لمنتجات إلى مستودع لمنتجات المواد الحافظة"[2]،(*زيجمونت باومان، الثقافة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 18) هذه الحسرة من طرف "باومان" تبين أن الثقافة عندما ارتبطت بالمادة والاقتصاد التي هي أحدى أهم المميزات والخصائص التي عرفها القرن العشرين، وهي خصائص المجتمع الرأسمالي الليبرالي، تصدعت وانزاحت عن دورها الأساسي والفعال في الغير والبناء، فهي مجرد موضة وكفي.

المجتمع الاستهلاكي المعاصر، جعل من الثقافة والفكر في خدمة الاستهلاك، حيث ألغت كل القيم والأعراف القديمة، والثقافة خاضعة للمتلازمة الاستهلاكية،

---

1. زيجمونت باومان، الثقافة السائلة، ، ص ص 15– 16.
2. المصدر نفسه، ص 18.

والثقافة التي لا تستهلك لا يمكن أن تصنف ضمن الإنتاج البشري فهو مجرد عمل لا طائل منه:" إن 'المتلازمة الاستهلاكية' التي تخضع لها الثقافة المعاصرة تتمركز حول إنكار شديد لفضيلة إرجاء الرغبات، فضيلة 'إرجاع الإشباع' أي المبادئ التأسيسية، لكل من 'مجتمع المنتجين' أو 'المجتمع المتمركز حول الإنتاج' ففي المكانة المورثة للقيم المعترف بها، جاءت 'المتلازمة الاستهلاكية' لتخلع 'الدوام' عن العرش، وتتوج ' الزوال' ليتربع عليه، ولتضع قيمة الجدة فوق قيمة الدوام"[1].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* *pdf*,د.ت, ص 92)

الرأسمالية الغربية في أساسها هي ثقافة الاستهلاك، ليست مجرد نظام اقتصادي فقط، بل هي عبارة عن ثقافة استهلاكية واسعة يسخر فيها كل شيء للترويج والاستهلاك باستمرار فيقول بومان:" لا يمكن لمجتمع الاستهلاك إلا أن يكون مجتمع الإسراف و التبذير، ومن ثم فهو مجتمع الفضلات والنفايات، فكلما كانت ظروف الفاعلين مائعة، كلما احتاجوا إلى موضوعات استهلاك كامن للحماية من الخسائر وتأمين أفعالهم من مصائب القدر "[2].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* *pdf*,د.ت, ص 117)

فالمجتمعات المعاصرة تحكمها قواعد السوق، والسوق هو الذي يحدد نمط عيش الأفراد في المجتمع، فمختلف الرغبات والمتع توجد في السوق، لذلك لا يمكن امتلاك أي شيء خارج هذا السوق الذي يحتوى على الكثير من المتع الاستهلاكية، فكلما حققنا بعضا من هذه المتع الاستهلاكية، نجد أن هناك الكثير من الحاجات والرغبات تنتظر منا

---

1. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ا، ص 92.
2. المصدر نفسه ، ص117.

اســـتهلاكها في أقرب وقت، لذلك كانت علاقة الاســـتهلاك علاقة وطيدة جدا في زمن الحداثة السائلة[1]. (*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 141)

يعتبر الفيلسوف وعالم الاجتماعي الفرنسي جان بودريار[2] من أهم من ناقش قضية الاستهلاك في الفلسفة ما بعد الحداثة، و ربط الاستهلاك بأنه من أهم النتائج التي انبثقت عن فلسفة الأنوار في القرن السابع عشر، وهذا ما تجسد في الكثير من كتبه التي ناقش فيها موضـــوع الاســـتهلاك وعلاقته بالإنســـان الما بعد الحداثي في الغرب، وهي كالاتي: "نظام الأشياء Le Système Des Objets" " مجتمع الاستهلاك Société De Consommation" "مراءة الانتاج Le Miroir De La Production" في الإغواء De La Seduction"، حيث يناقش "جان بودريار" علاقة الاســـتهلاك بالمجتمع في ثلاثة نواحي ومحددات أســاســية ورئيســة، خاصــة في كتابه الإغواء، المحددة الأولى تتمثل في أهم الإفرازات التي أنتجت في مجتمع الاستهلاك، والمتمثلة في ظاهرة تزايد أنشطة الاستهلاك باستمرار داخل المجتمع وتزايد أوقات الفراغ، غير طريقة الإغواء على حســـاب العلاقات الاجتماعية، بينما المحددة الثانية تتمثل في تكريس المجتمع الاستهلاكي للتمايزات الاجتماعية، بحيث يصبح نمط الاستهلاك أو أساليب الحياة المرتبطة به معيارا لتصنيف الناس، فالقدرة على الاستهلاك هي قدرة

---

[1] المصدر نفسه ، ص141.

[2]ـــ يؤكد الفيلسوف الفرنسي الراهني "جيل ليبوفتسكي" أن جان بودريار من الفلاسفة الاوائل في الغرب الذين تفطنوا إلى ظاهرة الاستهلاك في المجتمعات المعاصرة، حيث ربط جان بودريار مجتمع الاستهلاك بالموضة، فجعل من الموضة هي العمود الفقري للاســـتهلاك، حيث أنه لا يمكن أن نتحدث عن مجتمع الاســـتهلاك دون الحديث عن الموضـــة، باعتبارها المحرك الذي يحركها، فكلما كانت هناك موضـــة جديدة تجعل من الفرد يلهث ورائها ويســـتغني عن الســـلع الاســـتهلاكية القديمة، وبذلك يكون مجتمع الاستهلاك مجتمع يعيش في صيرورة دائمة نحو الاشباع الفوري الاستهلاكي، ويربط الموضة الاســـتهلاك التفاخري الذي يخلق نوع من التراتب الاجتماعي في المجتمعات الرأســـمالية، " الفكرة العامة لكتابه، مملكة الموضة وزوال متجدد".

على أثبات وجود الذات في المجتمع، بينما المحددة الثالثة والأخيرة تتمثل في المتع الانفعالية الناجمة عن الاستهلاك[1].(بدر لدين مصطفي، دروب ما بعد الحداثة ,pdf.د.ت, ص 261)

أصـــبحت الحرية هي حرية البيع والشـــراء، والتعددية أصـــبحت هي تنوع الموضـوعات الاسـتهلاكية، يغير مجتمع الاسـتهلاك التعريفات التقليدية لجميع القيم والمعايير الأسـاسـية لليبرالية و ذلك لصـالحه، فالفرد يصـبح مشـاركا في مجتمعه لا بالعمل الاجتماعي أو السـياسـي، بل باسـتهلاكه لسـلع وبضـائع ينتجها هذا المجتمع فالمشاركة أصبحت مشاركة في الاستهلاك .

والانتماء أصـبح انتماءا لشـريحة اسـتهلاكية معينة تكون علامة على المكانة أو المسـتوى الاجتماعي، كانت المجتمعات في القديم تنتج مجموعة من الأسـاطير الخاصـــة بها من أجل العيش وتأمينه، وتحقيق التوازن في الداخل والخارج، لكن المجتمع الاستهلاكي المعاصر تحول إلى أسطورة بحذ ذاته،

لذلك يرى "بودريار"أن المجتمع الاســـتهلاكي ليس بحاجة ماســـة إلى إنتاج الأسـاطير مثل المجتمعات السـابقة فيقول في هذا الصـدد: "والحال يمكن القول أن عصر الاستهلاك بوصفه المآل التاريخي لكل مسار الإنتاجية المتصاعدة تحت برج الرأسـمال، هو أيضـا عصـر الارتهان الجذري، فقد شـاع منطق السـلطة وعم إذ أنه يسـير اليوم سـيرورات العمل والمنتجات المادية مثلما يسـير الثقافة بأسـرها والحياة الجنسـية والعلاقات الإنسـانية، وصـولا إلى الاسـتفهامات والنزوات الفردية، وهذا المنطق اسـترجع كل شـيء، لا بمعنى أن كل الوظائف و الحاجات قد اسـتعملت لأغراض الربح وحسـب، بل أيضـا بالمعني الأعمق، حيث تمسـرح كل شـيء، أي

[1]. بدر الدين مصطفي، دروب ما بعد الحداثة، مؤسسة هنداوي، ط1، 2018، ص 261.

تبرمج وتدون في خيالات، في علامات، في نماذج قابلة للاســـــتهلاك"[1].(*جان بودريار، المجتمع الاستهلاكي دراسة في أساطير النظام الاستهلاكي وتراكبيه* ,pdf.د.ت, ص 257–258)

كما أن الاستهلاك أصبح هو النمط المسيطر على الحياة الإنسانية الراهنة في كل المجالات، وأصبح الاستهلاك الجماهيري صيغة لا تخلو من آي غموض لأن الجميع في الوقت الحالي، يتجه ويلج مباشرة إلى السيارة والتلفاز، وسراويل الجينز الأزرق ومشروب الكاكاكولا، والأسفار المتزامنة خلال عطلة نهاية الأسبوع... كلها تمثل نمطا جديدا للســـولكيات البشــرية الراهنةّ، التي تعتبر من اهم المظاهر التي عبرت عن كوجيتو الاستهلاك الحالي.[2](*جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ* ,pdf.د.ت, ص 112)

ومن هنا يمكن القول أهم ركن وجانب أســـاســـي اســـتند إليه العقل الغربي الترشـــيدي، هو في تلك الصـــياغة الجديدة للمجتمع، حيث تم خلق مجتمع جديد يتكون من السوق والمصنع، وتم أيضا من جهة أخرى إعادة بناء الإنسان داخل هذا المجتمع الجديد السوقي، باعتبار أن الإنسان هو الذي ينتج ويستهلك، فهو إنسان منتج ومســتهلك في الوقت ذاته، وبالتالي كانت قمة الترشـيد العقلاني الحديث، هو الوصول إلى فكرة جديدة وهي تعظيم الإنتاج والاستهلاك وفق المنظورية الرأسمالية القائمة على المنفعة التي تصل بالإنسان إلى قمة الاستهلاك لتحقق السعادة[3].(*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* ,pdf.د.ت, ص 16–17)

[1]ـــــ جان بودريار، المجتمع الاستهلاكي" دراسة في أساطير النظام الاستهلاكي وتراكبيه"، ترجمه: خليل احمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت،ط1، ص ص257–258.

[2]. جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ، ص 112.

[3]. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج2، ص ص16–17.

2.1.الإنسان الاقتصادي: "الإنسان السائل"

عالم اليوم كما يسمه باومان هو عالم اللابديل، **(من النقاط التي اشرانا إليها في الفصل الأول من النقاط الأساسية التي تعبر عن الشر السائل) ب**سبب طغيان البعد الاقتصـــادي على جميع أشـــكال الحياة، على انه يظهر في أشـــكال متعددة ومتخفية وملتوية بشـكل أوسـع، يجعل من الشـر يسـيل بشـكل في المجتمع لكن أبرزها نجد الحتمية الاقتصادية، التي تأثرت بفكرة الاستهلاك بشكل فضيع في العقود الأخيرة، مما جعلت من الاقتصاد أهم شرور الوقت الراهن.

المعادلة الأساسية في زمان السيولة تتمثل أساسا في الإنسان السائل، هو مجرد إنسان تتمركز حياته وأحلامه وهواجسه حول الحياة الأشياء المادية فقط، فهو مجرد إنسان لا يستطيع تجاوز السطح المادي للأشياء المادية فقط[1].(*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* *pdf,*د.ت, ص 140)

الحياة الراهنة هي حياة كلها حياة قائمة على البعد المادي، الذي يلبي الحاجيات الاســـتهلاكية، و ذلك من خلال الانهماك التام بملئ الحقائب بمختلف أحجامها حتى حوافها الخارجية ، دون النظر لم تبقى للآخرين[2]،(*قوة الكلمات ل نخبة من المفكرين 2* *pdf,*د.ت, ص 27) وبالتالي فالحياة الراهنة القائمة على المتلازمة الاســتهلاكية، تقوم على فكرة تحقيق الفرد لحاجته دون النظر للآخرين، وهذا ما يعبر عن تعاظم وتفاقم فكرة الفردانية في الوقت الراهن، من خلال تعاملها مع السوق باستمرار.

الإنسان الراهني، هو إنسان بحد ذاته نناج المجتمع الحديث، حيث عبارة عليه مدرسة فرنكفورت (المدرسة النقدية بالضبط عند هربرت ماركيوز) على أنه إنسان ذو بعد واحد فقط، من خلال ســـيطرة العقل الأداتي، والعقلانية التكنولوجية معا، حيث

---

[1]. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج1، ص 140.

[2]– نخبة من المفكرين والفلاسفة، قوة الكلمات، ص 27

يحمل في حياته ومسيرته شعارا وحيدا يتمثل أساسا في الإنكباب على التقدم العلمي والتكنولوجي المادي الصناعي، وتعظيم الإنتاجية المادية فقط، وذلك لن يتحقق إلا إذا تحققت معه معدلات متزايدة من الوفرة والرفاهية كسب أكبر قدر ممكن من المستهلكين[1]. (*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة pdf,* د.ت, ص 144)

الحياة الاقتصادية من أهم أبرز العوامل التي تؤدي إلى اغتراب الإنسان في الحضارة الغربية وهذا الاغتراب يعد في نظره " دليلا على لا إنسانية الرأسمالية ومن هنا شكل نقد الرأسمالية محورا أساسيا في فلسفته مثلما يتجلى في معظم كتبه، إن لم نقل في كل كتاباته بحيث يمكن اعتبار نقد الرأسمالية هما أساسيا وموضوعا ثابتا في فكره برغم ما مر به من انعطافات ففي الرأسمالية تتجسد كل أشكال الاغتراب.

ذلك أن الرأسمالية أدت إلى ظهور ديانة جديدة ألا وهي ديانة "**وحدانية السوق**" التي تقوم على عبادة أوثان المال والثروة ورغم أن الرأسمالية رفعت شعار الإنسان ورغم أن أتباعها هم دعاة الحداثة والعقلانية والحرية فقد نادوا بالنزعة الإنسانية، إن التطور الذي عرفته الليبرالية في عصرنا هذا وهو ما يعرف بالليبرالية الجديدة وهي التي يصفها البعض بالليبرالية المتوحشة وبالرأسمالية المتهالكة بالنظر إلى طبيعتها اللاإنسانية التي تتجلى آثارها السلبية على الإنسان ومن أهم هذه الآثار ظاهرة الاغتراب، واذا كانت هذه الظاهرة قد لازمت الرأسمالية منذ نشأتها.

ويعبر الفيسلوف الفرنسي وعالم الإجتماع ميشال مافيزولي في كتابه، نظام الأشياء والتفكير في ما بعد الحداثة، على الفكرة الأكثر رواجا في خلال مرحلة الحداثة في القرن التاسع عشر، من خلال العقلانية الجدية التي تؤمن بالإنسان المنتج اقتصاديا، من خلال جعل الاقتصاد من أولويات هذا الإنسان، وبالتالي الحياة المثالية يجب ان تحصر في ارضاء الحاجات الاقتصادية المادية ، أما بقية

[1]. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج1، ص 144.

الحاجات الأخرى فهي عرضية فقط واضافة في الحياة[1].)*ميشال مافيزولي، نظام الأشياء و التفكير في ما بعد الحداثة.2020* ص 161)

كما يؤكد ذلك "زيجمونت باومان" وغيره من المفكرين الماركسيين خصوصا، يرى بان تطور الرأسمالية قد أدى الى بروز أشكال جديدة من الاستلاب تبدو أكثر خطورة من الأشكال القديمة ومن ابرز هذه الأشكال الاغترابية: التشيؤ واغتراب أو **(عبادة الصنمية)** واغتراب الإنتاج والاستهلاك.

مؤكدا ذلك في ظاهرة استغلال العامل الأجير الذي يتلبس في اليوم أشكالا جديدة في العمل، فعندما لا يكون العامل مقضيا عليه بالجوع وبالإنهاك الجسماني كما كانت الحال في القرن التاسع عشر فانه يظل يعاني من استلاب مزدوج كمنتج وكمستهلك، واستلابه كمستهلك وينجم عن استلابه كمنتج فالنظام الذي يبلده ويفرغه من جوهره بحكم وتيرة العمل ومدته هو عينه الذي يتلاعب به، ويكيفه ليخلق لديه ما هو مربح للرأسمالي من حاجات والاستغلال لا يتمثل في ما يسوق من التشغيل من مال فحسب بل أيضا في ما ينتزع منه نوعية الحياة.

يقوم مجتمع الاستهلاك المعاصر على مبدأ أساسي يتمثل في أن ما يمتلكه الإنسان هو ما يحدد قمته وذاته، ومن هنا كانت الحياة المادية هي الحياة التي تسيطر على الإنسان المعاصر في كل شيء، وذلك من خلال اقتنائه لعدد من الأشياء، وأصبح ارتباط الإنسان بما يمتلكه و يقتنيه من أشياء مادية، ومن هنا تم اختزال الإنسان في البعد المادي الشيئي، وجعل الإنسان يعرف تعريفا ماديا، ويظهر لنا من جهة أخرى أن الأشياء المادية.

---

[1]. ميشال مافيزولي، نظام الأشياء و التفكير في ما بعد الحداثة، ترجمه: سعود المولى، رانا دياب، المركز العربي للابحاث و الدارسات السياسية، بيروت لبنان، ط1، 2020، ص 161.

يشـير زيجمونت باومان إلى نقطة أساسـية في الحياة الاسـتهلاكية في القرن العشرين، وهي في العلاقة الأساسية الموجودة بين المستهلك وموضوع الاستهلاك، فتعتبره موضوعا شائكا جدا، فمن الشائع لدي الكثير من الأوساط الفكرية أن هناك فصل بين المستهلك وموضوع الاستهلاك، لكن باومان يعتبر عكس ذلك، المستهلك بحد ذاته سـتحول إلى موضـوع الاسـتهلاك ولذلك يكون بضـعة مادية وسـلعة في السوق، فيقول في هذا الشأن:" إن "المستهلكين" و"موضوعات الاستهلاك" قطبان نظريان ثابتان يدور حولهما أعضـاء مجتمع المسـتهلكين كافة كل يوم. فربما يجد البعض أنفسـهم في اغلب الوقت قرب قطب" السـلع"، لكن لا يملك أي مسـتهلك حصـانة كاملة حقيقية في السقوط في عالم السلع، فليس بوسع المستهلكين دخول الحياة الاستهلاكية إلا عندما يتحولون إلى سلع ويستعطون أبراز قيمتهم الاستعمالية، فالتفرقة بين المستهلكين وموضوعات الاستهلاك في الحياة السائلة، إنما هي تفرقة لحظية عابرة غالبا، ومشـروطة بالظروف دائما، وربما نقول إن قلب الأدوار هي القاعدة هنا"[1].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, *pdf*,د.ت, ص 32)

يذكرنا باستمرار باومان أن الاستهلاك من مخرجات مرحلة الحداثة، وأنها هي التي قدمت الكثير من الوعود للبشـرية في مجالات مختلفة، لكن ما يطغى على تلك الوعود هي الوعود المادية التي تدعو إلى الحرية الاقتصـادية التي تجسـدت في الاستهلاك، وأصبح الإنسان هدفه الأساسي هو إثبات ذاته عن طريق الاستهلاك، وهذا ما يؤكده في أحد أهم النصـوص التي كتبها وهو كتاب حالة الأزمة التي عالج فيها الحداثة بشـكل ووفير وأهم المخلفات التي نتجت عن تلك الوعود فيقول:" كان ذلك مثلا بديعا للحداثة، الاسـتهلاك للجميع من دون اسـتثناء، ألم تكن هي تلك السـعادة؟، الم يكن ذلك هو كل ما يتمناه المرء، أن يمتلك ويشـترى وأن يسـتهلك ما

[1]– زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 32

يريد بلا حدود، وبلا ذنب؟، لقد أتت أخلاق العمل لتكافئ المستهلك الفاضل، الذي يتفق كل ما يكسبه لتقوية الاقتصاد الإنتاجي والأسواق، وبهذه الطريقة استعدت النزعة الاستهلاكية لاكتساب مزيدا من الأهمية فيما يتعلق بالإنتاج، وأن يصبح في الحداثة المتأخرة البديل العظيم للعمل"[1].(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني* /, *pdf*.د.ت, ص 113)

إن هذا الاستلاب الجديد تولد عن رؤية مادية للإنسان، فالإنسان في المنظور الغربي عبارة عن إنسان اقتصادي، وهو الإنسان الذي يكون سلوكه محددا بالمصالح الاقتصادية وحدها دون أي دافع عاطفي أو أخلاقي أو ديني..." وبذلك تحول المجتمع المعاصر إلى مجتمع استهلاكي لقد اختزلت أبعاد الإنسان الأخرى فلم يعد سوى منتج ومستهلك بقدر ما يزيد في منفعة الرأسمالي وربحه، فلم يعد الإنتاج بحسب حاجات المجتمع الضرورية بل بحسب ما يحقق للرأسمالي من أرباح ومنافع، ولذلك خلق للإنسان المستهلك حاجات جديدة لا يميز فيها بين الحياة الخيرة والحياة الشريرة[2].(*عبد الوهاب المسيري الفردوس الارضي* ,*pdf*.د.ت, ص 71)

ومن هنا نجد الفيلسوف الفرنسي **جيل ليبوفتسكي** يؤكد ذلك من خلال ذلك الارتباط الوثيق بين الاستهلاك والجسد في فلسفة ما بعد الحداثة من خلال ما يفرضه المجتمع من متع استهلاكية متزايدة على الفرد، فيعيش الفرد فيها تحت ضغط المجتمع، فيصبح الفرد تابعا لرغبات و أهواء المجتمع:" إن الفرد الذي يعيش

---

[1]. زيجمونت باومان، كارلو برودوني، حالة الأزمة، ص113.

[2]ـــ يحتاج النظام الرأسمالى إلى عمالة فائضاً دائماً، نوع من البروليتارية السائلة غير مرتبطة بوظيفة محددة على استعداد للعمل فى أى مكان وفى أى وقت دون أن تصبح جزءاً عضوياً من عملية الإنتاج نفسها – أى أنها تظل دائماً داخل الإنتاج وخارجه فى الوقت ذاته. ووجود مثل هذه العمالة السائلة هام وضروري من وجهة النظر الرأسمالية لسببين : أولا للضغط على العمال المنتظمين حتى يتمكن من إبقاء أجورهم عند الحد الأدنى الممكن. ثانيا يحتاج النظام الرأسمالى لهذه القوة السائلة حتى يتمكن الرأسماليون من نقل رأسمالهم من استثمار لآخر. ووجود فائض فى أى وقت، فلو تحققت "العمالة الكاملة" لأصبحت حركة النظام بطيئة للغاية بل ولأصبحت مستحيلة من بعض النواحى. (عبد الوهاب المسيري، الفردوس الأرضي ؛ دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة، منتديات الوحدة العربية ، ص 71

في مجتمع يكون فيه حتى الجسد والتوازن الشخصي والوقت الحر تحت إغراء عدد كبير من النماذج، يكون مكرها على الاختيار باستمرار وعلى أخذ مبادرات وانتقاد جودة المنتجات، وعلى فحص نفسه، واختبارها والبقاء شابا، والتشاور حول أبسط الأفعال: أي سيارة سوف يشترى، وأي فلم سيشاهد، وأين يذهب في العطلة وأي كتاب يقرؤه، وأي حتمية يتبع، وأي علاج يأخذ، يرغم الاستهلاك الفرد على امتلاك زمام أمره ويجعله مسئولا"[1].(*جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ* ,*pdf*.د.ت, ص 114)

وهنا يكون الفرد دائما تابعا للمتطلبات الجسد الغير المنتهية، وكلها عبارة طلبات ورغبات استهلاكية غير متناهية، تتجدد باستمرار ومع الوقت دائما تفقد صلاحيتها، وهي النقطة التي اشرنا إليها في الفصل بالمراطون الذي ليس لديه نقطة النهاية.

لذلك نجد السمة الأساسية لإنسان الحداثة السائلة هو الافراط في الاهتمام بالجانب المادي على حساب الجانب الداخلي الروحي، ويظهر ذلك في القلق المتزايد على الخوف من الشيخوخة المبكرة، والخوف من فقدان الشباب في وقت مبكر، مما جعل صالونات التجميل والحلاقة والجراحات التجميلية هي الموضة الأساسية التي يتميز بها هذا العصر، وهذا ما يؤكده في إحدى العبارات في قوله:" وإن الهرولة إلى صالونات التجميل تصدر في جانب منها عن المخاوف الوجودية، وليس استخدام مستحضرات التجميل رفاهية دائمة، فالرجال والنساء يخشون من انتهاء صلاحيتهم، فيصبغون شعرهم، ويمارسون الرياضية للحفاظ على قوامهم ورشاقتهم، كيف يمكنني أن أصبح جميلا / جميلة هذا هو عنوان كتاب صدر حديثا

1- جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ الفردانية المعاصرة، وتحولات ما بعد الحداثة، تر: حافظ ادوخراز، مركز نماء للبحوث والدارسات، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص 114.

في الســـوق، وتقول إعلانات الصـــحف عنه إنه بين طرق الاحتفاظ بالشـــباب والجمال وللأبد"[1]. (زيجمونت باومان، المراقبة السائلة, pdf, د.ت, ص 51)

ويظهر بشـكل واضـح في الحياة المعاصـرة التي تجعل من الجسـد عنصـرا أساسيا وفي مقدمات الحياة، فلا يمكن الاستغناء عن الجمال ومستحضرات التجميل للجنسين، والمشاهير في مختلف المجالات يسعون دائما للحفاظ على رشاقتهم وعلى شـــبابهم قدر المســـتطاع، من اجل البقاء طويلا على الســـاحة، فكلما كان اهتمامك بالجسـد أكثر كلما كان لديك الكثير من الأصـدقاء والمتابعين، خاصـة في وسـائط التواصل الاجتماعي.

لذلك نجد من أهم المنتجات الاســـتهلاكية الأكثر حضـــورا في مرحلة الحداثة السائلة تتمثل في أدوات الزينة التي تجعل من الإنسان أكثر شبابا وأكثر زينة، والتي تتميز بسـهولة استعمالها، وسـهولة استبدالها :"إن ما يزين المرء به جسده هو وسيلة تتناسـب مع عصـر السـرعة على نحو يفوق ما يفعله المرء بجسـده، فالأشـياء التي يتزين بها المرء (يجعلها، ويتخلص منها بسرعة فيما بعد) تلحق ـــــ يستبدل وتحل محل بعضها البعض بوتيرة مذهلة، وبسرعة ووتيرة لا تضاهيها زراعات الثدي وشفط الدهون"[2]. (زيجمونت باومان، الحياة السائلة, pdf, د.ت, ص 119)

وهذا ما يؤكد سـيطرة الجانب الاقتصــادي المادي الاسـتهلاكي على الإنســان المعاصـــــر، والاهتمام المتزايد المنتجات التجميلية الاســـــتهلاكية، دليل قاطع على الاتجاه نحو الاهتمام إلى البعد الخارجي للإنســان أكثر فأكثر، وهي نتيجة توفر هذه المنتجات في الأسواق وفي الصالونات بشكر رهيب و مرعب، فهي من أهم الأشياء الأكثر طلبا من طرف الزبائن في وقتنا الحاضر.

---

[1]. زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 51,

[2]– زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 119,

2.الاستهلاك كمعبد للإنسان المعاصر.

من الأفكار الجديدة في المجتمع الاستهلاكي الراهن، نجد ظهور مفهوم جديد في فلسفة باومان، تعبر عن حقيقة الحياة الراهنة السائلة، تتمثل في مصطلح (معبد الاستهلاك)، الذي يقول بأن الإنسان السائل يتدين بدين جديد، يتمثل في الاستهلاك من خلال التسوق ومتابعة الموضة والبحث عن الأطعمة والأحذية والملابس الفارهة والسيارات... فهو بحث ونهم لانهائي عن نماذج ووصفات جديدة معدلة للحياة، لان غاية هذا الأنموذج هو الوصول إلى السعادة, وبذلك يسعي إلى التدين من خلال الاستهلاك، فكلما استهلك أكثر، كلما أزداد تعبده وتقربه وبالتالي سيصل إلى السعادة القصوى[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 127)

من الأمور الأكثر جذبا واغرءا للإنسان الراهن، نجد المعابد الجديدة التي يجد في ضالته وراحته كثيرا، الذي يجعله يشعر ويعزز الانتماء له على هذا المجتمع المتدين الجديد، فهو مجتمع قائم على دين الاستهلاك، لأنه هو الذي يوفر له السعادة القصوى في الحياة، فكلما حققت أكبر وقت في معبد الاستهلاك ستتشعر بالسعادة، والعكس من ذلك، وهذا ما يعزز الانتماء إلى مجتمع المستهلكين[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 159)

لذلك يؤكد باومان على أن معبد الاستهلاك الحديد هو أشبه إلى حد بعيد بالذهاب والسفر إلى العالم الأخر، فكلما كثرت مراكز الاستهلاك، بواسطة كثرة وتوفر الخدمات الإستهلاكية، كلما كثرت الصلوات عليها من خلال متابعتها والنهم

---

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 127.

[2]. ، المصدر نفسه، ص 159.

عليها، كلما كان الرضى والسعادة للزبائن، وهذا مايجعل من الأفراد يتدينون بالدين الجديد وهو دين الاستهلاك[1].(زيجمونت باومان، الحداثة السائلة pdf, د.ت, ص 158)

يطلق باومان جديد حول الإنسان الذي الجديد الذي بني معبدا جديدا، وهو المعبد الاقتصادي، الذي يقدم الرفاهية والازدهار، والكنسية الجديدة المعاصرة، هي كنسية النمو الاقتصادي، التي تعد الإنسان وتوصله إلى مستويات الرخاء والسعادة[2] (حالة_الأزمة، زيجمونت_باومان _ كارلو_بوردوني ا, ص 87) معبد السوق أو صنم الاستهلاك، من بين الصور المجازية التي لا تعد ولا تحصى في فكر باومان، التي تؤكد على الشرور الراهنة، فهي أماكن التسوق والاستهلاك التي يجب أن تشد الرحال إليها باستمرار، لأنها معابد من نوع خاص وغير موجودة في السابق، لان هذه المعابد تجعل من الإنسان يتبحر في عالم يجعله ينسى كل الهموم والمشاكل التي يعانيها في حياته، من خلال الإغراءات المستمرة في اللذات الحسية، فميزة هذه المعابد أنها لا تعدك بالصفاء و النقاء، بقدر ما تعدك باللذة فهي تسعى إلى الجانب المغناطيسي للأشخاص[3].(زيجمونت باومان، الحداثة السائلة pdf, د.ت, ص 159)

الوجود الانتماء إلى هذا المعبد الجديد في حذا ذاته يعتبر انجازا عظيما، لأنه يوجد بداخله مجتمع أصيل من المتحدين على الغايات والوسائل والقيم والآداب التي يتم تقديرها أحسن تقدير، وهكذا تغدو الرحلة إلى الفضاءات الاستهلاكية رحلة إلى المجتمع المفقود، وهذا المجتمع المؤمن الجديد مثل تجربة السوق نفسها، تقوم على فكرة أساسية وهي الدوام في مكان أخر، وهذه الرحلة تستغرق دقائق أو ساعات معدودة وربما يلتقي فيها المرء بمجموعة من الأشخاص المؤمنين على شاكلته في

---

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة ، ص 158.

[2]. زيجمونت باومان وكارولو بوردوني، حالة الازمة، ص 87.

[3]– زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 159.

هذا المعبد (السوق) لكن دون حوار ونقاش وجلسات، فهي لقاءات حسية ملاحظتايتة فقط، وهذا المعبد الجديد يتمتع بصفاء يشبه صفاء أماكن العبادة وصفاء المجتمع المتخيل[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* pdf, د.ت, ص 161)

ويصف هذه الكنسية من جديد بأنها أهم الأصنام والمعابد الراهنة التي تحتفظ بأكبر قدر من الأتباع باستمرار، من خلال اديولوجية السعادة عبر الاستهلاك وايدولوجيا الاستهلاك لديها القدرة الكبيرة على إلغاء جميع الاديولوجيات الأخرى المغايرة لها2.(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان_، كارلو_بوردوني* ا, ص 78)

السلعة أو المادة هي من أهم الأفكار انتشارا في الوقت الراهن، فكل شيء موجود على شكل سلعة سواء في المتاجر أو في الأسواق، من سلع اقتصادية، إلى سلع إنسانية، الإنسان بحد ذاته هو عبارة عن سلعة تباع وتشترى كبقية السلع الأخرى، لذلك كان الإنسان المعاصر، ضحية المشروع الحداثي الغربي الذي جعله مجرد مادة وسلعة تستخدم لتحقيق أغراض شخصية مختلفة، مجتمع الاستهلاك المعاصر فرض على الإنسان المعاصر أنماط جديدة في الحياة، فأصبح مجتمع الاستهلاك يسيطر ويتحكم على أفكاره وعواطفه ورغابتيه وميولا ته حتى في قيمه الأخلاقية وقيمه الاجتماعية.

ويشير في نقطة أخري إلى أن كنسية السوق الجديدة، تحمل في داخلها إنجيلا يحمل في طياته مجموعة من القواعد والسرديات التي تسير الحياة الجديدة التي تحاول أن تجعل من الإنسان الراهني أكثر سعادة:" ولا ينبغي لأعداد المنشقين والمرتدين والهرطقة والمارقين أن تضللنا، عن القبضة التي تفرضها كنسية النمو الاقتصادي على أجساد سكان الكوكب، فالإنجيل الذي تدرّسه وتنشره يستحوذ على

---

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة ، ص 161.

[2]– زيجمونت باومان ولكارلو بوردني ، حالة الازمة، ص 78.

عقولهم استحوذا عالميا شاملا بما يفوق غيرها من السرديات الكبرى، فليس هنالك من كنسية بلا لعن ولعنات، وعدد الملعونين هو نتاج وجود الكنيسة في جبهة الهجوم وليس في جبهة الدفاع، وينظر إليها على أنها علامة دالة على قواتها وليس على ضعفها"[1]. (*حالة الأزمة ، زيجمونت باومان ، كارلو بوردوني* ا, ص 87)

مجتمع الاستهلاك يتميز بأنه مجتمع العبثية والفراغ في ظل سعي الفرد وراء الحاجات المتزايدة ولذلك نجد دائما أن الفرد يشعر بالعزلة والفراغ ، ويعاني من قلق وهاجس عدم إرضاء النفس، لذلك نجده دائما يطمع للمزيد من الحاجات المادية المختلفة، والنزوع إلى الجديد، فهو يسعي إلى إثبات وجوده الأصلي من خلال تحقيق الجديد من السلع المادية، ويمهل نفسه من جهة أخرى، مما يجعله يشعر بالملل و القلق والعبث:" إننا نعي وعيا مؤلما أن السوق إذا تركت لمنطق الأرباح فإنها ستؤدي إلى كوارث اقتصادية واجتماعية"[2]. (*حالة الأزمة ، زيجمونت باومان ، كارلو بوردوني* , ص 19)

ومن هنا يعاني من الكثير من الأزمات التي يعاني منها أغلبية سكان مجتمع الاستهلاك، من اكتئاب قلق وعزلة والشعور بالهشاشة والعجز عن تحقيق ذاته التي تتغير باستمرار بتغير قواعد و أسس مجتمع الاستهلاك، مما يسبب الالام الإحساس بالاستلاب[3]. (*سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار ,pdf*. 2018, ص 19)

ومنه يمكن أن نلخص كوجيتو الاستهلاك الذي يعشيه الانسان الراهني من خلال التأكيد على أن الرغبة في المشاركة داخل المجتمع، يشترط عليك فعل شيئ واحد وهو الدخول في الاستهلاك، وتحويل كل شيئ إلى سلعة استهلاكية حتي نفسك تتحول إلى سلعة

---

[1]. زيجمونت باومان كارلوبوردوني، حالة الازمة، ص 87.

[2]. زيجمونت باومان كارلوبوردوني، حالة الازمة، ص 19.

[3]. سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقية العنف عند جان بودريار، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، سنة2018، ص99.

استـــتهلاكية، وهو الشـــرط الذي لا يمكن التفاوض فيه في مجتمع المســـتهلكين، وإليه تكون العلاقات التي تحدد الوجود الإنساني هي في الإستهلاك[1].(*الإنسان السائل ــ ياسر بكر* ,*pdf*.د.ت, ص 09)

1.2.الموضة وصيرورة الاستهلاك:

تعتبر الموضـــــة من أهم الكلمات الأكثر حضـــورا وتداولا في المجتمعات الاســـتهلاكية المعاصـــرة التي تعبر عن حقيقة التغير المســـتمر في المنتجات الاستهلاكية، فهي تدل على الصيرورة المستمرة والنهم الواسع للاستهلاك، ونجد أن هناك تغير ســريع في المنتجات الاســتهلاكية من خلال التنافس الســريع بين كبرى الشركات في العالم من اجل صنع منتجات أكثر جذبا للمستهلك، مما يجعل المنتوج في زوال مســتمر ودائم وهذا ما يؤكده جيل لبيوفتســكي في قوله:" يتضــح شــكل الموضــة بكل راديكالية من خلال المســيرة المتســارعة لتغيرات المنتجات، ومن خلال عدم اســتقرار الصــناعات، لقد ألغي المنطق الاقتصــادي كل الاســتمرارية، أنه قاعدة الزوال التي تحكم إنتاج واسـتهلاك الأشـياء"[2]،(*جيل لبيوفتسكي مملكة الموضة زوال متجدد 2* ,*pdf*. د.ت, ص 143–144) فهذا دليل على أن التغير السريع هي السمية الأساسية للموضة في زمان الحداثة الســائلة، وهي صــفة أســاســية من صــفات الشــر الســائل الذي يغويك باستمرار.

مجتمع الاستهلاك الراهن في المتلازمة الاستهلاكية، من خلال فكرة الموضــة يجعل من المستهلك محميا من كل الضغوطات الاجتماعية:" إن الإحالة إلى مواكبة الموضـــة والبقاء كذلك، تعد باكتســـاب الانتماء، بمعنى أن تكون مقبولا ومندمجا مع الآخرين،

---

[1]. ياسر بكر، الانسان السائل، بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، ص 09

[2]. جيل لبيوفتسكي، مملكة الموضة زوال متجدد، ص ص143-144,

إذ تتضـمن حمايتك من الفشـل، وتجنبك الإقصـاء والهجر والوحدة"[1]،(زيجمونت باومان، الحداثة السائلة *pdf,*د.ت, ص 195-196) مما يبين أن مجتمع المسـتهلكين يفرض نوعا جديدا من الانتماء في المجتمع، فكلما كنت تساير الموضـة، تكون لك جماعة معنية تنتمي إليهم، تشتركون في عملية الاستهلاك.

ضف إلى ذلك أن الموضـة تفرض على مجتمع المستهلكين أن يغيروا في كل مظاهر الحياة المختلفة نتيجة التجديد المستمر في المنتجات الاستهلاكية التي تغير نمط الحياة باستمرار، لذلك نجد أن الناس تستغرق أوقات طويلة جدا في البحث عن هذه السلع التي تغير حياته باستمرار، وهذا ما يؤكده في كتابه الحياة السائلة حين يقول:" ففي عالم الموضــــة نجد أن ما "يجب" على الناس أن يرتدوه أو ما يجب أن نراهم وهم يرتدونه يتحول ما "لا يجب" عليهم أن يرتدوه، وبســرعة تفوق الزمان الذي يسـتغرقه المرء في فحص محتويات دولاب الملابس، وأسـرع من اسـتبدال أرضـية خشبية مزخرفه بسجادة..."[2].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* *pdf,*د.ت, ص 118)

هذا هو المنطق الذي تحدث عنه جيل لبيوفتســكي منطق التغير والمرونة المســتمرة التي تعشـيها البشـرية وفق متطلبات الاسـتهلاك و سـتكون مجبر على الاستهلاك وطلب الموضـة الجديدة، من أجل أن تستمر في البقاء في دائرة مجتمع المسـتهلكين، وإلا سـتكون خارج هذا النظام، وبذلك سـتكون في عزلة تامة عن هذا المجتمع.

الأشياء التي تدل على أن الموضـة هي المصدر الأساسي الذي ينمى ويسرع وتيرة الاسـتهلاك، تتمثل في الترك والتخلص من الأشـياء باسـتمرار، لأنه المنطق الأساسي الذي يطور الاستهلاك:" المتمسكون بموضـة قديمة من الملابس، وأجهزة

---

[1]. زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص ص195-196.

[2]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 118.

الحاسوب، والهواتف النقالة، ومستحضرات التجميل، هم بمثابة كارثة على اقتصاد يتمثل اهتمامه الرئيس، وشرط بقائه الضروري، في طرح مستارع للمبيعات والمشتريات في عالم النفايات..."[1] (زيجمونت باومان، الحياة السائلة ,pdf.د.ت, ص 117).

من الأشياء التي تجعلك تنتمي إلى مجتمع الاستهلاك في الوقت الراهن، هي في الممارسة المستمرة للاستهلاك من خلال الموضة، فلكما كنت متابع للموضة باستمرار، والتجديد المستمر للسلع للاستهلاكية، من خلال المرونة المستمرة:" إن الإحالة إلى مواكبة الموضة والبقاء كذلك تعد باكتساب الانتماء، بمعنى أن تكون مقبولا ومندمجا مع الآخرين، إذا تتضمن حمايتك من الفشل، وتجنبك الإقصاء والهجرة والوحدة" [2]،(زيجمونت باومان، الحداثة السائلة ,pdf.د.ت, ص 195) الموضة تتطلب المرونة المستمرة في تغير الإنسان من حالة إلى حالة أخرى، فهي عملية التجدد المستمر في الإنسان من حيث الشكل والسلع التي يقتنيها، والأشياء التي يتابعها باستمرار.

ومنه هي عبارة عن شر ناعم يستدرجك إلى الغوغاء دون الوعي بالمخلفات التي تنجر عليها فيما بعد، يعني أن تستهلك وتساير الموضة، وإن لم تفعل ذلك فأنت خارج القطيع.

بما أننا في عصر الاستهلاك وبالتالي يجب على المستهلك أن يساير السوق في كل شئ، وأي تأخر عن مسايرة السوق هو تأخر في الحياة بشكل عام، وبالتالي سيكون مصيرك الاحتقار، والاتهام بالرجعية والتخلف...:" يكفي للمرء أن يتصفح شبكة المعلومات الدولية في الصباح ليدرك أن تلك الحقيقة الحقة تظهر في الجزء الرئيسي من قائمة الإخبار اليومية:" هل تخجل من هاتفك المحمول؟ هل هاتفك قديم؟ حتى انك تخجل من الرد على المكالمات أمام الناس؟ إذا حدثته باختيار

---

[1]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة ، ص 117.

[2]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 195.

الهاتف الذي يبعث على الفخر. أما الوجه الأخر لهذا الترغيب في التحديث والحصـــول على الهاتف المحمول اللائق بالمســـتهلك، إنما هو الخطر الذي يهدد المستهلك عندما يراه الناس وهو مازال يمسك بالهاتف الذي حدثته منذ فترة"[1].

في مجتمع الاســـتهلاك المرتبط بفكرة الموضـــة تجد نفســـك مرتبطا بالتغير المستمر في كل يوم و في كل أسبوع و في كل شهر، وكل سنة، لأنها الموضة في الوقت المعاصـــر، والراهن قائمة على فكرة التخلص الســـريع من اللباس القديم والأقمشـــة الغير اللائقة، والبحث عن أدوات التجميل باســـتمرار، فالفرد هنا يعيش لحظات بلحظات، وبذلك تجد نفسك مجبر دائما على التخلص السـريع من الأدوات القديمة واستبدالها بالجديد، (*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, *pdf*,د.ت, ص 31) فلكما ظهر البديل الأفضـــل الذي يجعلني انخرط في الجماعة، كلكما كنت مطالبا التجديد، وهذا هو الشـــرط في الوقت الراهن ليتم ارضـــاء المجتمع والانخراط فيه[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, *pdf*,د.ت, ص 19)

الموضـــة مثلما قولنا ســـابقا مرتبطة أشـــد الارتباط بالاســـتهلاك ومجتمع المســـتهلكين، فهي من جهة تقوم على فكرة الإغراء والاغواء ومن جهة أخرى تقوم على فكرة الرغبة، في حين نجد أن الشـــركات الكبرى تقوم على إغراء المســـتهلك بمتوجات جديدة تواكب العصـــر، ومن جهة أخرى تقوم على الرغبة التي يناشـــد المسـتهلك تلك الشـركات بتقديم منتوجات جديدة باسـتمرار، لان المسـتهلك هو الذي يقرر ويختار السـلع الاسـتهلاكية التي يريدها هو، بيمنا الشـركات تقوم بتلبية طلبات المستهلكين والتنافس فيما بينها من أجل كسب أكبر قدر ممكن من الزبائن لذلك نجد لجيل لبيوفتسـكي: " إن الاسـتهلاك باعتباره تحكما مرنا وغير ميكانيكي أو شـمولي

---

[1]– زيجمونت باومان، الحياة السائلة ، ص 31.

[2]– زيجمونت باومان، الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص 198.

هو عملية تسير نحو بناء الإغراء، فالأفراد وإن كانوا يتبنون الأشياء والموضات والصيغ الترفيهية التي تقوم منظمات مخصصة بإعدادها، فإنهم يفعلون ذلك بمحض إراداتهم، ويقبلونهذا ويرفضون ذاك"[1].)

ويشير جيل ليبوفتسكي إلى انتشار ظاهرة الموضة بشكل رهيب جدا بداية من النصف الثاني من القرن العشرين، حيث ساهمت في تغير ملامح الحياة في الغرب، من خلال الاستهلاك والرواج الكبير للألبسة والأطعمة وغيرها من الأمور المختلفة:" تحمل الموضة الرجعية التي ظهرت منذ بضع سنوات دلالة كبيرة في هذا السياق، فقد عرفت الملابس المجعدة لجميع الأعمار روجا خلال الخمسينات والستينات، ولا تشبه الموضة الرجعية أي موضة أخرى بالنظر إلى أنها لم تعد تقوم على ضوابط صارمة مبتكرة، وإنما فقط على الإحالة المرنة على الماضي، وإعادة بعث علامات مبنية للموضة يتم تركيبها بحرية تامة، وبهذا المعنى تكون الموضة الرجعية ملائمة لمجتمع مشخصن، يتطلع إلى التخفيف من الأطر، ويشيد نفسه دون نمط مرن"[2].

لا يمكن أن نتحدث عن الموضة باعتبارها شرا سائلا في الوقت الراهن، دون الحديث عن الاستهلاك، دون الحديث عن الاقتصاد، فهي عبارة عن سلسلة متصلة فيما بينها، ويقدم لنا باومان مثال على ذلك من خلال أكثر من يمارس الموضة راهنا هن النساء من خلال مستلزمات التجميل، من خلال الملء والإفراغ المستمر للحقائب الخاصة بهن بمواد التجميل التي تحمل ألوان جديد وأشكال جديدة ومكونات جديدة، دليل على النهم الكبير على هذه المنتجات، التي تخدم شركات التجميل بشكل أكثر وأكثر، وذلك من خلال الإغراء المستمر باستخدام الألوان في

---

[1]. جيل لبيوفتسكي، عصر الفراغ، ص 112.

[2]. جيل لبيوفتسكي ،عصر الفراغ، ص158.

المستحضرات التجميل، وكلها داخلة في خدمة حياة البيج الخصبة[1]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 198)

في مجتمع المستهلكين نجد أن السوق تفرض على هؤلاء الأفراد نمطا ميعنا من الحياة والعيش من خلال إلزام الأفراد في الدخول داخل ضغط الاستهلاك وضرورة تنبي سلعة دون سلعة أخرى:" إننا نعيش اليوم في مجتمع معلوم من المستهلكين، ومن المحتم أن يؤثر السلوك الاستهلاكي في كل وجوه حياتنا الأخرى ومن تلك العمل والحياة الأسرية، كلنا اليوم تحت ضغط أن نستهلك أكثر، وعلى الطريق أن نصير أنفسنا سلعا في أسواق الاستهلاك والعمل"[2]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 86)

ومن النقاط المهمة الجديدة التي تعمل عليها المتلازمة الاستهلاكية التي تدعم الموضة بشكل رهيب حاليا، وفق قاعدة جديدة تقول:" إشتر، استعمل، أرم"[3]، (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 199) وهذا إن دل فإنما يدل على فكرة جوهرية تقوم الحياة الراهنة، التي تسعى على جعل الإنسان أكثر استهلاكا، وذلك من خلال تعزيز الطلب المستمر والإغراء لمستم في المجتمع الاستهلاكي المعاصر، وهذا كله ليس إلا لفكرة واحدة وهي خدمة الحياة الاقتصادية، وهذا كله عكس الاستهلاك التقليدي القائم على فكرة استهلك ما تحتاجه فقط في السوق، وبالتالي لا مجال للحديث عن عجلة الإزهار وتطوره دون الحديث عن الموضة والصيرورة التجديد المستمر للسلع الاستهلاكية.

ولعل أهم الخصال التي تعكس الاستمرارية في الاستهلاك، نتيجة التطوير السريع في الموضات الجديدة التي تلغي الموضات والسلع الاستهلاكية القديمة هي

---

[1]. زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 198.

[2]– المصدر نفسه، ص 86.

[3]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 199.

في خلق نوع جديد من المجتمع، والتي تتسم بالتترابط والعضويته الاجتماعية في الاستهلاك المستمر، أو كما يسميه البعض ب" مجتمع المستهلكين" حيث سيكون هذا المجتمع هو البحث المستمر عن تحقيق الذات داخل هذا المجتمع حيث يمكن أن تكون الذات عبارة عن سلعة وموضة في ذات في الوقت يمكن تسويقها والترويج لها في وسائل الإعلام والأسواق والمواقع الإلكترونية.

وهذا ما نبهنا إليه باومان في كتابه المراقبة السائلة حينما قال:" إن الاستهلاك في أيامنا هذا لا يشير كثيرا إلى الملذات، بقدر ما يشير إلى الاستثمار في العضوية الاجتماعية التي، التي تترجم نفسها في مجتمع المستهلكين إلى "القدرة على ترويج الذات وتسويقها وبيعها"، بمعني تحقيق الصفات المطلوبة في السوق، أو اعادة تدوير تلك الصفات المطلوبة وتحويلها إلى سلع يمكن تسويقها"[1](*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 53).

يشبه زيجمونت باومان الحياة الاستهلاكية المعاصرة، باللعبة الأكثر انتشارا في العالم ، وهي لعبة السلم و الثعبان في قوله:" إن الحياة الاستهلاكية هي لعبة السلم والثعبان، فالطريق من أسفل إلى أعلي، بل الطريق من أعلى إلى أسفل قصيرة للغاية، والصعود والسقوط يجريان بسرعة مثل إلقاء جرد النرد، بإنذار بسيط أو من دون إنذار، فيصعد المرء إلى القمة، لكن ما يلبث أن يسقط إلى القاع، ويلح الفوز في الأفق، لكنه ما يلبث أن ينتهي إلى سراب[2].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* *pdf*,.د.ت, ص 118)

حيث انه لا ريب ولا محيد عن الانطلاق في عالم الاستهلاك ، حيث يبرز مجتمع عالم الاستهلاك بوضوح غزارة المنتجات الاقتصادية على شكل صور وخدمات متنوعة في حياة المستهلك، حيث تجعل من المتوجات في شكل صور

---

[1]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 53.

[2]. المصدر نفسه، ص 118

مختلفة تسعي بقدر كبير إلى كسب أكبر قدر ممكن من الزبائن، والتي تركز على المتعة و الترتيب في عرضها بشكل منظم تسل لعاب المستهلك، وتثير فيه الحماسة والرغبة الشديدة في اقتناء المنتوج الجديد، وذلك عن طريق الإغراء المستمر لمجتمع المستهلكين في ظل النظام الرأسمالي، حيث تجعل الأفراد غارقون في اختبار المنتوجات الاستهلاكية المتجددة باستمرار[1].(*جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ* ,*pdf*.د.ت, ص 26)

من بين االشرور التي تعقبها الموضة المستمرة في المجتمع الاستهلاكي هي الظهور المستمر للقمامة، نتيجة التحديث المستمر للسلع الاستهلاكية، و بالتالي كل ما لا يتماشي مع السوق، سيكون مصيره هو القمامة و المفرغات الخاصة للأشياء التي تجاوزها الزمان في زمان الاستهلاك الفوري:" إن النفايات هي المنتج الرئيس، بل والمنتج الأكثر انتشارا في المجتمع الاستهلاكي الحديث والسائل"[2].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 31)

وبالتالي هنا الحداثة السائلة هي حداثة يمكن وصفها ب حداثة الفوراغ، التي هي نتيجة الاستعمال المستمر للأدوات الاستهلاكية:" فإنتاج النفايات هو أضخم الصناعات في المجتمع الاستهلاكي وأكثرها حصانة من الأزمات، وذلك يجعل التخلص من النفايات أحد أبرز التحديات التي لا بد للحياة السائلة من مواجتها والتعامل معها"[3].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 31)

الحياة الاستهلاكية في زمان الموضة مبينة على حدين أساسين لا يمكن الفصل بينهما، منتوجات الاستهلاك ومخلفات الاستهلاك(القمامة):" ففي عالم يحتفل

---

[1]. جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ، ص26.

[2]. زيجمونت بازمان، الحياة السائلة، ص 31.

[3]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بالمستهلكين وموضوعات الاستهلاك، تتأرجح الحياة بشدة بين حدين: ملذات الاستهلاك وأهوال القمامة"[1].(زيجمونت باومان، الحياة السائلة pdf, د.ت, ص 31)

لكن مملكة الموضة بتعبير جيل ليبوفتسكي، هي المسايرة للمتلازمة الاستهلاكية، من خلال الوعود المقطوعة لها بصلاحية السلع الاستهلاكية الصلاحية المحدودة للمنتجات الإستهلاكية، يلزمك بالإسراع قدر الممكن في استهلاك تلك السلعة، قبل فوات الأوان، وبالتالي يتحم عليه تلبية النداء سريعا للسلعة الجديدة، من دون وعي، لأنه مجبر على ذلك، بعد تلك الضمانات والصلاحيات التي قدمها له مجتمع الاستهلاك، ومن هنا فهو مجبر باستمرار في تلبية النداء، كلما كان هناك تجديد في السلع[2]، (زيجمونت باومان، الحداثة السائلة pdf, د.ت, ص 196) من خلال ممارسة سياسة الإلهاء والدعاية المستمرة من خلال وسائل الإعلام والاتصال الحديثة المتطورة جدا، التي تستحوذ على جذب الأفراد.

من أكبر الشرور المنتشرة راهنا في المجتمع الاستهلاكي يتمثل أساسا في ما يسميه باومان، المتلازمة الاستهلاكية (الحياة الاستهلاكية) القائمة على خطر كبير يتجلي في :" الحياة الاستهلاكية هي حياة التعلم والنسيان السريعين"[3]،(زيجمونت باومان، المراقبة السائلة pdf, د.ت, ص 53) وذلك من خلال الموضة التي تعلمك النسيان السريع للمتوجات الاستهلاكية، حتى استهلاك الأفراد وقت الحاجة، بمجرد ظهور البديل الذي يخدم مصلحتي، استغني عن القديم وبالتالي والإنسان الراهن يعرف ما لانهاية من البدائل الذي يستقر عليه، إنه عصر اللابديل، وهي من المميزات الرئيسية للشر السائل.

---

[1]. زيجمونت بازمان، الحياة السائلة، ص 31.

[2]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 196.

[3]. زيجمونت باومان الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص 197.

2.2.السلعة وتشيؤ الإنسان:الإنسان السائل[1])

أضحت حضارة القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين حضارة السلعة بامتياز، حيث أصبح كل شيء في العالم يقاس بالسلع التي ينتجها والتي يستوردها، فكل شيء مرهون بالتقدم الاقتصادي المادي، حتى غدا الإنسان نفسه مجرد سلعة أيضا، حيث أصبح يقاس وجود الأفراد في المجتمعات الراهنة بالمداخل التي يقدمونها، حتى العلاقات الإنسانية مرتبطة بالتسليع والاستهلاك فكل شيء يكون على شكل سلعة.

وهذا ما أكده **مايك فزر ستون** في كتابه **ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة** فيقول في إحدى الفصول:" ... توجد قدرة كبيرة للسلع على تحطيم أو هدم الحدود الاجتماعية وتفكيك الروابط المستقرة طويلا بين الأشخاص والأشياء"[2]،(*مايك فيزرستون، ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة, pdf,*د.ت, ص 63) السلعة بهذا التعبير غيرت من ملامح الحياة المعاصرة في كل الجوانب، خاصة من الناحية الاجتماعية والمعاملاتية القائمة على فكرة المادة، أينما توفرت السلعة توفرت العلاقات والروابط بشكل مستمر، وأينما فقدت السلعة فقدت وتصدعت الروابط الإنسانية في كل الجوانب، من أهم مخلفات الحداثة الصلبة في عصر الأنوار[3].

[1]ـ كلمة الانسان السائل في حد ذاتها استعارة حقيقية من بين الكثير من الاستعارت التي يوصفها زيجمونت باومان ، وقد اقتبس هذه الاستعارة من الفيزياء، وهي عبارة عن نتاج حالة اجتماعية وسياق تاريخي تزامن مع نتائج مابعد الحداثة بكل ما تمثله من غموض، في مجتمع السيولة الذي يصوره عن الحالة السائلة من خلال رصد العلاقات الاجتماعية ، فهذا المجتمع يتميز بعدم الاستقرار والتغير المستمر، لان الظروف التي يعشيها أعضائه تتميز بالسرعة الكبيرة في كل شيئ... (. ياسر بكر، الانسان السائل، بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، ص 25.)

[2]. مايك فزرستون، ثقافة الاستهلاك و ما بعد الحداثة، ص 63.

[3]ــــ إنّ بروز الحركة التنويرية في أوروبا كان ضرورة تاريخية وفكرية ملحة، ورد ة فعل قوية على الممارسات الخطيرة للمنظومة الكنسية باسم الدين المسيحي على الإنسان الأوربي، بحيث قيد العقل الإنساني وعطلت وظائفه، فهدد هذا الوضع، الإنسان في استقراره وخنقت حرياته الفردية وسعادته. فالتنوير الأوروبي جاء ليحارب ويقضي على كل أشكال الممارسات اللامعقولة التي هيمنت على الإنسان الأوروبي، من خلال حمله لقيم الحرية والمساواة والتمدن ...الخ، معيدا

في زمان الحداثة الســائلة خلف الكثير من الإرهاصـــات والتبعات على العقل البشري، مما جعل الإنسـان يسعي قدر المستطاع لكسب الأشياء المادية والتغافل عن الأبعاد الإنسانية الأخرى، حيث غدي الإنسان نفسه عبارة عن سلعة استهلاكية قابلة للبيع والشراء وهذا ما ذكره باومان في الحوار الذي جرى مع ديفيد ليون والذي ترجم في بعد إلى كتاب بعنوان 'المراقبة السائلة' الذي أكد فيه أحد الفصول على أن الإنســان أصـبح مجرد مادة وســلعة فيقول بذلك:" دعني اكرر أن أعضـــاء مجتمع المســتهلكين هم أنفســهم ســلع اســتهلاكية، وكونهم ســلعا اســتهلاكية هو ما يجعلهم أعضاء سعداء في هذا المجتمع، أن يصبح المرء سلعة قابلة للبيع، وأن يبقي سلعة قابلة للبيع أيضـــا"[1]،(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة, pdf,*د.ت, ص 53) فهذه العبارة الصـــريحة من طرف باومان أكبر على أن الإنسان الراهن أصبح مجرد سلعة تباع وتشتري في الأسواق الاستهلاكية، الاستهلاك خلق لنا نوع جديد من الإنسان، إنسان سلعي يباع ويشترى في الأسواق والمعارض.

يذكر باومان في كتابه الحياة السائلة الذي يناقش فيه كثيرا الحياة الاستهلاكية في جزءه الأول، على أن الحياة الراهنة هي حياة اســـــتهلاكية بامتياز:" إن الحياة الســائلة حياة اســتهلاكية، إنها تجعل من العالم بكل أحياءه وجماداته وموضـــوعاته للاســـــتهلاك، تفقد نفعها عند اســـــتخدامها (وتفقد ســـــحرها، وجاذبيتها، وإغواءها

للعقل دوره الفعال في إحداث هذا التغير المنشـود. والمتأمل لوضـع أوربا المتنورة يلمس الحضـور الفعلي لهذه القيم الجديدة التي حملها الفكر التنويري، يدل على ذلك تمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمته وذلك بالاعتماد على العقل كأداة للمعرفة، فلا يمكن التشـكيك في دور العقل الأنواري في تحقيق هذه السـيطرة، لكن مدرسـة فرانكفورت النقدية أرادت مسـاءلة الفكر التنويري وعقلانيته نظرا لانحرافه عن الأهداف التي وجد من أجلها. وبرزت هذه المسـاءلة النقدية في كتاب جدل التنوير المشـترك لتيودور أدورنو وهوركهايمر. فانحراف التنوير يشـكل أزمة أصـابت العقل الغربي وهي التي دفعت بالتساؤل في نص جدل التنوير عن أسباب تراجع هذا العقل وظهوره في شكل جديد ينبئ بالأفول والتهاوي، في الوقت الذي تعززت فيه الهيمنة الرأسـمالية وتصـاعد الامتداد السـلطوي والأيديولوجي، ليتحول العقل من مهمة النظر الفكري إلى مجرد وسيلة هيمنة وقمع.

[1]. زيجمونت باومان واديفيد ليون، المراقبة السائلة، ص53

واغرائها)، إنها تشكل معايير تقيم أحياء هذا العالم وجماداته وفق موضوع الاستهلاك، وهذه الموضوعات لها عمر افتراضي نفعي قصير، وإذا انتهي فلا يصلح استهلاكها، ومادامت عبارة "صـــالح الاســـتهلاك" هي الصـــفة الوحيدة التي تحدد وظيفة هذه الموضـــوعات، فان انتقاء هذه الصـــفة يجعلها غير صـــالحة تماما أي غير نافعة..."[1].(زيجمونت باومان، الحياة السائلة pdf, د.ت, ص 30–31)

ليست الحاجات التي يتكلم عنها الخطاب المدعم لمجتمع الاستهلاك حاجات بشرية صادرة عن الطبيعة الإنسانية، بل هي حاجات من صنع مجتمع الاستهلاك نفسه إنها ليست حاجات أولية ، فحاجة الإنسان إلى الطعام مثلا تشبعها كمية محددة من الطعام، إلا أن الطعام في المجتمع الاستهلاكي يتخذ صورا وأشكالا عديدة أخرى ويتحول للمجال الرمزي . فعلى الرغم من أن حاجات الإنسان الأساسية محددة إلا أننا نجد تنوعا هائلا في الســـلع التي تشـــبع هذه الحاجات. ويرجع هذا التنوع إلى مجتمع الاســـتهلاك الذي يخلق حاجات أخرى ثانوية بمجرد إنتاجه لكم هائل من السلع التي تشبع حاجة واحدة . فللإنسان حد أدنى يكتفي به ويستطيع عن طريقه إشباع حاجاته الأولية لكن مجتمع الاستهلاك خلق حاجات أخرى ترفهية ورمزية لا يمكن إشباعها، ذلك لأنه بمجرد أن يشبع الفرد حادة منها حتى تؤدي به إلى حاجات أخرى وإلى ما لا نهاية . و يرجع السبب في ذلك إلى أنها ليست حاجات تشبع عن طريق قيم استعمالية بل عن طريق قيم تبادلية

لا يأتي إشباع هذه الحاجات عن طريق امتلاك المرء لقيمة استعمالية لشيء ما بل لقيمة رمزية ، فالســلع تســتهلك لما تضــفيه على المرء من مكانة أو وضــع اجتماعي أو قيمة في المجتمع و صـــورة معينة عند الآخرين، لا بما تشـــبعه من حاجات أولية لديه.

---

[1]– زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص ص30–31.

ويذكر أيضا باومان عن اللهف الكير للمستهلكين في الوقت الراهن من أجل إثبات الذات من خلال المتابعة المستمرة للمنتوجات الاستهلاكية المتغيرة باستمرار من اجل تحقيق متع زائدة ومؤقتة، حتي عدى الإنسان نفسه أيضا مجرد شيء مادي، فيقول باومان في هذا الصدد:" فأغلب السلع الاستهلاكية المعروضة في السوق الاستهلاكية تستمد جاذبيتها على حشد زبائن متلهفين من قيمة استثمارها الحقيقة المزعومة و المعلنة أو المضمرة، إن وعدها بزيادة جاذبية متبايعا وثمنهم في السوق هو وعد مكتوب –بخط صغير أو عريض– أو على الأقل بين السطور– في وصف منتج– وهذا سيتم شراؤها بوضوح لمتعها الاستهلاكية المحضة في الغالب أو لهذه المتعة فحسب، فالاستهلاك استثمار في كل ما يرفع 'القيمة الاجتماعية الفردية و تقديرات الذات'"[1]. (زيجمونت باومان، المراقبة السائلة, *pdf*,د.ت, ص 53)

ومنه أصبح الإنسان الراهن، من منظور باومان، إنسان يعيش حياة مخدرة، بعيده كل البعد عن الأخلاق، و حياة بعيدة عن الإلزام الأخلاقي والديني، تحول في الأخير إلى مجرد حيوان مستهلك، حط من قيمه، و هذا التشيؤ دليل على سيولة المشروع الحداثي، فلم يعد صلبا متينا مثلما كان في السابق.

3. الاستهلاك والسعادة الوهمية[2].

[1]– زيجمونت باومان ودافيد ليون، المراقبة السائلة، ص 53.

[2]ـــ في مقال نُشر قبل أكثر من عشر سنوات ، السعادة المتناقضة، مقالة عن مجتمع فرط الاستهلاك، كان الفيلسوف جيل ليبوفتسكي يسلي نفسه بالفعل مع هذه التناقضات التي ظهرت: "يبدو أن كل شيء يعارض مفهوم السعادة المادية تمامًا ومفهوم السعادة المادية السعادة الروحية "لأن" أحدهم يؤكد على اكتساب سلع السوق، والآخر كمال الوعي؛ واحد يعطي الأولوية ل، والآخر إلى أن يكون"، لكنه يضيف، نحن لا نتوقع هذه الفلسفات لتجريدنا من غزوتنا الذاتية أو تنقذنا من" شهيتنا الباطلة"، ولكن على العكس من ذلك، فإنهم يشتروننا" في الوقت نفسه النجاح المادي والسلام الداخلي ، الصحة والثقة بالنفس ، القوة والهدوء ، الطاقة والهدوء ، بكلمات أخرى السعادة بالداخل ، دون وجود بحاجة إلى التخلي عن أي شيء خارج المنزل (الراحة ، النجاح المهني ، الجنس ، الهوايات). "تذهب من طريقة إلى أخرى، من مدرسة فكرية إلى أخرى، وفقًا لموقف قوي للغاية. الاستهلاكي.

يشير ادغار موران في كتابه هل نسير إلى الهاوية في الفصل الأول عن أزمة الحداثة، على فكرة أساسية تتمثل في الأساطير الكبرى التي قام عليها المشروع الحداثي الغربي في المقولة التالية: تتجلى الحداثة في ثلاثة أساطير كبرى، أسطورة التحكم في الكون التي قال بها كل من ديكارت وبوفون وماركس... وأسطورة التقدم والضرورة التاريخية التي باتت تفرض نفسها مع كوندوؤسي، وثالثة الأساطير هي أسطورة السعادة"[1]،(*ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية*, *pdf*.د.ت, ص 25) وبالتالي هي أسطورة من الأساطير التي حلم بها المجتمع الحديث.

ولكن من جهة أخى يجب ادغار موران على اسطورة السعادة مثلها مثل الأساطير الأخرى أصبحت في أزمة، من خلال التغير الجذري في فهم السعادة من خلال النهم الاستهلاكي، وإدراكهم أن السعادة يجب أن تتحقق في المنتوجات الاستهلاكية، كالإفراط في العقاقير النفيسة والمخدرات وغيرها[2]. (*ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية*, *pdf*.د.ت, ص 28)

1.3.الاستهلاك والمجتمع التعاقدي[3]:

1. ادغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ص 25.

2. المرجع نفسه، ص28.

3 ـــ يشير زيجمونت باومان في كتابة الأزمنة السائلة إلى مجموعة من التحولات التي حدثت بين الحداثة الصلبة والحداثة السائلة، و المتمثل في الانسحاب التدريجي الدائم للدور الاجتماعي الدولةـــ أو تقليص الضمان الاجتماعي المدعوم من الدولة، ضد عجز الافراد أو ضد المصائب، ومن هنا تغير مفهوم المجتمع ، وذلك بسيلان المجتمع، واصبحت أكثر قوة ولحمة عكس الماضي، فهو الان عكس الماضي على شكل ربطات و فيزيائية، يمكن حلها في كل وقت فيقول في هذا الصدد:" وهكذا فان مفهوم المجتمع بوصفه الرابطة الكلية التي تجمع أهل البلد على أرض الدولة السيادية، يبد كلمة جوفاء إلى حد كبير، فالروابط الانسانية الامنة التي كانت جديرة باستثمار كبير ودائم للوقت والجهد، كانت جديرة بالتضحية من أجلها بالمصالح الفردية المباشرة، لكنه صارت أكثر هشة إلى جد كبير ومؤقتة بكل تأكيد، فالمعانات الفردية من الأخطاء الصادرة عن تقلبات أسواق العمل والسلع يبعثث عن الانقسام وتعززه ولا يبعث عن الوحدة ويعززها" –زيجمونت باومان، الازمة السائلة، ص 26.

من الشـرور التي افرزها المجتمع الاسـتهلاكي على المسـتوى الاجتماعي هو في خلق ذلك النظام الاجتماعي الجديد، المخالف تماما لنظام المجتمعات التقليدية خلقت روابط جديدة بدل علاقات، فهذه الروابط أشـــبه بالمواد الفيزيائية أو الكيمائية التي يمكن تركبيها وإعادة فصـلها من جديد، فلم تعد العلاقات الإنسـانية قائمة على قواعد أخلاقيـة واجتمـاعيـة ودينـه، حيث انـدثرت كـل المعـايير والمقـاييس والمبـادئ التقليدية التي تربط وتضبط المجتمع.

حيث وصـــلنا في زمان الحداثة الســائلة التي طغت عليها النزعة المادية الاســتهلاكية إلى ورابط تعاقدية، حيث غاب الالتزامات والصــرامة والحميمة عليها وهذا ما يبرزه باومان في قوله:" عندما يتعلق الأمر بالبشر، يصـعب اجتناب الالتزام حتى وإن كان التزاما غير مكتوب وغير مصـدق رسـميا، فأفعال الاسـتهلاك غايات واضـحة، غايات عابرة لا تتجاوز لحظة الفعل، لكن هذا الكلام لا يمكن أن يقال عن المعاملات الإنسـانية، ذلك أن كل لقاء يخلف رواسـب لروابط إنسـانية، وهذه الراسـب يزداد سمكها مع مرور الوقت عندما تثير ذكريات الترابط والعيش المشترك"[1].(زيجمونت باومان، *الحياة السائلة*, *pdf*,د.ت, ص 145)

في مجتمع الاسـتهلاك، القائم على أكبر قدر من ممكن البشـرية، التي تجعل من شـغلها الشـاغل يتمثل أسـاسـا في التسوق المستمر، الذي يجعل من الفرد يشـعر بالسعادة، السبيل الوحيد الذي يجعل المرء ينسى شقاوة الحياة وتعاستها في مجالات أخرى يتمثل في الاسـتهلاك الدائم للسـلع والبضـائع، فيجعل السـوق من الإنسـان يعيش السـعادة، السـعادة في العصـر الراهن، نتيجة التتابع المستمر في الاسـتهلاك الفوري، فشـــرط الســـعـادة في المجتمع الاســـتهلاكي يتمثـل في التســـوق

[1]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 145.

المستمر [1]. (ZYGMUNT BOUMAN ,the art of life,polity.p15) وبالتالي الإنسان المعاصر يعيش متناقضات ومشاكل الحياة من جهة، ويعوض كل شيء من خلال النهم الاستهلاكي، فهو مفروض عليه دخول السوق الاستهلاك من أجل تعويض تعاسة الحياة الراهنة بالاستهلاك.

يذهب "زيجمونت باومان" في كتابه "الشر السائل" أن منظومة الحداثة أفرزت فلسفة جديدة تلغي كل المظاهر الأخلاقية في الحياة العامة، حيث يصبح كل ما هو غير أخلاقي، بأنه أخلاقي، فأصبحت الخيانة والوعود الكاذبة صفات أخلاقية جديدة تكرس المقولة الميكافلية " الغاية تبرر الوسيلة" فيقول في هذا الصدد :" ففي عالم تسوده الروابط الإنسانية المحطمة، والوعود و الكلمات المبالغ فيها،لم تعد الخيانة مسألة صادمة، فعندما يغيب الإخلاص عن مركز شخصياتنا، ويختفي كقوة جامعة لهوية الإنسان، فإن الخيانة تصبح فضيلة اللحظة"[2]،(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*, *pdf*,د.ت, ص 128) يشير أيضا في أحد كتبه المعنونة "**بالعمى الأخلاقي**"(**Moral Blindness**، **الذي هو تكريس لثقافة الشر في مستوى الحياة السائلة التي تخدرت فيها الحياة الأخلاقية. وأفرزت الحياة من المعنى.**

يرى أن العلاقات الحميمة والمباشرة بين المحبين قد زالت وتلاشت في ظل التطور الذي تشهده البشرية3، حتى أصبحت العلاقات الحميمة المعاصرة تدعم

---

[1] –zygmunt Bouman , the art of fife , p 15

[2]– زيحمونت باومان، الشر السائل، ص 128.

[3]ـــ كما يمكن الاستعانة هنا بالفيلسوف وعالم الاجتماع الالماني المعاصر اولريش بيك في كتابة المعنون " الحب عن بعد –أنماط حياتية في عصر العولمة–" الذي يعتبر من اهم الكتب التي كتبت في الحادي والعشرين، والذي يقوم فيه اولريش بيك ظاهرة الحب في زمان العولمة، وما بعد الحداثة، حيث تميزت الروابط بالهشاشة اكثر منها بالترابط، حيث لم يعد الحب مثلما كان في القديم، فأصبحت العلاقات تتميز بالفوضوية والتشرذم والابتعاد الدائم، فنجد اغلب صفحات الكتاب تتحدث عن الأسرة التي تعتبر المنيع الأساسي الذي تتكون فيه علاقة الحب خاصة بين الزوجين والاباء، حيث تحللت الاسرة إلى علاقة جديدة لم تكون في السابق، والمعروفة "الخليل المؤقت" الذي يقوم على اشباع رغبات فورية تتعلق الاستهلاك و

السوق الاستهلاكية فيقول باومان: "تلك الخصوصية الجديدة المكتسبة المفروضة وحميمة اللقاءات المباشـــرة، الرفيقان المتلازمان في **"الأزمنة المظلمة"** تعززهما السوق الاستهلاكية، فيدعمان الطبيعة المتقلبة للحياة الاستهلاكية التي تقوم عليها السوق الاستهلاكية، ويفيدان من ميوعة الأوضاع والروابط الإنسانية[1]، (*زيجمونت باومان، الحياة السائلة, pdf,*د.ت, ص 88) لذلك فالإنسان في هذه العلاقات يمكن أن يخسر شيء ويربح شيء آخر في الوقت نفسه من حيث خسارة إنسان وربح وكسب متعة وحرية اختيار البحث عن شخص آخر جديد لتلبية المتعة الاستهلاكية للشخص.

من بين الأمور التي تم القضـــاء عليها في في الوقت الراهن نتيجة للانقطاعات السابقة والمتمثلة في القضاء على ما يسمى عهد المصاهرة التقليدية، حيث بالتقريب اختفت من أرض الواقع في العلاقات بين الناس، ودليل على أن نظام القرابة أصبح في خبر كان، لذلك صارت تتسم بالوهن والضعف، ومنه فقدت الجســور القوية المتنية التي كانت تضــبط العلاقات بين الناس[2].(*زيجمونت باومان، الحب السائل, pdf,*د.ت, ص 66)

وكما نجد أيضا ظاهر أخرى تميز المجتمع السائل القائم على تلبية الحاجات الاســتهلاكية المســتمرة التي لا تعرف الانقطاع، والمتمثلة في ذلك العقد الذي يكون

الجسد، وكثرت الاسر التي تعشي منعزلة، و يمكن أن تكون الام بعيدة الاف الكيلومترات عن الزوج و الابناء، من هنا تكون الاسرة مهددة بالزوال و التشتت، مما يجعل المستقبل أكثر استشرفا نظرا لتشرذم العلاقات البشرية خاصة منها الاسرة التي تعتبر عماد و أسس المجتمع التي تقوم ببناء منظومة اجتماعية منسجمة. زوال الاسرة يعني زوال المجتمعات، حيث يطلق على هذا النوع من الحب باسم الحب النائي. الذي يعبر عن العلاقات المودة بين الاسر المتباعدة فيما بينها، الزوج يعش في مكان معين و الزوجة تعيش في مكان معين ، ويقدم مثلا على ذلك الخادمة الفلبينية المهاجرة ولديها زوج وأطفال في الفلبين و لكنها تعمل في لوس انجلوس، كي تكسب عيشها وتساعد اسرتها، فيقول ايضا في احدى صفحات الكتاب أن الحب النائي جغرافيا تغلب عليه صـــفة الرهبنة وحياة الاديرة، ولأن مكان الحب النائي= =هو البريد الإلكتروني والفيسبوك والرسائل القاصرة، ' السكايب' فانه يظل شيئا مجردا، كما نجد ايضا كتاب اخر لأرولش بيك بعنوان :" البديهة المطلقة لفوضى الحب"

[1]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، 88.

[2]. زيحمونت باومان، الحب السائل، ص 66.

بين الفرد والمجتمع القائم على الاستهلاك، والشرط الأساسي للدخول في المجتمعات المعاصـرة يتمثل أسـاسـا في الاسـتهلاك، لأن مجتمع الاسـتهلاك هو مجتمع يتميز بالتغير السـريع والمسـتمر مثلما قولنا سـابقا، الفرد من أجل أن يثبت وجوده وكيانه عليـه دائمـا مواكبـة التغير في المنتوجـات الاسـتهلاكيـة:" إن الانتمـاء لمجتمع المستهلكين هو مهمة شاقة، وصـراع شديد لا نهائي، فالأسواق الاستهلاكية تتلهف على استغلال ذلك الخوف وتتنافس الشركات المنتجة للسلع الاستهلاكية على الفوز بأعلى ثقة ومصـداقية في مسـاعدة عملائها وإرشـادهم في جهودهم اللانهائية لموجهة التحدي"[1]. (*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 54)

ضـف الى ذلك ما نجده أن التغيرات الراهنة من خلال الانشـغال الدائم بين الزوجين في العلاقة الموجودة بينمها، والتي تحولت إلى علاقة اسـتهلاك، حيث نجد كلا من الزوجين يجعلان من الاستهلاك هدفهما الأساسي في بناء الأسرة، وبذلك يغيب الوقت من اجل الحوار والتفاهم والتعاطف والتراحم بين الزوجين، بسـبب البحث عن المتع الاسـتهلاكية الزائفة، مما يجعل دائرة الخلاف متعاظمة بين الزوجين، في كل الأوقات:" بانشغال الرجال و النسـاء بالحصـول المتزايد على المال لشراء أشياء يشعرون أنهم يحتاجونها ليكونوا سعداء، فـإنـه ليس لـديهم الوقـت الكـافي للتعـاطف والحوارات المكثفـة، وأحيـانـا الملتوبـة والمؤلمة والتي تحتاج دائما زمانا طويلا وتسـتهلك الطاقة، نهيك عن القرارات بشـأن سـوء الاختلافات فيما بينهم ويؤدي هذا إلى تحريك دائرة جهنمية"[2]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 87)

جانب آخر يجب أن نتذكره، ألا وهو هوية المستهلك في مجتمعنا، يكون البناء الكامل للهوية الاجتماعية للفرد من خلال استهلا" نمط اللباس"، طراز الهاتف المحمول ، نوع الطعام

---

1. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 54.
2. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 87.

الذي نشـتريه، التصـميم الداخلي كلها علامات اجتماعية أصـبحت لا غنى عنه منذ اختيار اللعب في كتالوج الكريسماس، فإنهم يشـترطون شـخصـيتنا ويشـكلوننا وبالتالي، لم نعد نعيش "من قبل أنفسـنا" ولكن فقط "من خلال مجتمع المسـتهلك ."الفرد الحر الذي عرفته أفكاره كان من شأنه أن يفسح المجال للمستهلك الغبي هذه العبارات صحيحة فقط جزئيا.

ويظهر أيضـا زيجمونت باومان الجانب الخفي والموحش لمجتمع الاسـتهلاك المتعاقد، الذي يعتبره من أبرز الشـرور التي رسـختها الحداثة السـائلة، داخل المجتمعات المعاصـر التي تجعل من بالقول ان الغرض من المجتمع الاسـتهلاكي هو تحقيق الرغبات والأمنيات فقط، بل أكثر من ذلك حين تجعل من الإنسان مجرد سـعلة يمكن تلسـعيه في كل وقت، وعرضـه للبيع والشـراء في كل الأوقات والمناسـبات: "إن الفرض المهم، وربما الفرض الفارق، للاسـتهلاك في مجتمع المستهلكين(حتى إن كنا لا نتعرض له بالتفصيل، ولا نناقشه أمام الملأ العام إلا في عاجله) ليس هو إشباع الحاجات والرغبات والأمنيات، بل تسلع المستهلك أو إعادة تسلعيه، إنه رفع حال المستهلكين إلى حال السلع القابلة للبيع .

ولهذا السبب تحديدا يعد اجتياز الاختبار الاستهلاكي شرطا ضروريا للسماح بدخول مجتمع قد تشكل على غرار ساحة السوق، فاجتياز ذلك الاختبار هو شرط مسبق غير مكتوب لجميع العلاقات التعاقدية، التي تعزل شبكة العلاقات التي تسمي " مجتمع المستهلكين"[1].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 53)

الروابط الإنسـانية يمكن الدخول والخروج منها الوقت الذي يريده إحدى الطرفان، أو الطرفان معا، بالنظر إلى العلاقة المتعية القائمة بينها على الاسـتهلاك والإشـباع الفوري، لذلك كانت هذه الروابط مؤقتة لا تدوم وقت طويل، عند نهاية المتعة الاسـتهلاكية تنتهي الرابطة الإنسـانية وتندثر تتحول إلى مجرد ذكرى فقط:"

[1]. زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص53.

فكل لقاء إنما هو لحظة انتهاء، وبداية جديدة على السواء، فالتفاعل ليس له "نهاية بعينه" ولا يمكن لنهايته إلا أن تكون نهاية مصطنعة، وليس واضحا من يقرر ومن تحقيق تلك النهاية، مادام الجانبان في التفاعل الإنساني "إذا استخدما المصطلحات الاستهلاكية" مستهلكين وموضوعات استهلاكية في أن واحد، وكل منها يمكنه ادعاء "سيادة الاستهلاك " فالرابطة القائمة يمكن قطعها، والتفاعل الجديد يمكن رفضه، لكن ليس من دون شعور بالذنب فمن الصعب خيانة الضمير الأخلاقي"[1].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 53)

ما يميز العلاقات في زمان الحداثة السائلة بأنها علاقات تتميز بالهشاشة والسيولة[2]،)*الفين توفلر صدمة المستقبل*، *pdf*,د.ت(التامة سواء بين الأفراد أو ببن المجتمعات، لذلك جعل "زيجمونت باومان" يصفها بالعلاقات السائلة، المرتبطة بزمان الحداثة السائلة فيعبر عنها:" في الحياة الحديثة السائلة لا توجد روابط دائمة، وأي روابط نتناولها لفترة يجب أن تكون مربوطة بشكل مرخي بحيث يمكن أن تكون منحلة مرة أخرى، في أسرع وقت وجهد ممكن، عندما تتغير الظروف- كما أنها من المؤكد ستتغير في مجتمعاتنا ذو الحداثة السائلة، مررا وتكررا"[3]،)*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت، ص 62(على حَدِّ رأي "زيجمونت باومان" هو عبارة عن حالة حضور في العالم تعارض حالة المجتمع الصلب القديم، ذلك الذي كانت فيه الحياة الاجتماعية والمؤسسات ومكانة كل فرد محددة سلفا بطابعها الجماعي، الذي يتميز

---

[1]. زيجمونت باومان، المراقبة السائلة ، ص145.

[2]- يحدد "ألفين توفلر" في كتابه صدمة المستقبل مصطلح آخر يدل على هشاشة العلاقات الإنسانية في المجتمع الصناعي وهذا المصطلح يتمثل في "الموقوتية" المرادفة "للتخلص السريع للعلاقات"، ليؤكد ذلك في قوله:" إن عقلية التخلص من الأشياء تتكون لدينا لتتلاءم مع منتجاتنا سريعة الاستهلاك، هذه العقلية تخلق بين الأشياء الأخرى مجموعة من القيم المعبرة عن تطور جذري في النظرة إلى الملكية، ولكن انتشار الاستبدادية في المجتمع يتضمن أيضا تقاصر علاقة الإنسان بالأشياء فبدلا من أن نظل مرتبطين بشيء واحد لمدة طويلة نسبيا فإننا نرتبط مدة قصيرة بعدد متتابع في الأشياء البديلة".

[3]. زيجمونت باومان أبو الحداثة السائلة، ضمن سلسلة كتاب جيل جديد، ط1، 2017، ص62.

بالثبات والديمومة، في حين أن العلاقات الإنســـانية في المجتمع الســـائل فقدت ديمومتها، وصار كل شيء مرنا رخوا قابلا للتخلي والتخلص منه.

يجيب باومان في كتابه الحب الســـائل أن الحل الذي يحقق الســـعادة في زمان الحداثة الســـائلة هي بزيادة الإنفاق، فكلما أنفق المجتمع أموال أكثر تكون سـعادته أكثر تحققا في الواقع: "إن الحل المفترض لسـعادة الجميع، والغرض المعلن للســـياســـة، هو زيادة النتاج القومي الإجمالي، وهذا النتاج القومي الإجمالي يقاس بإجمالي الأموال التي انفقها الجميع"[1].(*زيجمونت باومان، الحب السائل*, *pdf*.د.ت, ص 105)

نجد أن المجتمع الاستهلاكي يحقق سعادة أفراده بكثرة استهلاكه، فكلما انفق الفرد أموالا كثيرة فإنه يستعمل على تحقيق سعادة أكثر سواء في الحاضر أو في المستقبل للحياة الاقتصادية هي التي تجعل من الأفراد أكثر سعادة من غيرها من المجالات الأخرى، بحكم المجال الاقتصادي الذي يوفر الرغبات الفورية الاستهلاكية السريعة لتلبية متطلبات الجسد، لذلك ظهر ما يسمى بالإنسان الاقتصادي، فهو الإنسان المتسوق والمستهلك والمتمركز حول نفسه فقط فإنسان الحداثة الصلبة الذي نضج حتى أصبح إنسان بلا روابط.

الإنسان الاقتصادي والإنسان الاستهلاكي يشيران إلى رجال ونساء بلا روابط اجتماعية، إنهم السكان المثاليون لاقتصـاد السوق والأنماط التي تبث السعادة في نفوس مراقبي النتاج القومي الإجمالي[2].(*جيل ليبفوتسكي، أفول الواجب*, *pdf*.د.ت, ص 58)

---

[1]- زيجمونت باومان، الحب السائل، ص 105.

[2]ـــ يذكر جيل لبيفوتسـكي في كتابه أفول الواجب(الاخلاق الغير المولة للأزمنة الديمقراطية الجديدة) إلى أن الحضـارة المعاصرة التي هي حضارة استهلاك بامتياز قد خلقت نوعا جديدا من الرفاهية وإلى خلق مفهوم جديد للسعادة، وبذلك تم القضاء على كل الإلزاميات الاخلاقية والدنية في الوقت الراهن، واصبحت من اكبر الشرور التي تواجه البشر، نظرا لتنامي الفردانية بشكل سريع، تلغي كل الإلزاميات فيقول في هذا الصدد:" إن حضارة الرفاهية الاستهلاكية هي التي أدت إلى دمار إيديولوجيا الواجب المجيدة، خلال النصــف الثاني من القرن، أذاب منطق الاســتهلاك الجماهيري عالم المواعظ التخلقية،

ويستتشهد بعبارة على لسان الروائي الانجليزي جورج اوريل عن الانفصال الكبير الذي تعرفه المجتمعات الراهنة عن الأخلاق بشكل فضيع، حيث أصبحت علاقتنا الاجتماعية وكأنها صحراء جرداء من أي قيمة أخلاقية:" وهنا يصف أوريل ببراعة آلية الانفصال عن القيمة والأخلاق الذي يمكن في قدرتنا على الانتقائية عندما نتعامل الألم والمعاناة الإنسانية، والذي يكمن كذلك في استعداداتنا لفتح إحساسنا وغلقه كما لو أنه آله يشغلها عامل ماهر لا إنسان مدرك وحساس، فالقبول الصامت بالتخلي عن البعد الأخلاقي ورفضه في المعاملات البشرية هو جوهر انتقاء الاستجابة الأخلاقية Adiaphora"[1]،(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل pdf,.* د.ت, ص 52) ومنه يكون السبب الأساسي في الابتعاد عن العلاقات الإنسانية يتمثل في الابتعاد عن الحس الأخلاقي، الذي يوصفه بالعمى الأخلاقي.

شبه هشاشة الروابط الإنسانية والمجتمع المتعاقد في زمان الحداثة السائلة بالموت من الدرجة الثانية نتيجة تصدع العلاقة بين الأنا والأخر، مما يجعل الأنا تعيش منفردة وتستغني عن شريك أخر في الحياة فيقول في هذا الصدد:" لكن تجربة الموت (من الدرجة الثانية) الناجمة عن قطع الروابط الإنسانية، تصدر عن البشر وفي بعض الأحيان، يمكن أن تعزى إلى فعل يمكن تصنفه بشيء من التعميم ضمن القتل العمد (المجازي)[2]،(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة pdf,.*د.ت, ص 35) ومنه فالعلاقات الراهنة هي صحراء جرداء ومجرد كثبان رملية، فهي قاحلة وجدباء لا اخضرار ولا زرع يصلح فوقها، وكل ما يوجد فوقها يتآكل بفعل الطبيعة القاسية في هذه الصحراء

وقضى على الإلزاميات المتشددة وأنجبت ثقافة تتغلب فيها السعادة على الأوامر الأخلاقية، والمتع على الممنوع، والاغراء على الالزام... شيدت حضارة جديدة لا تعمل على وقف الرغبة ولكن على مفاقمتها وإزالة الشعور بالذنب عنها: متعة الحاضر ، وهيكل الانا و الجسد والراحة، اصبحا القبلة الجديدة للأزمنة ما بعد التخليقية" ص 58.

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 52.

[2]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 35.

التي تزداد تصحرا مع مرور الوقت.

ويذكر اريك فروم في كتاباته" عن المجتمعات المعاصـــرة والراهنة التي تتميز بمجموعة من الروابط الزائلة، التي تضـــمن ســـير المجتمع لوقت محدد، هو نتاج المجتمع الصـــناعي الحديث التي خلقت آلة إنســـانية جديدة تجردت من كل ما هو إنساني فيقول في هذا الصدد:" ما هو، نوع الإنسان الذي يحتاجه مجتمعنا لضمان حســن ســير عمله، إنه يحتاج بشــرا يتعاونون بســهولة في مجموعات كبيرة بشــرا يريدون أن يســـتهلكوا المزيد، بشـــرا موحدي الأذواق ويمكن التأثير في توقعاتهم بسهولة"[1]. (*اريك فروم كينونة الإنسان*, *pdf*.د.ت, ص 37)

2.3.الاستهلاك والنزعة الفردانية:

تعد ظاهرة الفردانية من أهم الظواهر التي أفرزتها منظومة الحداثة الصـــلبة انطلاقا من أهم الشـــعارات التي رفعتها الحداثة والذي هو مبدأ الذاتية، الذي يؤكد على ضـــرورة إعادة الاعتبار للذات الفردية على حســـاب الذات الجماعية، والذي تجســد في شــكل كبير جدا في زمان الحداثة الســائلة على شــكل تمرد الفرد على قواعد المجتمع، وتقديس الآنا القائمة على فكرة الحرية المطلقة.

وهناك في فكرة في غاية الأهمية يشــير إليها من خلال العلاقة الموجودة بين عالم الاستهلاك ووسائل الاعلام[2]،(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 31) في عملية

---

[1]. اريك فروم، كينونة الانسان، تر: محمد حبيب، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2013، ص 37.

[2] من الأمور التي يذكرها زيجمونت باومان عن هذا السـياق في التأكيد على العلاقة الضـرورية بينهما، يقدم لنا عبارة في غاية الازدراء عن ما نعشـــيه في الحياة الراهنة، حيث يجعلك المجتمع الاســـتهلاكي تســـعى دائما باللاحق بالمجتمع الاســـتهلاكي فيقول في هذا الصـــدد:" هل تخجل من هاتفك المحمول؟ هل هاتفك قديم حتي أنك تخجل من الرد على المكالمات أمام الناس؟ إذا حدثته باختيار الهاتف الذي يبعث على الفخر، أما الوجه الأخر لهذا الترغيب فهو التحديث والحصـول على الهاتف المحمول اللائق بالمسـتهلك، إنما هو الخطر الذي يهدد المسـتهلك عندما يراه الناس مازال يمسـك بالهاتف الذي حدثه منذ فترة" زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 31.

تحقيق السعادة، من خلال الانفلات عن المجتمع الجماهيري الجديد قدر أسفر عن أثار رهيبة جدا في الوقت الراهن:" ... أسفر عن أثار مثيرة،: أناس شعروا فجأة أنهم منعزلون ومنفلون عن سياق جمعي وواضح، وعاجزون عن التواصل وفهم الوضع المعتاد الذي كانوا يمرون به أناس حرموا من قيم مرجعية، يعانون في الوقت نفسه من أثار أزمة الاديولوجيات ويتعرض أمانهم الاقتصادي والوجودي للخطر، ومن ثم لا يبدون أي استعداد لمساعدة غيرهم..."[1].(*حالة_الأزمة، زيجمونت_باومان_كارلو_بوردوني* ا *pdf,* د.ت, ص 105)

والنتيجة هي صعوبة في التعرف على الهوية الشخصية من حيث الاستمرارية في الوقت (التشابه) والاتساق وبعبارة أخرى، هو شعور الذات التي أحبطت في وجودها، وهذا ما أكد عليه جيل ليبوفتسكي في قوله:" يتجه عصر الاستهلاك إلى التقليل من الفروق القائمة منذ القدم وبين الأجيال، وذلك لفائدة تمايز فائق، في الوقت الحالي للسلوكيات"[2].(*جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ* *pdf,* د.ت, ص 113)

نجد هذا النمط الجديد من التمرد في زمان الحداثة السائلة الذي مارسه الأفراد في وقتنا الحاضر، لأن الأفراد كانوا يتصورون الإلزام بالاختيار على أنه حرية الاختيار، لذلك نجد أن الفرد دائما ما يبرر أفعاله و سلوكياته بحرية الاختيار، باعتباره كائن يتمتع بالحرية التامة، ظهرت في الغرب ظاهرة جديدة تتمثل في انسحاب الدولة والقوانين ولأحكام الدنية والأخلاقية باضطراد من حياة الفرد الخاصة، فلا توجد أي قيمة في الحديث إذا كان الأمر يخص علاقة الشريك مع الطرف الآخر، سواء كان الشريك بعقد زواج أو من دونه، أنها الحرية الشخصية التي لا تسمح لأحد بالتدخل مهما كان الإنسان أو السلطة، ولم تعد الأعراف والسلطات

---

[1]– زيجمونت باومان وكارلو بوردوني، حالة الازمة، ص 105.

[2]. جيل لبيوفتسكي، عصر الفراغ، ص 113.

تتدخل في الأمور المتعلقة بين الشـركاء والدولة الحديثة أطلقت العنان للفرد يفعل ما يريد من التدخل، خاصـــــة في الأمور الخاصـــــة الذاتية الفردية، وهذا ما يظهره **لبيوفتسكي** في كتابه عصر الفراغ، في قوله:" صفة الاستهلاك الجماهيري لا تخلو من الغموض، لا ريب أن ولوج الجميع الى السيارة أو التلفاز وسروال الجينز الأزرق ومشـــروب الكوكاكولا والأســـفار المتزامنة خلال عطلة نهاية الأســـبوع أو شـــهر أغسـطس، تمثل تنميطا للسـلوكيات... إن الغرض الاسـتهلاكي المسـوغ، يحد من كثرة المرجعيات والنماذج الإلزامية، ويزيد من حدة الرغبة في أن يكون الإنسان نفسه كامل وفي التمتع بالحياة"[1].(*جيل لبيوفتسكي، عصر الفراغ ,pdf*.د.ت, ص 112–113)

تتميز الحياة المعاصـرة القائمة على البعد الاسـتهلاكي بشـكل واضـح على الفردية المطلقة في الاســـتهلاك، والعيش بالطريقة التي يريدها الفرد، له الحرية المطلقة في اختيار مايريد، وما يشـتهي، و بذلك تكون ثقافة الاسـتهلاك المعاصـرة فردية الذوق والإحســاس بالذات، وتتجسـد نمطية المسـتهلك، في جسـده وملابسـه وحديثه ووقت الفراغ الذي يريده هو، وما يفضـــله من مأكل ومشــرب و المنزل ... فكل هذه المؤشـــرة تعبر بشـــكل واضـــح على فردية وحياة المســـتهلك في الوقت **الراهن**[2](*مايك فيزرستون ، ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة ,pdf*.د.ت, ص 16).

وفي زمننا هذا، يرى "باومان" أن الاســـتهلاك قد تجاوز فكرة الســـلعة المادية إلى استهلاك العواطف والعلاقات الإنسـانية وتكنولوجيا التواصـل، بالصـورة التي أثرت كثيرا على معاني الحياة والحب والأخلاق، وبالطريقة التي جعلتنا مراقبين باسـتمرار بسـبب اسـتهلاكنا النهِم للتكنولوجيا الحديثة، مما أدى إلى ســيولة الخوف تحت وطأة الاســـتهلاك والقلق مما

---

[1]. جيل لبيوفتسكي،عصر الفراغ، ص ص112–113.

[2]. مايك فزرستون، ثقافة الاستهلاك ومابعد الحداثة، ص 16.

يخبئه الغد، وأنتج لنا اضـطرابا أخلاقيا أصـبح معه الشـر مُبررا حتى من جانب الدولة، مما كرس مبدأ الفردانية في الوقت الراهن.

يخلق مجتمع الاســـتهلاكي تغيرات على صـــعيد القيم ويحولها إلى قيم آنية فورية ومتغيرة في مجتمع يسوده الانقطاع الانقسـام والتغير المسـتمر، دائما ما تدفع الفرد إلى الهشـاشـة والسيطرة التي تحكم قانون السوق وتوجهها، وهذا ما يؤثر على نمط تخطيط الأفراد، مما يجعل التخطيط تخطيطا ســـريعا قصـــير الأجل غايته الاسمي هي الحصول على الأرباح والفوائد المالية فقط وفي قوت قصير، ومن هنا يؤثر مجتمع الاســـتهلاك على تشـــجيع الهشـــاشـــة والســـطحية، وبســـلع قصـــيرة المدى[1]. (*سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار* .pdf, د.ت, ص 89)

الهدف الأسـاسـي للمشـروع الحداثي الغربي يتمثل أسـاسـا في تحقيق الفردوس الأرضـي بعيدا عن كل فردوس أخر ميتافيزيقي نتعالى عن الواقع الحسـي، حيث يعد الإنســـان بتحقيق الســـعادة الفورية الدائمة في كل وقت، بعيد عن الدين والســـعادة الموعودة في العالم الأخر:" فبدلا من الســـــعادة الروحية للأبد، مقابل حياة الاجتهاد والابتعاد عن الخطئية، يقدم مشـــــروع الحداثة مقابلا فوريا ماديا، عينيا لحياة الأمانة والاجتهاد والتواضـــع وعدم الإســـراف"[2]. (*حالة_الأزمة_ـ_زيجمونت_باومان، _كارلو_بوردوني ا* .pdf, د.ت, ص 80–81)

لم تعد القيم الأخلاقيـة الغيريـة التي تحكم ســـلوك الفرد مع غيره قـادرة على تحقيق التماســـك والاندماج الاجتماعي، تلك القيم التي كان يرجع مصـــــدرها إلى المســـيحية وحركة الإصـــلاح الديني، ولم يبق إلا القيم الفردية التي يحرص مجتمع الاســتهلاك على إنتاج المزيد منها، لأن هذه القيم القادرة الآن على تحقيق شـيء من

---

[1]. سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقية العنف عند جان بودريار، ص 89.

[2]. زيجمونت باومان كارولو بوردوني، حالة الأزمة، ص ص80–81.

الاندماج الناتج عن الاشـــتراك في شـــيء واحد وهو الاســـتهلاك بالطبع، فقد غير مجتمع الاســتهلاك من معنى الفردية تماما. فلم يعد الفرد يسـعى لأن يحقق ذاته بل أصـبح يسـعى لنيل موافقة الآخرين وكسـب رضـاهم والتماهي معهم، ولم تعد الفردية قيمة مطلقة بل مجرد توافق وظيفي. وبدلا من السـعي نحو إنجازات يغير بها المرء أوضـاعه ويتجاوز بها حاله نحو حال آخر، أصـبح يسـعى نحو مجرد نيل رضـاء الناس.

يبقي الوعد بالسـعادة من أهم الوعود التي حاولت الحداثة تكريسـها وتمجديها في طبيعة وشـخصـية الإنسـان الحديث، وفكرة السـعادة مقرونة بمقولة التقدم، كلما ازداد الإنسـان تقدما ماديا، كلما كانت السـعادة أكثر تحققا على ارض الواقع وبالتالي كلما كانت الأسـواق الاقتصـادية والصـناعة أكثر تطورا وتوفر لهم دخلا جيدا، كلما كانت نسـيه السـعادة أكبر[1]،(*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان، كارلو_بوردوني* ا *pdf,* د.ت, ص 81) ومنه هذه المعادلة التي خلقت لنا نوع من الإنسان الذي حاول بناء سعادة وهمية متناقضة قومها الاستهلاك وتحقيق المتاع المادية.

في الأساس إن مجتمع الحداثة السائلة في أساسه يتأثر بالأفراد الذين يعشون ويشكلونه، وعندما يكون هؤلاء الأفراد سعداء فإن مجتمع الحداثة السائلة يتسم بالقوة والصـمود والعكس صـحيح من جهة أخرى، وذلك من خلال الاسـتراتيجية التي يعمل عليها مجتمع الإستهلاكب التركيز على الوعد بإرضاء رغباب جميع الأفراد وممارسة هواية الإغراء واشـعارهم بالرضـى المسـتمر ويوضـح ذلك في هذه العبارة :" مادامت الرغبات تدفع بالمسـتهلكين إلى مزيد من الخبرات الإسـتهلاكية التي يعتقد أنها أشبعت وكليا"[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* *pdf,*د.ت, ص 224)

---

[1]– زيجمونت باومان وكارلو برودوني، حالة الازمة، ص 81.

[2]. زيحمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 224.

إن تحول الإنسـان إلى إله قد حرمه متعه بذلك، و تلك المتعة التي نطلق عليها إسـم السعادة، حيث يخيم على مجتمع الحداثة الفائقة أو السائلة هذا التناقض الذي يعشيه الإنسان وينتجه بوصفه مبتكرا.

الاسـتهلاك يعمل على تحفيز الأفراد من التحرر الدائم من كل القيود، وذلك من اجل بلوغ السـعادة والرفاهية المطلقة، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال التحرر من كل القيود والأغلال القديمة التي هيمنت عليه، ولن يصـل إلى السـعادة القصـوى إلا إذا اسـتجاب الإنسـان لذاتـه التي تريد تحقيق اكبر قدر ممكن من النزوات الاستهلاكية:" بتحفيزه المستمر لقيم الرفاهية الفردية، أقصى عصر الاستهلاك بكثافة الأشـكال المتزمتة والانضـباطية للواجب الأخلاقي، وصـارت طقوس الواجب غير متلائمة مع ثقافة مادية ومتعيه مبنية على تمجيد الذات وإثارة الرغبة الحسـية الآنية فقط: عم تأليه السـعادة الجماهيرية مشـروعية المتعة وسـاهم في تكريس حمي الاستقلالية الفردية، ونزع –في الوقت نفسه– المشروعية عن أشكال الإلزام السلطوي، ومعايير العصر الفيكتوري، والأوامر المتصلبة والمهيبة التي ميزت العهد السابق، كل ذلك لصـالح الإغراء (...) لقد دفنت الأسـواق الممتازة وفن التسـويق وجنات الترفيه ديانة الواجب[1].(*جيل ليفوتسكي، أفول الواجب* ,*pdf*.د.ت, ص 57–58)

في هذا الصـدد، فإن استعارة اللغز لوصف وفهم الذات السائلة بشكل أفضل ليست سعيدة للغاية. لأنه حتى لو كنا الآن قادرين على تكوين هويتنا بشكل يشبه إلى حد ما اللغز، يبقى أننا لا نملك، بعيدًا عن ذلك ، كل أجزاء اللغز في حياتنا في الصـندوق التي سـيتم التنبؤ بها، وفوق كل ذلك لا أحد يقود حياته من خلال أخذ صـورة ذاتية محددة ومخططات محددة تمامًا كما يمكن العثور عليه على أغطية صناديق الألغاز.

[1]– جيل لبوفتكسي، أفول الواجب، ص ص57–58.

التشـــبيه الذي قدمه باومان عن العلاقات الاجتماعية (الكليات) بالقســـوة والخشـــونة الكبيرة في لبها، بين لنا بعدها مباشـــرة أنه في الوقت الراهن، ظهر مصـــطلح أخر جديد في نســـيج العلاقات الاجتماعية، يتمثل في الشـــبكة بدلا من الأنظمة والبني المجتمعات الجماعات ... مما يدل على الضـــبابية التي تعيشـــيها الجماعات البشـرية في الوقت الراهن، بالنظر إلى السـيولة الجارفة التي تعشـيها من اجل البقاء، فهي شبكات دائمة التشكل، بدل الثبات، فهي شبكات سائلة[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 30)

وليزادة السعر الاستهلاكي تطلق الرأسمالية قوى الإنسان الجنسية من عقالها، كما بينا من قبـــل، وهـــذا الإنسان الاستهلاكي هو الترجمة العملية لمبدأ اللذة الكمي البوجوازى الذي يعرف الســـعادة على أنها إرضـــاء أكبر قدر ممكن من الرغبات لأكبر عدد ممكن من الناس وأنّ هذا الإنسان يعيش داخل نفسه منفصلاً عن الآخـــرين وعن تراثه، ولذلك فهو يعيش في الجسد يبحث عن المتعة المباشرة التي لا علاقة بها بـالخير أو بالشـر، وإذا أحس بالاغتراب فه يهزم اغترابه بإنشاء علاقة جنسية، فالعلاقة الجنسية وســيلة مباشــرة وســهلة وملموســة للاتصــال بالآخرين. ولأنه يدور حول نفســه تصـبح الأسـرة أمراً غير هام، فاهتمامنا بالأسـرة ينبع من إيماننا بـــأن الوجود الإنساني وجود جماعي وأن الأسرة هي المكان الذي نتوارث فيه القيم الجماعية التي كد الإنسان عبـــر تاريخه للوصول إليها، وهو المكان الذي نكتسب فيه هويتنا الاجتماعية والتاريخية والإنسانية ونعـدل ونشـكل هويتنا الطبيعية الفجة بالتدريج وبأقل قدر ممكن من الألم)[2].*عبد الوهاب المسيري الفردوس الارضي* *pdf*,د.ت, ص 74)

شـــبكات العلاقات الاجتماعية راهنا، يقول عنها أنها أشـــبـه بـالحيوانات الاجتماعية مثل الدبابير التي درست في باناما، والسبب في ذلك، والدليل على ذلك

---

[1]– زيجمونت باومان، الأخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص30

[2]ـــــ عبد الوهاب المسيري، مركز الوحدة العربية، كتاب الفردوس الأرضـي؛ دراسـات وانطباعات عن الحضـارة الأمريكية الحديثة ، ص 74

أن مجتمعات الحداثة السائلة تفضل العيش على شكل حشود بدل الجماعات، لان الحشد يمكن أن يستغنى عن كل تلك الأدوات التي لا تستطيع الجماعات أن تعيش دونها، بدل الحشود التي تتخلص من هذه الأعباء والوسائل من أجل الحياة والعيش فهي جماعات تجتمع وتفترق حسب المناسبات، وفي كل مرة تتغير أسباب اجتماعها وبقاءها، فهي تعيش من أجل تحقيق البقاء فقط، بيمنا الأمور الأخرى فهي ثانوية الأخلاق والعادات والدين ...[1]،(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* *pdf*, د.ت, ص 33-34) فهي تجتمع وتفترق من أجل الاستهلاك وتحقيق وظيفة الاستهلاك فقط.

أصبحت الروابط الإنسانية في الوقت الراهن، مربوطة بالتفاعلات الحالية التي نعشيها في سيولة جارفة، تعرف الهشاشة والانفصال المستمر، من خلال خلق النزعة الفردية التي تهيمن على كل شيء وفق الرؤية الاستهلاكية:" أصبحت الروابط الإنسانية ضئيلة وهشة، وسهل كسرها وقصير عمرها في الأغلب"[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* *pdf*, د.ت, ص 36)

للحداثة في بدايتها المبكرة لها دور واسع في هذا الحرمان التشظي في العلاقات الانسانية من خلالها تفككها:" منذ البداية حرمت الحداثة نسيج العلاقات الإنسانية من قوة تمساكه السابقة، وتفككت وتههلت"[3].(*نيكولاس جين، مستقبل النظرية الاجتماعية* *pdf*, د.ت, ص 50)

صارت الروابط والعلاقات في عصر الحداثة السائلة أشياء نستهلكها لا ننتجها، إنها تخضع لمعيار التقييم نفسه الذي تخضع له موضوعات الاستهلاك الأخرى، فلم تعد مهمة الشريكين العمل علي استمرار العلاقة ونجاحها، بل صار الأمر مسألة تتعلق بإشباع الرغبة من منتج جاهز للاستهلاك.

---

[1]- زيجمونت باومان، الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص ص33-34.

[2]- المصدر نفسه، ص 36.

[3]- نيكولاس جين، مستقبل النظرية الاجتماعية، ص 50.

وإذا كانت اللذة الحاصلة لا تصل للمستوي الموعود ولا المتوقع، يمكن للمرء أن يقيم دعوي طلاق، ويستشهد بحقوق المستهلك، وقانون المواصفات التجارية. ومن ثم فان الطبيعية المؤقتة للعلاقات تتحول عادة إلي توجه نحو إشباع الذات. ونتيجة لذلك يشدد باومان على ضرورة المقاومة من خلال تقوية التماسك الاجتماعي وخلق وعي اجتماعي وأهدافا للمسؤولية الاجتماعية وخلق روابط مشتركة ووعي جمعي وإجماع أخلاقي.

من بين الأمور التي بينت عمق تصدع العلاقات الاجتماعية بشكل كبير يتمثل في تصدع الأسرة، التي هي بحد ذاتها أصبحت سائلة، التي تقوم على فكرة التعايش في مكان واحد، والتي هي عبارة عن إتحاد شخصان(رجل وإمرأة) في مكان واحد ولمدة زمنية متفق عليها، ممكن تطول وممكن تقصر، دون زوج مدني ولا زواج شرعي، وهذه العلاقة مبنية على فكرة واحدة وهي تحقيق اللذة والمنفعة والمصلحة الشخصية الفردية، حيث يمكن لأي شخص فك هذه الرابطة في الوقت الذي يشعر إن المنفعة واللذة انتهت، وأصبح الشخص الثاني لم يعد يلبي اللذة المنتظرة منه،عكس الأسرة الكلاسيكية القائمة على فكرة الاجتماع في السراء والضراء[1].(*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* ,*pdf*.د.ت, ص 285)

فعل الانهيار في الأسرة الحديثة التي كانت نتيجة التحرر من القيود والروابط الثقيلة التي كانت في السابق، على سبيل المثال نجد مفهوم جديد يقدمه يتمثل في مصطلح الجنس المائع المتمركز حول اللذة الفورية، لا إلى التكاثر مثلما هو موجود في السابق، وأيضا مصطلح الحب العرضي النشط، والعلاقات الصافية ومظاهر خضوع العلاقات الإنسانية للتسلية والاستهلاك[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 127)

---

[1]. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج2، ص 285.

[2]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 127.

وبهذا كله أصبح الأفراد في المجتمع السائل الراهني، يستطيع تلبية جميع احتياجاته من السوق ، وبعيد عن المجتمع والأسرة، فقد أصبحت الأسرة مجرد كيان هزيل من المشاعر الغير المؤثرة أو المنتجة، ولعل من أكثر الأمثلة حضورا في وقتنا الراهن نجد ما يطلق عليه باومان بعلاقات الجيب العلوي، وهي تلك العلاقات التي يمكن اخراجها من الجيب وقت الحاجة، ودفعها إلى الأسفل في حالة انعدام الرغبة[1].(*الإنسان السائل ـ ياسر بكر, pdf*,د.ت, ص 286)

وبالتالي مفهوم العلاقات الزوجية الحميمة بين الزوجان، اختفت في زمان الحداثة السائلة، لذلك حلت محلها العلاقات التعاقدية الاستهلاكية، القائمة فقط بين الجنسين، بين الذكر والأنثى فقط، لذلك نجد اختلاف شاسع في المفاهيم، الزوجة في الأسرة الكلاسيكية الصلبة، هي عبارة عن شريكة مدى الحياة، شريكة جونية روحية في الاتفاق حول العيش في السراء والضراء، ولكن مع تغير المعادلة والانتقال إلى مجتمع الحداثة السائلة، نجد الزوجة (الخليلة) في المجتمع التعاقدي، تصبح مجرد رفيقة، توجد حيث وجدت اللذة و المنفعة، مثلها مثل العشيقة للذة والمنفعة فقط[2].(عبد *الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة, pdf*,د.ت, ص 285)

في زمان المتلازمة الاستهلاكية التي نعشيها راهنا / تركز على الاستعمال السريع والاشباع اللحظى، والبحث عن الوصفات السهلة السريعة الغير المكلفة والبعيدة كل البعد عن الخطر والمخاطر، فنجد أن الحب من بين هذه السلع الجديدة الذي أصبح مجرد سلعة مثل بقية السلع الأخرى، من خلال تحويله إلى سلعة قائم على التلويح والإغواء والإشباع الفوري، فكل وعد بالحب في زمان الاستهلاك مجرد وعد زائف ينتهي بانتهاء المصلحة[3].(*زيجمونت باومان، الحب السائل, pdf*,د.ت, ص 41)

---

[1]. ياسر بكر، الإنسان السائل بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، ص 286.

[2]– عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج2، ص 285.

[3]. زيجمونت باومان، الحب السائل عن هشاشة الروابط الانسانية، ص 41.

عالم الحداثة السائلة" الوقت الراهن" الذي نعيشه في حاليا:" هو عالم التشظي السريع للروابط الاجتماعية، وأوضاعها التقليدية"[1]،(زيجمونت باومان، الحداثة السائلة *pdf,* د.ت, ص 143) وبالتالي، فهي ثورة ضد الأنظمة التي شيدت العالم القديم التي تجعل من العالم جدي متماسك ومترابط، العلاقات الإنسانية راهنينا، علاقات، موقوتة بحتة.

نتائج الفصل:

وكخلاصة لهذا الفصل يمكن القول أن كوجيتو الاستهلاك، الذي تجسد في الحياة المعاصرة، وطغي بشكل واسع في الحياة الراهنة، أصبح من اكبر الشرور التي تمارس الإغواء للإنسان الراهن، فكلما أصبح الإنسان أكثر استهلاك، أصبح أكثر تبعدا لهذا الشيطان الجديد، لذلك كان الاستهلاك هو مبعد وملجأ الإنسان المعاصر.

وأصبح يقاس مدى وجود الأشخاص في المجتمعات الراهنة بالقدرة الكبيرة على الاستهلاك، من خلال الاهتمام الكبير بعالم الموضة الذي يخضع للسيرورة المستمرة والدائمة، فكلما كنت مهتما بالجديد، كلما فرضت وجودك في العالم الذي تنتمي إليه.

وبالتالي أصبح الإنسان الراهن إنسانا ماديا بحتا، يقيس وجوده بمدى الإشباع الفوري للرغبات المادية الجسدية، نتيجة فقدانه للذاكرة الأخلاقية التي يستلهمها من المصادر الدنية والإجتماعية التي كانت في الماضي هي قوام الإنسان،

ومن هنا كان الإنسان ذو بعد أحادي بتعبير هربرت ماركيوز، وانتقل الإنسان راهنا إلى معبد جديد لم يكن في السابق يتمثل في معبد الاستهلاك، الذي يتقرب إليه بمجموعة من القرابين من خلال التسوق المستمر طوال أيام الأسبوع وهي عبارة عن

[1]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 143.

صـــلوات وأدعية وأذكار يمارســـها باســـتمرار، من غفران الذنوب كل يوم، عن طريق شراء مجموعة من السلع.

الفصل الرابع

الاعلام والرقابة المعاصرة والشر التقني

عند زيجمونت باومان

تمهيد:

لقد ركزنا في الفصل الثالث، الذي كان معنونا بالمتلازمة الاستهلاكية وتأزم العلاقات الإنســـانية عند زيجمونت باومان والذي يمثل الشـــر الاقتصـــادي، على التأكيد على أن الاستهلاك يمثل أحد الشرور الراهنة التي لعبت دورا كبيرا في غرس ملامح السيولة الراهنة على المجتمعات والأفراد على حد سواء، لذلك نمّر الآن إلى نقطة حساسة في هذا الفصل الأخير، لنوضح شرور أخرى ساهمت في التأسيس الفعلي لمشكلة الشر السائل في الوقت الراهن، والتي غرست الشر بشكل رهيب في الحياة البشرية، وذلك بفصلها عن الأخلاق إما بطريقة جزئية أو بطريقة كلية لتعبر عن لامبالاة الإنسان، ومن بين هذه الشرور التي أرتبط وجودها بوجود وسائل الإعلام والتكنولوجيا المتطورة، والتي تمارس سياسة الإغواء والعبثية ، بالإضافة إلى صعوبة التنبؤ بمخرجتها ونتائجها، فوسائل الإعلام حاولت بناء واقع جديد، أو فردوس أرضي جديد يوهم الجميع بالأمان والرخاء والسعادة والتقدم، وساعت إلى خلق واقع جديد لم يكن هو نفســـه الواقع الحقيقي، كخلق صـــور جديدة متناقضـــة مع الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الإنسان.

كما ساهمت من جهة أخرى في التأكيد على الاستهلاك وتشجعيه من خلال الإغراء والإغواء المتواصـــل بالصـــور المتدفقة التي لا تعرف الانقطاع، ضـــف إلى ذلك ظهور نوع جديد من العلاقات الجديدة التي انتقلت من الواقع الحسي العيني إلى الواقع الجديد الافتراضي الذي اختزل المسافات، وكرس مبدأ الافتراضية والفردانية

كما أن تطور وســـائل التكنولوجيا غير من نمط المراقبة فأصـــبحت أكثر تطورا من المراقبة الســـابقة الكلاســـيكية، والتي كرســـت لمبدأ جديد، وهو الخوف الشـــديد من الحياة الإنسانية والاجتماعية، وبها أصبح كل الأفراد مراقبون من بعيد دون حراسة مباشرة.

وكل هذه الوسائل الجديدة هي شرور سائلة جديدة مغايرة للشر الصلب القديم والتى كانت من صنع الإنسان لتكريس مبدأ التقدم والرقي الحضاري و تجاوز سلطان الفكر القديم،

ومن هنا نطرح السؤال التالي: **كيف ساهمت الوسائل التكنولوجية الراهنة في ابتكار الشر السائل وغرسه في المجتمعات الراهنة؟**

وما هي أهم المصادر الأساسية في الشر السائل والتي تعتمد على الوسائل التكنولوجية؟

1. انفصالية الإعلام عن الحقيقة.

المعروف عن الوقت الراهن أنه عالم التقدم والرقي الكبير في جميع المجالات من خلال السرعة التي تسير بها الحياة في جميع ميادينها، ومن بين تلك الأمور التي تساهم في التطور وسرعة الحياة، نجد وسائل الإعلام والتكنولوجيا التي ساهمت بشكل كبير في غرس أشكال جديدة من الحياة، والحياة المعاصرة تتميز بشكل كبير بحضور التقنية في كل ميادين الحياة المختلفة، باعتبارها العامل المركزي في الحياة الإنسانية المعاصرة، والتى أصبح لها الدور الكبير والفعال في الحياة الراهنة، وكما وساهمت في بناء منظومة عميقة وجديدة من القيم الأخلاقية في بيئة الإنسان المعاصر، فلا يمكن فهم الحياة المعاصرة واستيعابها إلا من خلالها، ويتجلى ذلك بشكل بارز في وسائل الإعلام المعاصرة، التي خلقت بيئة جديدة للإنسان المعاصر، فأصبح كل شيء مرهونا في مجتمع الاستهلاك المعاصر بالتكنولوجيا الإعلامية المتطورة جدا، والتي خلقت لنا نمطا جديدا من الحياة، وفي القرون الأخيرة أحدثت التقنية هزات لا تعد ولا تحصى في حياة البشر، خاصة في النزعة الاستهلاكية المرتبطة بروح وعمق الأنا المتسلط على إشباع الرغبات واللذات كما أشرنا إليها في الفصل السابق، فجردت البشر من إنسانيتهم وطبيعتهم وأدخلتهم قسرا في مشروع الحداثة، وهذا ما جعل جيل ليبوفتسكي يؤكد على فكرة الاستهلاك والنّهم الكبيرين على الأخبار ومختلف البرامج التلفزيونية فيقول:" فلا يمكن إختزال مجتمع الاستهلاك في إثارة الحاجات والمتعية، إذ إنه أيضا وثيق الصلة بإنتشار المعلومات وثقافة الإعلام الجماهيري

والاهتمام التواصـــلي، إننا نســـتهلك وبجرعات عالية الأخبار والبرامج الصـــحية والتاريخية أو التقنية"[1].'(*جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ* ,*pdf*.د.ت, ص 36)

1.1.الاعلام والتقنية ومجتمع الاستهلاك.

المتلازمة الاســتهلاكية القائمة بين مجتمع المســتهلكين والمنتجين في أســاســها تتســع أكثر فأكثر من خلال السلطة الكبيرة التي تمارسـها وسـائل الإعلام على الخيال الرائج، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، فهي تمارس التأثير عليهم وتقوم بخلق صور أكثر واقعية من الواقع، فالشاشات بكل أنواعها في كل ومكان، وهي التي تضبط معايير الواقع وتتحكم فيه لأسباب مادية بحتة.[2](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 141)

ويعتبر باومان أن الإعلام الراهني هو نفســه الشــر الســائل، لأنه قادر على إرتداء اقنعة فعالة، ويكمن أن يحشـــد الهواجس والرغبات الإنســـانية في خدمته تحت دعاوى زائفة، لخدمة أغراض معنية خفية[3].(*الإنسان السائل - ياسر بكر* ,*pdf*.د.ت, ص 289)

يعدّ الإعلام في وقتنا الراهن من الأمور التي تحتّل الســوق بشــكل ســريع، وعليه أصــبح الاعلام – بحد ذاته– ســوقا ضــخمة، يعرف الاتســاع والتطور باســتمرار مثل ســوق الصناعة والمال[4].(*روجيه غارودي حفاروا القبور، الحضارة التي تحفر للانسانية قبرها* ,*pdf*.د.ت, ص 78)

ويستند باومان إلى فكرة الفيلسوف وعالم الاجتماع الأمريكي (كريستوفر لاش)[5] في التأكيد على أنّ أكبر الشرور الراهنة والناعمة في حياتنا تتمثل أساسا في التأثير الكبير الذي تفرضـــه وســـائل الإعلام على الحياة الراهنة، ويلخصـــها في العبارة التالية:" الحياة (الراهنة)

---

[1]– جيل لبيوفتسكي، عصر الفراغ، ص 36.

[2]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 141.

[3]. ياسر بكر، الإنسان السائل بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، ص 289.

[4]. روجيه غارودي، حفاروا القبور، الحضارة التي تحفر للانسانية قبرها، ص 78.

[5]ـ كريستوفر لاش) بالإنجليزية(Christopher Lasch : هو صحفي وكاتب ومؤرخ أمريكي، ولد في 1 يونيو 1932 في أوماها في الولايات المتحدة، وتوفي في 14 فبراير 1994

تتحقق بكل تفاصليها بواسطة الصورة الإلكترونية- حتى صرنا عاجزين عن الاستجابة لغيرنا كما لو أن أفعالهم- وأفعالهم تثبت في آن واحد إلى جمهور لا نراه أو تخزن للفحص الدقيق فيما بعد"[1]، وعليه وسائل الاعلام تمارس سياسة التخدير على الأفراد في المحتويات التي تختارها و تفرضها على المتفرجين.

ومن بين النقاط المهمة في المجتمع الاستهلاكي الحالي، هو الاعتماد بشكل واسع ومنقطع النظير على قطاع الإعلانات، والتي بدورها تطورت مع تطور وسائل الاتصال الراهنة، التي تعمل وفق منطق اللذة والمنفعة، لذلك نجد بشكل رهيب المداومة بين الجنسين على هذا القطاع، ونجد مثلا حتى البشر أصحبوا على شكل قطع استهلاكية، تكون على شكل إعلانات لمواد معينة، مثل الماركات العالمية لمواد التجميل، ومضيفات الطيران...التي من خلالها يستخدم أجمل الفتيات من أجل التأثير، لكسب أكبر قدر ممكن من المستهلكين[2].(*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة pdf,*د.ت, ص 289)

مثلما أكدنا في الفصل السابق عن مجتمع الاستهلاك الذي ظهر في العقود الأخيرة من القرن الماضي، والذي جعل المجتمع يغرق في الكثير من المنتجات التي تتطلب استهلاكا سريعا في المجتمع، ومن أجل نقل هذه المنتوجات الاستهلاكية تطلب ذلك وجود طريقة سريعة لنقل السلع إلى المجتمع، فوجدت في وسائل الإعلام المتطورة الوسيلة الأمثل، لتسويق هذه المنتوجات، فجعلت من الافراد يعشون في تناغم دائم بينها وبين هذه السلع.

لقد تحولت وسائل الإعلام من خدمة الفرد، إلى تقييد الفرد بهذه المنتجات ما جعل البعض يصف، مجتمعاتنا المعاصرة بأنها، كون دون معالم، دون هياكل حقيقية، إن لم يكن ذلك من حركة دائمة، مثل موجات الكون السائل. الحياة بكل مظاهرها، المهنية، والعاطفية والترفيهية، والأسرية، والثقافية) تخضع للوقت والاستهلاك. إذ يجب أن يختفي كل شيء

[1]- زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 141.

[2]- عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ص 289.

بسرعة لإفساح المجال لشيء جديد (المفهوم، المنتج، الحبيب، العمل، الهوية، وما إلى ذلك). إنه عهد المتاح، لأن كل شيء تم إلقاؤه يسمح باقتناء شيء جديد.

ساعدت الصورة الرقمية على سرعة تغير الأزياء والموضة وأنماط الحياة في بيئات محلية كانت مفتوحة أو مغلقة أو حتى تلك المنعزلة عن العالم، حيث أحدثت تحولا كبيرا في تجربتي الزمان والمكان بالنسبة للوعي الفردي والجمعي فسرعة الاتصال المرئي والمسموع بين الأفراد وسرعة تداول المعلومات والصور أدت إلى خلق علاقات جديدة مع بعدي الزمان والمكان[1]. (*معن الطائي السرديات المضادة، بحث في التحولات الثقافية*.، ص 2014)

ومن ثم أصبحت السمة البارزة في عصر العولمة التي تغيرت فيها كل معالم الحياة وبذلك تغيرت كل مظاهر الحياة الخاصة والعامة بفضل تطور وسائل الإعلام والتكنولوجيا المتطورة جدا في الوقت الحالي، وبها تمت عملية الإلتقاء بين الثقافات المتقوقعة حول ذاتها، مع الثقافات الاستهلاكية، التي شجعت تلك المجتمعات على الخروج من دائرتها الضيقة إلى عالم آخر.

يؤكد باومان على تلك الصلة الوثيقة بين رغبات المستهلكين والإعلام من خلال تلبية الإعلام لرغبات المستهلكين وتحقيق أغراضهم المؤقتة وتحقيق أكبر قدر من اللذات فيقول في ذلك:" باختصار، رغبات المستهلكين وحدها هي المهمة، وفي الاعلانات التجارية وحدها تتمتع موضوعات الرغبة بنصيب في لذة المستهلكين ..."[2](*حالة_الأزمة_، زيجمونت_باومان،_كارلو_بوردوني*, ص 166) ويتبين هنا جاليا في العلاقة القائمة بين مجتمع الاستهلاك المعاصر وحركة الاعلام، فيستحيل أن يصل مجتمع الاستهلاك إلى

[1] معن الطائي: السرديات المضادة، بحث في التحولات الثقافية، المركز العربي للدرسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1، ص 2014.

[2]. زيجمونت باومان وكارلو بوردوني ، حالة الازمة، ص 166.

ذروته في غياب الإعلام، لأن الإعلام هو السند الأساسي الذي يوصل المنتوجات الاستهلاكية الى المستهلكين، لذلك كانت العلاقة وطيدة ومتقاربة بينهما.

ومن خلال العودة إلى الوراء، خاصة سبعينات القرن العشرين، مع بداية تطور وسائل الإعلام، حينها كان المستهلك المثالي في ذلك الوقت يتمثل أساسا في المرأة، والتي من خلالها تحاول هذه الوسائل باستمرار أن تجعل من نفسها عبارة عن مادة استعماليه ومادة للرغبة، من خلال الأغلفة الخارجية للمنتوجات المختلفة، والاعتماد على السينما في ذلك التي عبرت بشكل واضح عن هذه النظرة الاستهلاكية[1](*روجر روز بتلات ثقافة الإستهلاك والسعي وراء السعادة*, *pdf*,د.ت, ص 16) ، وأكبر شئ يشجع على الاستهلاك في الوقت الراهن يتمثل أساسا في الإشهار الذي يتميز بنغمته الرخوة، حيث يسعي قبل أن يكون إشهارا يشجع على الاستهلاك، أنه اشهار لخدمة أغراض معينة غير مباشرة، وهي المصالح الاقتصادية المتعقلقة بالافراد أو المنتجين.

وينبهنا كارولو بورداني إلى فكرة أساسية محتوها هي أنّ في هذه المرحلة الجديدة التي سبقت الألفية الثالثة، التي تعرف بمرحلة مابعد الحداثة، والتي تغيرت فيها كل الحقائق والقيم، أدت إلى ظهور قيم جديدة:" لأن ما بعد الحداثة، مثل كل طقوس العبور، قد أت غرضها في نقلها إلى مستقبل ليس له اسم بعد(الوقت الراهن) لنتركنا مع لا يقينياته، ولتترك مع انعدام القيم، مكانا خاليا ينتظر أن تملاءه أخلاقيات جديدة، فإننا نخضع على نحو متزايد لاغواءات تكنولوجيا متطفلة شاملة، ولكننا نخضع إليها فرادى بصور متزايدة"[2] (*حالة الأزمة ، زيجمونت باومان ، كارلو بوردوني،* د.ت, ص 88). مما يبين عمق الدوامة التي نعيشها في الوقت الراهن، لأنها مرحلة دون إسم ودون مراكز، فكل شيء يسيل و يذوب في الحياة.

---

[1]. روجر زوز بتلات، ثقافة الاستهلاك والسعي وراء السعادة، ص 16.

[2]. زيجمونت بامان، كارولو بوردونني، حالة الازمة، ص 88.

2.1. الإعلام والهاجس الاخلاقي:

انتشــرت وســائل الإعلام بشــكل لم يكن ينتظره الخبراء، وكل هذا التطور في وســائل الإعلام، التي تؤثر على النظام الاجتماعي فإنها تتأثر به خلال عملها الوظيفي، فهذا النظام الاجتماعي الذي تعمل في اطاره وســائل الإعلام يعد من القوى الأســاســية التي تؤثر على القائمين بالاتصـــال، فأي نظام اجتماعي ينطوي على قيم ومبادئ يســـعى لإقرارها، ويعمل ويسعى على حشد المواطنين إليها.

تعكس وسائل الإعلام هذا الاهتمام بمحاولاتها للحفاظ على القيم الاجتماعية السائدة. ففي بعض الأحوال لايقدم الإعلامي تغطية كاملة للأحداث التي تقع من حوله أو ما يعنى بالسبق الصحفي، وذلك إحساسا بالمسؤولية الاجتماعية أو رغبة منه في تدعيم قيم المجتمع وتقاليده.

أحيانا تتجنب وســـائل الإعلام إنتقاد الأفراد الذين يقومون ببعض الأدوار الاجتماعية والثقافية من أجل تدعيم البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع وعدم خلخلة منظومته القيمية أو الأخلاقية:" يبدوا أن العالم يحتضـــر الأن في صـــوره المزيفة"[1].(*إليزا غودرت، أنا أوسـيلفي إذن أنا موجود*, *pdf*.د.ت, ص 70)، مما يؤكد انقلاب الحياة من جديد في صـــورة جديدة لم تكن موجودة في السابق، أو بلغة إدغار موران إنحدار العالم، في أحد عناوين كتبه.

وتصـــطدم وســـائل الإعلام من خلال أدائها الوظيفي إتجاه الأفراد والمجتمع ببعض العقبات أو المعدات التى تقلل من فاعليتها، هذه العقبات يطلق عليها في علم الاتصـــال بالعمليات الانتقائية:" فكلما تم غزو الوجود مع مرور الوقت من قبل الأشـــياء والرســـائل والرمامات النفســـية والرياضـــية كلما تحلل الفرد من خليط غير متجانس وتوليفة متعددة الأشـكال، وهي صـورة ما بعد الحداثانية ذاتها، يتصـرف الفرد النرجسـي ببرودة فيما يخص

[1] ـــإليزا غودرت، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود، (تحولات الأنا في العصر الإفتراضي) ترجمه: سعيد بنكراد، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2019. ص 70

طريقة عيشــه وسـلوكياته، متحررا من الشـعور بالذنب على المسـتوى الاخلاقي، لكنه يكون عرضــة للقلق، فهو يعيش مهموما دائما بتدبير حالته الصــحية ويعرض للخطر على الطرق السريعة أو في الجبال"[1].(*جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ* ,pdf.د.ت, ص 116)

وقد تجلت فضــاعة التقنية في القرن العشــرين[2]،(*زيجمونت باومان الأزمنة السائلة*) من خلال خلق فضــاء سـوسـيولوجي جديد مغاير للمعهود والقديم في العلاقات الإنسـانية[3]، حيث خلقت واقعا افتراضـــيا جديدا عن طريق لغة رمزية جديدة، إلى عالم فردي جديد، يتجاوز الفهم الفطري للقيم الأخلاقية الإنسـانية مثل قيمة الصـداقة والأنس والحضـور مع الأخر وغيرها من القيم الاجتماعية الأخلاقية المعهودة، ولم تعد هناك في عالم اليوم علاقات مباشـــرة بين الأفراد في الواقع الاجتماعي، بل تحولت إلى علاقات إفتراضـية إلكترونية عن بعد صــنعتها التقنية المعاصـــرة، مما أدى إلى تثيبت الأنانية والفرادنية بشـــكل رهيب، وجعل الفضـــاء

---

[1]. جيل لبيوفتسكي، عصر الفراغ، ص 116.

[2]ـــ والأزمنة السائلة في تفسير "باومان" هي حياتنا المعاصرة التي تعاني من تحول في هياكل المجتمعات من الصلابة إلى السـيولة –كما هو معتاد– وهي التحولات التي يرى "باومان" بدايتها من تفكك الأبنية المجتمعية والمؤسـسـات التي تضـمن العادات المجتمعية وأنماط السلوك، والتي لم تعد قادرة على الحفاظ على عادات المجتمع وسلوكه لفترات طويلة كما السابق وهو ما أدى إلى "ارتفاع رصـــيد المخاوف نتيجة غياب التوقع وتآكل العرف ومنظومة الأخلاق الاجتماعية، ثم ينتقل "باومان" إلى الانفصال الحادث بين السلطة (ما نستطيع فعله) والسياسة (ما ينبغي أن نفعله) بما يفصل أهداف أفعالنا عن أفعالنا ذاتها وهو النتاج الفعلي للاســـتهلاك بلا غرض نهائي، وهو الأمر الذي يتوافق مع انســـحاب الدولة من دورها الاجتماعي في العالم الغربي وتقليص وظيفتها في كفالة أفراد المجتمع غير القادرين بما يفكك مفهوم المجتمع، لنرى النهاية أن السمة الكبرى للأزمنة السـائلة هي أنها أصـبحت تفتقد للتفكير بعيد المدى والتخطيط الطويل؛ لأن الأشـياء أضـحت ذات عمر استهلاكي قصير.

[3]ـــــ وهذه الفكرة نجدها بشكل كبير عند الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي جان بودريار، في كتابه التبادل المستحيل الذي يقول فيه عن العلاقة بين التقنية المعاصرة و مجتمع الاستهلاك:" نحن نعيش داخل شكل من نزع الحيوية عن روابط القوة الاجتماعية لمصـــلحة واجهة افتراضـــية وأداتيه وجماعية متغلغلة، وذلك على ملتقي كافة التدفقات المتضـــارباتية ، تدفق الوظيفة ورؤوس الاموال وتدفق الملعومة."،– جان بودريار التبادل المســـتحيل ، ترجمة : جلال بدلة، دار معابر للنشـــر والتوزيع، دمشق ،ط1، 2013، ص 33.

الاجتماعي الواقعي ينكمش أكثر فأكثر، فجعل من كل ذلك تلك القيم الأخلاقية تتهاوى باستمرار[1].

يعتبر باومان أن الاعلام المعاصـــر أحد المنابع الكبرى لأزمة العصـــر الراهن، ويعتبرها المنطق الثاني الذي يجلب الشـــرور للإنســـانية، والتي غايتها هي تحقيق أكبر قدر ممكن من الأموال والأرباح ونسبه المشاهدة، دون النظر إلى الرسالة التي تحملها الفكرة التي تنشـــرها عبر الوســـائط الإعلامية الجديدة،على غرار صـــور العنف التي توصـــف بأهم البضائع الأكثر رواجا في وسائل الاعلام الراهن:" فصور العنف وقصصه هي من بين أكثر البضائع الرائجة التي تعرضها صناعة وسائل الإعلام، وكلما زادت تلك الصور والقصص وحشية وفضاعة ودموية كان ذلك أفضل"[2].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل ,pdf*.د.ت, ص 68)

ســاهمت شــبكات التواصــل الاجتماعي في نشــر ظاهرة غريبة جدا في المجتمعات المعاصرة والتى تسمي بالنفاق الاجتماعي، الذي تخطي نسيج العلاقات الاجتماعية الواقعية المبنية على الصدق والحضور الاجتماعي الدائم، أما في وسائل التواصل الاجتماعي فخلقت لنا عالم افتراضـــي:" تؤدي الحركة والإعلام والإنارة إلى الافتقار ذاته الذي يؤدى إلى تعزيز الاستثمار النرجسي، فعندما يصبح الواقع غير قابل للسكن، لا يبقى إلا الانطواء على الذات، والملاذ الاســـتكشـــافي الذي يبرر جيدا من خلال الســـرعة الجديدة لأجهزة الصـــوت والسماعات".[3](*جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ ,pdf*.د.ت, ص 79)

التكنولوجيا تعلب دور بالغ الأهمية في تلك الدرجة التي وصـــلنا إليها في الرقي والتطور الكبير في حضارة القرن العشرين، ففي المدن الحديثة على سبيل المثال التي تزود

---

[1] ـــ نورة بوحناش، البيواتيقا والفلسفة " من الانسان الفائق إلى الانسان المتزكي، المؤسسة العربية للفكر وللابداع ، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص 120.

[2]. زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 68.

[3]. جيل ليبوفتسكي عصر الفراغ، ص 79.

سكانها بسرعة فائقة في التعامل مع شبكة الانترنت وعالم العلاقات الإفتراضية، ليس عليك الصبر ولا التضحية، ولا إجتياز فضاء متعة الإستكشاف الإنساني، أو إخفاقاته، فهي ثقافة جديدة، ثقافة العلاقات المريحة ، سواء ارتبطت بالشاشات أو إنتقلت إلى الواقع بشروط العالم الافتراضي، في هذا العالم الجديد يمكنك إنهاء العلاقة في الوقت الذي تريد أن لم تكن راضيا عنها، ومن هنا العالم الافتراضي الجديد يفتح للإنسان العديد من الخيارات وهذا ما نجده في الأجيال الراهنة التي تسير على هذا النهج الافتراضي منذ عقدين من الزمان، وحتى هذه العلاقات الافتراضية تسربت إلى الجيل القديم[1].(*زيجمونت باومان، الحب السائل*, *pdf*.د.ت, ص 20)

كما نجد الأثر الكبير لوسائل الاعلام في إعادة صياغة مفاهيم وقيم أخلاقية جديدة لم تكن موجودة في السابق سواء كانت القيم إجتماعية أو فردية، وهو ذلك الأمر الذي يغير من سلوكيات البشر وإعادة ترتيب جديد للقيم، وعليه أصبح الإنسان عاجزا وغير قادر على بناء قيم أخلاقية جديدة في المجتمع الاستهلاكي وأصبح مجرد متلقي فقط للقيم، وذلك أن المجتمع الاستهلاكي بواسطة التطور الهائل لوسائل الاعلام صنع ثقافة وقيم أخلاقية جديدة يصبح الفرد فيها عضوا بطريقة تلقائية[2].(*سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار*, *pdf*.د.ت, ص 90–91)

يؤثر المجتمع الاستهلاكي في حياة الإنسان وفي قيمه ويتحكم في أفكاره وعواطفه وإنفعالاته، وهذا الذي يؤدى به إلى الإحساس بتراجع الفردية والخصوصية في ظل مجتمع يعتمد على السرعة والسهولة في الحصول على المعلومات الخاصة بالفرد، ونشرها وكأنها سلعة قابلة للترويج والنشر، ومنه نجد أن المجتمع الاستهلاكي قد أفرغ الإنسان من كيانه الداخلي والعقلي، ومن هنا نلاحظ ممارسة العنف بطريقة غير مباشرة على الفرد في هذا المجتمع الجديد، وجعله يتكيف ويخضع بطريقة قسرية دون وعي و شعور بذلك، لأن هذا المجتمع هو الذي فرض عليه هذا النمط الجديد دون عقد معين، وكل هذه الطرق في

---

[1]. زيجمونت باومان، الحب السائل، عن هشاشة الروابط الانسانية، ص 20.

[2]. سوزان عبد الله إدريس، لا أخلاقيات العنف عند جون بودريار، ص ص90–91,

ممارســـة الضـــغط والانقلابات على الأفراد، وتتزايد مع تزايد وتطور وســـائل الاعلام والتكنولوجيا، وبذلك تجرده من مبادئه و قيمه وحتى من إنســـانيته[1].(*ســوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار* ,*pdf*.د.ت, ص 101)

وسائل الاعلام الجديدة في عصر المعلومات، خاصة في العالم الافتراضي تؤثر في شخصية الإنسان وفي طريقة تعامله مع الاخرين، حيث يقوم الأشخاص بعملية إصطناع شخصيات أخرى جديدة مغايرة للشخصيات الواقعية، وبذلك تتحول تلك الشخصية الافتراضية الى الشـــخصـــية الواقعية الحقيقة، مما يؤدي الى خلق نوع من التناقض في ذلك الإنســـان ويجعل الإنسان ينفر من العالم الواقعي الحقيقي، ويلجأ باستمرار إلى العالم الافتراضي الذي يشـــعره بالثقة والهروب من آلام العالم الحقيقي الواقعي، ويجعل الفرد يعيش نوع من الإغتراب والعزلة على العالم الحقيقي الذي يعيشه مع البشر، وهذا ما يوضحه بشدّة جان بودريار في كتابه الفكر الجذري:" إن جاذبية الآلات الإفتراضـــية مردها إرادة الإبادة والإنصـــهار وداخل حميمة، ولا علاقة للأمر برغبة في التعارف أو التواصـــل أو حتي اللقاء تشـــغيل هذه الحميمية كبديل عن الســـعادة، ولا تقترب الإفتراضـــية من الســـعادة إلا لكنوها تسحب خلسة كل إحالة على الأشياء والمرجعيات، إنها تعطيك كل شيء، يتم تحقيق الذات في الافتراضية بشكل كامل، لكن عندما تكون الذات على هذا الوضع، تصبح بشكل آلي شـــيئا ضـــمن الأشـــياء الأخرى، وهذا هو الرعب بعينه"[2].(*جان بودريار، الفكر الجذري* ,*pdf*.ص 2006.71)

الوقت الراهن هو الوقت الذي يعرف العولمة، التي تتميز بالسرعة، لكنها غير متسقة ومنســقة، لكنها تجعل من الناس والجميع يعتمدون على بعضـــهم البعض، إلى كل شـــيء، وبالتالي لا يمكن أن يجاريها في الوقت الحالي أي نظام عالمي أخر أو مشـــابه لها، مهما كان هذا النظام أو هذه المؤسسة، والتي تمتلك سلطة سياسية وقوانين وقواعد أخلاقية ثابتة

---

[1]. سوزان عبد الله إدريس، لا أخلاقيات العنف عند جون بودريار ، ص 101.

[2]ــ جان بودريار، الفكر الجذري ، تر: منير الحجوبي واحمد القصوار، دار توبقال المغرب ، ط1، 2006، ص ص71-72.

ملزمة لأفرادها، وتكون ملزم بالدخول في هذا الحقل العالمي الجديد مهما حاولت التشـــبث بتلك القوانين والقواعد الأخلاقية التي تمتلكها[1]. (زيجمونت باومان، *الحداثة السائلة*, pdf.د.ت, ص 147)

لقد تميز عصر العولمة بالانفجار التكنولوجي، فيما يخص وسائل الإتصال العصرية، حيث فتح هذا الانفجار رهانات وتحديات كبيرة خاصة فيما تعلق بالعلاقات الإنسانية وأبعادها الاجتماعية والأخلاقية، في المجتمعات الراهنة، وهو ما يبين عنه النقد الأخلاقي لهذه الوسائل التي إعتبرها الكثير من المفكرين وسيلة جديدة للسلطة والسيطرة القهر والقمع[2].(نورة بوحناش، *البيواتيقا والفلسفة*, pdf.د.ت, ص 122)

يصدر باومان حكما قطيعا في غاية الصراحة حول ظاهرة العولمة[3] من خلال التأكيد على الدور السـلبي الذي تلعبه لعولمة في الحياة الراهنة، يؤكد على أنها من الشـرور التي تتغلغل في حياتنا وتؤثر علينا بطريقة لا شـعورية، فهي عبارة عن عملية طفيلية ومفترسـة تتغذى على سلطة تمتصـها من دماء الأمم والدول ورعاياها[4](زيجمونت باومان، *الحياة السائلة*, pdf. د.ت, ص 36)، فهي إحدى الأوجه الأكثر غموضـــا وضـــبابية في وقتنا الراهن، التي تغرس الخوف في المجتمعات المتخلفة وتؤثر على حياتها وســلوكيتها وتقضـــي على أصـــالتها وقواعدها الأخلاقية التي غرست في السابق.

بالتأكيد العولمة ظاهرة سلبية في تجلياتها الحالية ويتجلى ذلك في قوله: "إن عولمتنا حتى هذه اللحظة إنما هي عولمة ســلبية بأســرها، إنها عولمة تفتقر إلى فحص وإلحاق وتعويض بعولمة ايجابية، ومازالت تمثل إمكانية بعيدة المنال على أقل تقدير وإن كانت

---

[1]- زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 147.

[2]. نورة بوحناش، البيواتيقا والفلسفة، ص122.

[3]ـــ يشـير هنا زيجمونت باومان إلى فكرة اسـاسـية وهي الفكرة التي قدمها كارل بوبر بالمجتمع المفتوح ، ويؤكد أن فكرة العولمة تجازوت كل الحدود التي اكد عليها كارل بوبر، لكن هذا الانفتاح العالمي الكبير جدا له اســـلبية كبيرة جدا لأنه يخضـــع لضـــغوط كبيرة جدا وهي ضـــغوط القوي الكبيرة جدا لأنها مرتبطة بشـــكل اكثر بالتجارة وراس المال والمراقبة والمعلومات والعنف و الأسـلحة والجريمة والارهاب في اجماع تام على احتقار مبدأ سـيادة الارض وعدم احترام حدود اي دولة –(زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 135).

[4]- زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 36.

إمكانية بائســـة بالفعل من منظور بعض الخبراء"[1].(*زيجمونت باومان، الخوف الســائل* ,*pdf*.د.ت, ص 135)

إن التحديات والمخاطر والتهديدات في زمن العولمة(الحالة الراهنة التي نعيشها)، من خلال التحرير المستمر لفكرة الخوف، ليصبح أي شيء موضوعا للخوف، والأمراض الجديدة المستعصية والفيروسات التي تقاوم المضادات الحيوية، الخوف من الإرهاب .

أصـــبح كل شـــئ جديد في زمان العولمة، خاصـــة مع التطور الكبير في وســـائل التكنولوجيا، أشـــد رهبة وخوفا، فكل شـــئ يجب أن يتم غلقه باســـتمرار وأن يكون الغلق جد محكم، ســـواء في الحياة الواقعية من خلال الخوف على الممتلكات المادية مثل الســـيارات والمنازل ... وفي الحياة الافتراضـــية من خلال الخوف المتســـمر على الهاكر من ســـرقة المعلومات الإلكترونية والبريد وسـرقة مختلف الحسـابات سـواء في مواقع التواصـل الرسـمي وغيرها كالفيسبوك والتويتر الأنستغرام... الخوف أصبح سائلا في زمان العولمة [2].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل* ,*pdf*.د.ت, ص 19)

يؤكد على أن العولمة أصبحت حتمية أساسية يجب التعايش والتعامل معها باستمرار :"لا شك أن العولمة أصبحت الآن حتمية وفي مسار يستحيل عكسه"[3]، حتي في العلاقات الإنسـانية والتعاملات في الوقت الراهن، أصـبحت عالمية لا يمكن الهروب منها مهما حدث، فكل ما يحدث في مكان ما من العالم يؤثر بطريقة ما، مباشـرة أو غيرة مباشـرة في مكان ما من العالم، فكل ما يحدث في الكرة الأرضـــية نكون جميعا مســـؤلون عنه مهما حدث، فلا يمكن أن تكون منعزلا وتطوي صـــفة العالم، فكل واحد منا يؤثر ويتأثر بالأخر في النظام العولمي الجديد[4].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 46)

---

[1]. المصدر نفسه، ص135.

[2]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة ، ص 19.

[3]. زيجمونت باومان، الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص 46,

[4]. المصدر نفسه، ص 46.

ويضـيف نقطة في غاية الأهمية على أن التحدي الكبير الذي تفرضـه العولمة، يتمثل أســاســا في التحدي الأخلاقي في قوله:" وأخيرا: التحدي الأخلاقي "العولمة"، أو بدقة أكثر العولمة بوصفها تحديا أخلاقيا"[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 101)

ففي هذا العالم الراهني نجد أن المسافة تقلصت بشكل واسع، والأفعال التي تحدث في مكان ما من العالم بمختلف مستوياتها خاصة في المجال السياسي والاقتصادي، سيكون لها تأثير على بقية المناطق الأخرى في العالم، وتوثر في فشـــل ونجاح أماكن أخرى لم نعرفها وحتى أنها تؤثر على الأجيال المســتقبلية التي لن نعيش معها، وبالتالي فكل شـــخص يقوم بهذه الأفعال، يجب أن يكون مســؤولا أخلاقيا أمام هذه التصـــرفات التي قام بها[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 101)

وينظر باومان إلى وســـائل الإعلام اليوم على أنها تلعب دورًا رئيســـيًا في تعزيز العولمة، وتسـهيل التبادل الثقافي والتدفقات المتعددة للمعلومات والصـورة بين الدول من خلال نشــارات الأخبار الدولية، والبرامج التلفزيونية، والتكنولوجيات الجديدة، والأفلام والموسـيقى... إذا كانت الأنظمة الإعلامية السائدة في معظم دول العالم قبل التسعينيات من القرن الماضي ذات نطاق وطني نسبيًا، فقد أصبحت معظم وسائل الاتصال العالمية منذ ذلك الحين عالمية بشكل متزايد، لتوسيع نطاقها خارج الدولة القومية لغزو الجماهير في جميع أنحاء العالم.

وقد ســاعدت التدفقات الدولية للمعلومات إلى حد كبير من خلال تطوير الرأســمالية العالمية والتكنولوجيات الجديدة وزيادة التســويق التجاري للتلفزيون العالمي، والذي حدث نتيجة لســياســات إلغاء القيود التنظيمية التي إعتمدتها مختلف البلدان في أوروبا والولايات المتحدة من أجل الســماح بانتشــار قنوات الكابل والقنوات الفضــائية. ناقش منظرو العولمة كيف كان للبعد الثقافي للعولمة تأثير عميق على عملية العولمة بأكملها.

---

[1] المصدر نفسه، ص 101.

[2]. زيجمونت باومان ، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص101.

يمكن إرجاع التوسع السريع للاتصالات العالمية في القرن الحادي والعشرين إلى التطورات الميكانيكية للتكنولوجيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي بدأت بشكل أساسي باختراع التلغراف في عام 1837، وشملت النمو في الخدمات البريدية، والهاتف والراديو عبر الحدود، وإنشاء صحافة تداول جماعي حديثة في أوروبا، ومع ذلك، كان تطور التقنيات القادرة على إرسال الرسائل عبر الموجات الكهرومغناطيسية بمثابة نقطة تحول في تعزيز عولمة الاتصالات، ظهور وكالات الأنباء الدولية في القرن التاسع عشر مثل رويترز، مهد الطريق لبداية نظام عالمي للتدوين. ومع ذلك ، لم يكن حتى الستينيات من القرن العشرين، مع إطلاق أول سواتل الاتصالات الثابتة بالنسبة للأرض، أصبح الاتصال عن طريق الإرسال الكهرومغناطيسي عالميًا بالكامل، مما جعل عولمة الاتصالات ظاهرة مميزة في القرن العشري، وهذا ماصرح بيه زيجمونت باومان في قوله:" فأمام كوكبنا طريق طويل لابد من أن يقطعه حتى يصير العولمية التي تحدث عنها مارشال ماكلوهان، وإن كانت القرى حول الكوكب تخضع هذه الأيام لعولمة متسارعة"[1].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,*pdf*,د.ت, ص 102)

من بين الأمور الصعبة جدا في الوقت الحالي، هو الوقوف في وجه العولمة وحتى إيقافها بكل الطرق:" لا شيء يمكن عمله لإيقاف العولمة نهيك عن عكس حركتها"[2]، ومهما كان الفرد أو الجماعة ضد العولمة، فإنه يستحيل الصمود أمامها، لأن هذا الفعل سيكون أشبه بالوقوف لظهور الشمس في النهار، والقمر في الليل، لكن الأغلبية يتفقون على أن العولمة عبارة عن شر من خلال عولمة المعانات الإنسانية[3].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*. د.ت, ص 103)

بعد ستينات القرن الماضي والتطور الهائل لوسائل الإعلام في العالم، بدأت تظهر الشبكة العنكبوتية التي عرفت مراحيل مختلفة في تطورها في العالم، إلى أن غزت العالم

---

[1]. زيجمونت بامان، الحياة السائلة، ص 102.

[2]. زيجمونت باومان، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 102.

[3]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

مطلع القرن الجديد، وأصبح كل فرد في العالم لديه القدرة لإستخدام هذه الشبكة والتواصل مع العالم دون أي قيود، حيث أصبح لجميع سكان العالم تلقي الخبر في الوقت ذاته وسماع مختلف الاحداث التي تحدث في العالم دون أي تزوير من طرف السلطات المحلية، مما أدى إلى إزالة الحدود الجغرافية والعراقيل المختلفة[1].)*سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار* ,*pdf*.د.ت, ص 114–115)

وتعد الأنترنت هي أساس وقتنا الراهن في كل الممارسات اليومية، فإذا كانت تكنولوجيا المعلومات في الوقت الحالي، تمثل الكهرباء في عصر الصناعة، ففي عصرنا الحالي يمكن أن ترتبط الأنترنت بكل من شبكة الكهرباء والمحرك الكهربائي، بسبب قدرة الأنترنت الرهيبة على توزيع المعلومات عبر العالم والنشاط الإنساني بأكمله[2].)*روبرت جيس، الإعلام والسياسة ومجتمع الشبكات*.(*2010*, ص 37))

2.الاعلام وصناعة الواقع.

1.2.الإعلام وسياسة بناء الواقع.

يتجه زيجمونت باومان الاتجاه نفسه الذي سار عليه جان بودريار[3] في نقد مجتمع الاستهلاك بشكل عام ومجتمع الإعلام بشكل خاص، حول الترتيبات الكثيرة التي أحدثتها على الحياة المعاصرة والراهنة بشكل خاص، ومن بين أهم إفرازات مجتمع الاستهلاك، هو في الفيضانات الهائلة التي ترسلها وسائل الإعلام من صور مختلفة يتلقها المستهلك.

من الأمور الباشعة في الوقت الراهن، بسبب وسائل الإعلام والتكنولوجيا، هي أن الحقيقة أصبحت مجرد سلعة تباع وتشترى، ويتم من خلاله قولبة الحقيقة وفق ماهو مطلوب

---

[1]. سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار، ص ص114–115,

[2]ـــ)*روبرت جيس، الإعلام والسياسة ومجتمع الشبكات* ,*pdf*.(د.ت, ص 37.2010(روبرت جيس، الإعلام والسياسة ومجتمع الشبكات، ترجمة: بسمة ياسين، مجموعة النيل العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص 30

[3]ـــ جان باودريار) Jean Baudrillard مواليد 20 يونيو 6 –1929 مارس 2007 منظر ثقافي و فيلسوف ، ومحلل سياسي ، و عالم اجتماع ، وأخيرا و ليس آخرا هاوي تصوير فوتوغرافي . تصنف أعمال بودريار بشكل أساسي ضمن مدرسة ما بعد الحداثة و ما بعد البنيوية.

من طرف جهات معينة، وذلك من خلال الإعتماد على الإعلان في دعم وتمويل البرامج المختلفة، والتي يتم من خلالها إختيار مقدميها وتصـــميمها خدمة لتلك الحقيقة المزعزمة[1].(روجيه غارودي حفاروا القبور، الحضارة التي تحفر للانسانية قبرها ,pdf.د.ت, ص 78)

في وقتنا الراهن إنتقلنا من سؤال إلى سؤال أخر، يتمثل هذا السؤال في الأساس، ماهو دور وســـائل الاعلام في الحياة؟ إلى ســـؤال أخر يتمثل أســـاســـا في ماعلاقة الإعلام بالإديولوجيا في عصـــر الثورة الرقمية؟ وكيف تتحكم الاديولوجيات في في تشـــكيل الواقع؟[2] (جان بودريار، المصطنع والاصطناع ,pdf.د.ت, ص 37)

تعبر وسائل الإعلام عن طريقة عملية الغزو المستمرة للعقول البشرية، والتى أفرزت الكثير من السلبيات على الأفراد والمجتمعات على حد سواء، وساهمت بشكل كبير في عملية صناعة الواقع بالطريقة التي تخدم أطراف معينة، وتساهم وسائل الإعلام بتشويه المضامين الإعلامية، حيث تنقل وســـائل الإعلام الكثير من الأخبار التي لا تمت أي صـــلة بالواقع المعاش:" لدينا في داخلنا رغبة هائلة بالحدث، وخيبة أمل هائلة، لأن مضـــامين الخبر متدنية جدا، وبشـــكل مخيب للآمال بالنســـبة لاســـتطاعته والإفراط في الخبر يحدث حالة لا أخلاقية نظرا لأنه لا مقابل له، لا في الحدث الواقعي، ولا في تاريخنا الشـــخصـــي"[3].(جان بودريار، التبادل المستحيل ,pdf.د.ت, ص 152)

وسائل الإعلام الراهنة هي التي تؤدى وتساعد بشكل يعزز في إعادة بناء الواقع والتي يمكن إعتبارها من المظاهر التي تغرس الخوف في الأفراد داخل المجتمعات الســـائلة من خلال واقع تفرضه القوى والسلطات المهيمنة على مجتمع الأفراد:" وسائل الإعلام التي ترمز بصـــورة جلية ملموســـة إلى واقع لا يمكننا أن نراه ولا نلمســـه من دون مســـاعدتها"[4].(زيجمونت باومان، الخوف السائل ,pdf.د.ت, ص 34)

---

[1]. روجيه غارودي، حفاروا القبور، الحضارة التي تحفر للانسانية قبرها، ص 78.

[2]. جان بودريار، المصنع والاصطناع، ص 37.

[3]. جان بودريار، التبادل المستحيل، ص 152.

[4]– زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 34.

وسـائل الاعلام المتطورة جدا في وقتنا الحالي مثلما أشـرنا سـابقا تخضـع لسـطلة المتلازمة الإسـتهلاكية، وهي الفكرة التي بينها رجاء غارودي في وقوله:" عندما يخضـع التلفزيون والإعلام لقوانين السوق، فهل تنتظر إلا التفاهة والسطحية؟ وعند التعرض للقضـايا المهمة هل تنتظر إلا التزيف والتزوير والإنتهازية؟"[1] (*روجيه غارودي حفاروا القبور، الحضـارة التي تحفر للانسانية قبرها* ,*pdf*.د.ت, ص 85)

وسـائل الاعلام التي تسـاهم في وقتنا الراهن في نقل المضـامين الإخبارية ومختلف الحقائق والمفاهيم، تعزز لنا وتخلق واقعا مفرطا وسـائلا في الواقعية، واقعا فائقا مخالفا للواقع الحقيقي والذي يصـعب على الفرد التيقن من مصـداقيته وحقيقته المفرطة، لذلك تتحول مسالة شفافية الاعلام إلى مسألة زائفه لأنها تخفي عن الجمهور طريقة تحرير الخبر وعرض الصـور الحقيقية وبذلك يمارس الإعلام نوع من الخداع والتأثير على الجمهور والمسـتهلكين بطريقة أو أخرى[2].(*سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار* ,*pdf*.د.ت, ص 117)

الدليل على ذلك ما نجده في التلفزيون الذي يعتبر من أهم الوسـائل الإعلامية التي تنقل الأخبار، فهي تنقل الأخبار بصـورة اعتباطية سـاذجة عديمة الجدوى، حيث تتلاعب بالحقائق وتلعب على أوتار الحقيقة على حساب الموطنين لخدمة طائفة معينة، ويكفي للمرء أن يتصفح شبكة المعلومات الدولية في الصباح ليدرك أن تلك الحقيقة الحقة تظهر في الجزء الرئيسي من قائمة الأخبار اليومي[3].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 31)

كما أتحت وسائل التواصل المعاصرة الجديدة فرص الاستعراض وبناء صورة جديدة لهم في الفضـاءات الإلكترونية، فيعبرون عن حياتهم الخاصـة والاجتماعية بطريقة لم يسـبق لها مثيل إما عن طريق الصور والإعلانات المختلفة، فيعبر عنها باومان بالعبارة التالية:" إن

[1]. روجيه غارودي، حفاروا القبور، الحضارة التي تحفر للانسانية قبرها، ص 85.

[2]. سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار، ص 117,

[3]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 31.

الناس يذيعون بحفاوة حياتهم الحميمة في مقابل الظهور العابر في بؤرة الضـــوء، وهذه الاحتفالات باستعراض الذات ليس ممكنة إلا في عصر الاتصالات السريعة المتغيرة، في عصر اغتراب غير مسبوق، إن مثل الذي يعرضون أنفسهم على صفحات الفيس بوك كمثل أصحاب المدونات الغارقين في النرجسية، ينفسون فيها عن أزماتهم وإحباطاتهم، ومنهم من يحاول التغلب مؤقتا على مشـــاعر العزلة وعدم الأمان، وبهذا المعنى فإن إبتكار الفاس بوك هو ابتكار ذكي ظهر في أوانه، فعندما لم يعد للناس طاقة بمشاهدة التلفزيون السئ، ولا قراءة الصحف السادية المازوخية، ظهر الفيسبوك إلى الوجود"[1].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 32)

كل هذه العبارة تشير إلى أن الفيس بوك صنع واقعا جديدا لهؤلاء الأفراد، واقعا يستم في أغلبه بفرض وصنع شخصية غير الشخصية التي يمتلكها الفرد، يعبر عن القوة وهو في حالة الضعف ويعبر عن الفرح وهو في حالة الحزن": إن الناس الذين يذعنون بحفاوة حياتهم الحميمة في مقابل الظهور العابر في بؤرة الضــوء، وفي هذه الاحتفالات باســتعراض الذات ليســت ممكنة إلا في عصـــر الاتصـــالات الســريعة المتغيرة في عصـــر اغتراب غير مسبوق"[2].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 32)

وسائل التواصل الاجتماعي الجديدة خاصة الفيسبوك عند زيجمونت باومان يعتبر من اشـــهر واهم الشـــرور المقيتة والمميتة في الوقت الراهن، فهو الفضـــاء الذي يؤكد على فكرة أســاســية وهي فكرة الذاتية والفردانية، والحرية المطلقة للأفراد في العالم الإفتراضـــي الجديد :"ولكن ظهر مع الفيس بوك إمكانات الخطر القاتل والمميت، فالفيس بوك يجســـد جوهر ظاهرة (**إفعل الأمر بنفسك**)، تجرد من ملا بسك، وأرنا إسرارك، وإفعل ذلك بنفسك، وبإرادتك الحرة وأســعد بما تفعل، فعليك أن تفعلها بنفســك، وأنت تتعرى عزيزي"[3] (*زيجمونت باومان، الشـر*

---

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع اللابديل، ص 32.

[2]. المصدر نفسه، ص 32.

[3]. زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع للابديل، 32,

السائل والعيش مع للابديل ,*pdf*,د.ت, ص 32 من السهل للغاية إنشاء أو إلغاء الاتصال على شبكة اجتماعية، في الحياة الواقعية، هذا ليس هو الحال حقًا. علينا أن نتحمل المسؤولية عن كل عمل من أفعالنا. على الإنترنت[1].

يرى باومان أن وسائل التواصل الاجتماعي فخ للبشر، ويعتقد أن هذا النوع من الفضاء له تأثير حاسم على ما يسميه "الثقافة السائلة"، في الأخير فإن الروابط الإنسانية غير المستقرة هي التي تسود، بلا وجه ودون إلتزام، هي عبارة عن موجات من المشاعر والأفكار الحاضرة اليوم لكنها ستختفي غدا، فالناس الذين يستمتعون بها، تتحكم القوة السياسية والاقتصادية فيهم أكثر فأكثر وأفضل وأفضل، وهذه الفكرة التي عبر عنها جيل لبيوفتسكي في كتابة عصر الفراغ في قوله:" يشكل تضخم الرسائل والثقافة والتواصل وتسارعهما جزءا لا يتجزأ من مجتمع الاستهلاك ، كما هو الشأن بالنسبة إلى وفرة السلع، هناك إذن المتعية من جهة، ومن الإعلام من جهة أخرى"[2].(*جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ* ,*pdf*. د.ت, ص 114).

بالنسبة إليه، فإن البانوراما غير مشجعة، بالتحول إلى أشخاص لديهم معلومات مضللة مع إستمرار تدفق المعلومات، نحن لا نعرف أبدا ما نؤمن به، على الرغم من كل هذه الاتصالات، فإننا نعيش في مونولوج لا ينقطع.

وسائل الإعلام في الوقت الراهن تحت قضبة معينة تستحوذ على الأخبار وعلى الواقع بالطريقة التي تريديها وتفرضها على الجميع، وبالتالي يتحكمون في الأخبار بالطريقة

---

[1] ـــــ هناك تبادل للرسائل ولكن لا حوار، خلافات ولكن لا مناقشة بناءة، إن الوهم بالتواصل مع الآخرين موجود، تدعوك الشبكات الاجتماعية لفضح نفسك، لإظهار وإثبات من أنت. بالطبع، نختار فقط إظهار الأفضل منا. نشكل مجتمعات صغيرة نديرها كما يحلو لنا. نحن دكتاتوريون صغار في عهد حسابنا. نحن نقرر من يجب أن يكون هناك أم لا. الغياب والحضور لا يؤثر علينا إطلاقا،تحتل "أنا" مكانة حاسمة على الشبكات الاجتماعية. دون أن ندرك ذلك، نصبح معتمدين على هذا الانكشاف العام على الشبكات. نريد أن يتم التعرف علينا والتعرف علينا بطريقة حازمة، ويمكننا حتى أن نشعر بالإحباط إذا لم نفعل ذلك.

[2]. جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ، ص 114.

التي يردونهــا هم:" ومن يتحكمون في التلفزيون يتحكمون في الواقع، ومن يتحكمون في الأنترنت يتحكمون في الخيال ومبدأ البديل، ومن يتحكمون في وســائل الإعلام يتحكمون في البلاد، ومن يتحكمون في التلفزيون يحولون البؤس إلى كراهية"[1].(*زيجمونت باومان، الشــر الســائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 116)

التكنولوجيا المتقدمة والمتطورة في الوقت الراهن ســـمحت من خلال الشـــبكات الاجتماعية الجديدة صــارت أشـكالا جديدا للسـيطرة والمراقبة، وبذلك من خلال أنه بالإمكان رؤية الجميع وهم يكشـــفون عن أنفســـهم ويســـجلون وبيانتهم ويشـــاركون في الســـيطرة والإنفصـال[2](*الإنسان السائل ـ ياسر بكر* ,*pdf*.د.ت, ص 281)

---

[1]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص116.

[2]. ياسر بكر، الإنسان السائل، بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، ص 281.

3.العالم الافتراضي والتقوقع حول الذات.

من الخصائص الأساسية التي يتميز بها إنسان الحداثة السائلة((الفائقة)) هو في الإرتباط الوثيق في حياته اليومية الدائمة بالتقنية، وهذه الاخيرة أصبحت أكثر إرتبطا بوسائل الاعلام والتكنولوجيا المتقدمة، كا الهاتف المحمول والحواسب الخاصة ... والتي تشترك في كونها تمتلك الشاشة التي تجعل من الافراد ينتقلون من الحياة الإجتماعية الواقعية إلى الحياة الافتراضية بفضل هذه الوسائل، وبذلك تكون حياته الراهنة بعيدة كل البعد عن الحياة الكلاسكية القديمة، ومنه إنسان الحداثة السائلة يختلف عن إنسان الحداثة الصلبة[1](*جيل ليبوفتسكي و جان سيرو، شاشة العالم" " ثقافة وسائل إعلام وسنيما في عصر مابعد الحداثة* ,pdf.د.ت, ص 272)

لعل أهم الشرور الخطيرة في الحياة الراهنة هي في تلك الطريقة الجديدة التي يحاول فيها أغلبية الأفراد العيش بها من خلال الإحتكاك المستمر بوسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، هي في محاولة العيش على طريقة نجوم الشاشة، لذلك ينظرون إلى حياتهم على أنها مجرد شاشة وفقط، لذلك حياتهم من الصباح حتي اليل سواء مع الاخرين أو الحياة الخاصة [2](*جان بودريار، المصطنع والاصطناع* ,pdf.د.ت, ص 30) ، ولذلك يقولون إنتقلنا عن عصر الأبطال إلى عصر المشاهير.

تتميز الأوقات التي نعيشها بإحراز تقدم كبير في تطوير جميع التقنيات التي تساعد على الاتصال الجماهيري، بواسطة الهواتف المحمولة أو الأجهزة اللوحية أو مشغلات الوسائط المحمولة أو مواقع الشبكات الاجتماعية كلها أدوات تتيح لك الحصول على المعلومات التي تحتاجها في الوقت الحالي وعلى الفور، وكذلك الاتصال بأشخاص آخرين في أي مكان وزمان، وفقًا لبومان فإن مصيرهم هو تلبية الحاجة إلى وجود إنسان آخر، لا أحد يريد أن يشعر بالوحدة، لأنها حالة يصعب تحملها من ناحية أخرى، عندما يحدث ذلك يكون الاتصال الافتراضي طريقة سهلة للتغطية على الفراغ والوحدة، وهو أيضًا شكل اتصال

---

[1]. جيل ليبوفتسكي وجان سيرو، شاشة العالم((ثقافة وسائل اعلام سنيما في عصر مابعد الحداثة))، ص 272.

[2]. جان بودريار، المصطنع والاصطناع، ص 30.

آمن، وقبل كل شيء، غير ملزم في أي وقت من خلال قطع الاتصال، يمكننا إنهاء المحادثة دون التعرض لأية عواقب وخيمة، في أي لحظة يمكننا أن" نصـــبح غائبين في الروح "و" نقترب من أنفســنا " في أي لحظة يمكننا إخبار الآخرين أننا مفصــولون عن شــركتهم، هنا والآن، يمكننا الخروج من الحشد نهائيا بالطريقة التي نريدها .

1.3.التطور التكنولوجي والشبكات الافتراضية[1]:

كما اشرنا في العنصر السابق إلى الدور الكبير الذي لعبته وتلعبه وسائل التكنولوجيا المعاصــرة في خلق واقع جديد بواســطة وســائل الإعلام والإتصــال المتطورة الجديدة، التي غيرت من ملامح الحضــــارة الراهنة، فنجدها ايضـــا خلقت عالما جديدا يســـمي بالعالم الإفتراضـــي القائم على الشــبكات التواصــلية الإفتراضــية التي تســتخدم الشــبكة العنكبوتية بالأنترنت، ووســائل الإتصـــال الحديثة، لم تلغ العلاقات الاجتماعية، بل أن العلاقات عبر الواب فتحت أشكالا جديدة من العلاقات، وأنماطا جديدا من التواصـل، مكنت لنوع جديد من العلاقات الاجتماعية.

[1]ـــ كان الإنترنت أحد أكثر التطورات تأثيرًا في تاريخ البشرية الحديث.لقد سمح لنا ، مثل الهاتف إلى حد كبير ، بتوسيع شبكاتنا إلى ما هو أبعد مما كان يتخيله أولئك في الماضي.يمكننا التواصل بسهولة مع الأفراد في جميع أنحاء العالم طالما لديهم إمكانية الوصـــول إلى الإنترنت على أي حال.أدى ظهور وســـائل التواصـــل الاجتماعي إلى تغيير حياة العديد من الأفراد.سمحت وسائل التواصل الاجتماعي للأشخاص بالتواصل بسرعة وسهولة مع أكثر من مجرد الأشخاص الذين التقوا بهم وصادقوا في الحياة الواقعية ، والآن يمكنهم "الالتقاء" وأن يصبحوا أصدقاء مع شخص ما في جميع أنحاء العالم شخص لم يسـبق له مثيل وربما لم يلتقوا به أبدًا.العالم المادي.هناك العديد من الفوائد للتواصــل التي قدمتها لنا وســائل التواصــل الاجتماعي ، وهناك تداعيات على المزيد في المســتقبل، قدمت وســائل التواصـــل الاجتماعي العديد من الطرق لمكافحة التعدي على الشـعور بالوحدة ، ولكن هل قللت أيضًـا من جودة العلاقات؟إن القدرة على تصـنيع الهوية التي يطرحها المرء على وسائل التواصـل الاجتماعي يمكن أن تمحو كل العوامل التي تعمل على تعميق العلاقات وترسيخها.يركز الناس على ضـمان أن تكون أفضـل الأشـياء في حياتهم فقط هي التي تظهر في ملفاتهم الشـخصـية ليراها الآخرون، وغالبًا ما يبذلون قصـارى جهدهم لإخفاء أو تقليل علامات الضـعف العاطفي أو انعدام الأمن أو الصـراع.عادةً ما تقرب هذه الأشـياء الناس من بعضــهم البعض، لكنها تعمل فقط عندما يتفاعل الناس وجهاً لوجه في العالم الحقيقي،= =وليس على وســائل التواصــل الاجتماعي حيث يريد الناس أن تبدو حياتهم ســعيدة وبدون الكثير من النزاعات.ومع ذلك، هناك أيضًــا طرق إيجابية أثرت بها وسائل التواصل الاجتماعي على العلاقات.

لقد كان للادوات المعلوماتية الحديثة الدور الكبير، في تقليص وإضـــعاف الأطر التقليدية للإســـتعراض بأنها احدثت إضـــطربا بإلغاء الحدود المادية التي كانت في الوقت القريب فقط المســـؤولة عن أي عمل اســـتعراي ترفهي أو خيالي. ومنه أصـــبحت كل الاستعرضات استعرضات إفتراضية[1].(*فليب ريجو، مابعد الإفتراضي.2009 ,pdf*.., ص 147)

ساهمت الشبكة العنكبوتية ببناء شبكة اجتماعية تعتمد على النفاق الاجتماعي العام حيث تخطى هذا النفاق العلاقات الإنسانية التي تعنى في البدء الصدق والحضور معا في كل وقت اجتماعيا، الذي يتطلب لغة الطبيعة، فلم تعد هناك في عالم اليوم علاقة مباشرة بين الأشـــخاص فلا محاولة من وجود آلة تســـير العلاقة وتقوم بصـــناعة الخطاب، وتبنى جعل المغايرة البشـــرية، بوضـــعها الإكتروني، الذي يعتمد على الخطاب عن بعد، والتي تؤول في نهاية المطاف إلى تثبيت الأنانية الفردية، وتوسيع مساحة الفراغ، الفاصل بين الذوات، مما يؤكد في الأخير إلى إنكماش الفضاء الاجتماعي الطبيعي، الذي يصوغ الحضور معا[2].(*نورة بوحناش، البيواتيقا والفلسفة ,pdf*.د.ت, ص 120)

بعد أن انتقلت البشـــرية من زمان الحداثة الصـــلبة إلى زمان الحداثة الســـائلة تحولت العلاقات البشـــرية بشـــكل كبير، خاصـــة ما تعلق العلاقات الدائمة المدى القائمة على الترابط في المجتمعات الســـابقة، لكن في المجتمع الصـــناعي، نلاحظ أن ظاهرة الحب على ســـبيل المثال حســـــب "زيجمونت باومان" مرتبطة أكثر بعلاقات الجيب العلوي، إذ يمكنك أن تحب أي إنسان في الوقت الذي تريده، وذلك بالرجوع إلى المصلحة التي تريدها من ذلك الإنسان.

كما تشـــير الفيلســـوفة الفرنســـية الراهنة أليزا قودرت في كتابها **أنا أوســـيلفي إذن أنا موجود تحولات الأنا في العصـــر الافتراضـــي،** إلى تغير الأنا تغيرا رادكليا جذريا في عصـــر العالم الإفتراضـــي، إلى الإدمان بشكل مفرط على هذا العالم الجديد وهذا ما تؤكده في قولها:"

---

[1]– فليب ريجو، مابعد الإفتراضي (اكتشاف اجتماعي للثقافة المعلوماتية) ترجمة: عزت عامرذ، المركز القومي للترجمة، القاهرة مصر، ط1، 2009، ص 147.

[2]. نورة بوحناش، البوياتقا و الفلسفة، ص 120.

لقد أودعنا زمان العالم الإفتراضي وفضاءه في هواتفنا وحواسنا، فهي أشكال حقيقية تتحكم في المظهر التجربي لوجودنا "[1].(*إليزا غودرت، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود* *pdf,*د.ت, ص 41)

في الوقت الراهن عبر الوسائط الجديدة، ستكون هناك أفعال جديدة ومشاعر جديدة وأذواق جديدة، وروابط جديدة تعاقدية من خلال الشبكات الافتراضية، و بالتالي ستؤسس قبائل جديدة مائعة سائلة متحركة، مغاير للقبائل السابقة[2].(*نيكولا جوزيه، بين الكوني والخصوصي* *pdf,*, ص 2014.370)

أصبح الحب متمديا، قائم على المنفعة والمصلحة والإشباع الفوري الذي غايته التلذذ، ضف إلى ذلك ظهور النزعة الفردية الجديدة التي طغت على معالم الحياة في زمان الحداثة السائلة، حيث تفككت الروابط الإنسانية:" ولدت المخاوف ذات الطابع الحديث أثناء الجولة الأولى من تحرير السوق وسيرورة النزعة الفردية، في وقت إنفكت أو إنقطعت فيه روابط القرابة والجيرة، روابط كانت متينة تعتصم بحبل الجماعة والثقة، روابط كانت تبدو أبدية لكنها عاشت على أي حال، منذ زمان بعيد فكان النموذج الحديث الصلب لإدارة الخوف يميل إلى إحلال الروابط المصنوعة محل الروابط 'الطبيعية' التي دمرت تماما"[3].(*زيجمونت باومان الأزمنة السائلة* *pdf,*د.ت, ص 86)

يعرض لنا في كتابه المشترك باومان مع **تم ماي، التفكير سوسيولوجيا**، في أحد فقراته فكرة واضحة تماما عن الأزمة السائلة في وقتنا الراهن فيقول:" وغالبا ماتوصف الأزمة المعاصرة بأنها متفككة مثلما تفكك الروابط التقليدية للإنتماء الإجتماعي، على سبيل المثال نجد قوة التفاعلات البعيدة عبر وسائل التواصل الاجتماعي تقوض الألفة المباشرة

---

[1] ـ إليزا غودرت، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود، (تحولات الأنا في العصر الإفتراضي) ترجمه: سعيد بنكراد، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2019، ص 41.

[2] – نيكولا جوزيه، بين الكوني والخصوصي(البحث عن البديات طبيعة الثقافة وتشيد الهويات)ترجمه: اياس حسن، دار الفرقد، دمشق، سوريا، ط2، 2014، ص 370.

[3]. زيجمونت باومان، الازمنة السائلة، ص 86.

بيننا"[1]،(*زيجمونت باومان وتم ماي، التفكير سوسيولوجيا* ,*pdf*.د.ت, ص 84) فهذه العبارة عبارة عن رسالة قوية من باومان يؤكد فيها التحول الكبير في العلاقات التى نعشـيها، حيث صـرنا أكثر حضور في العالم الافتراضي على العالم الواقعي.

في كتابه **الحب السائل عن هشاشة الرابط الإنسانية** يؤكد على أن الحب في الوقت الراهن، هو مثله مثل بقية الاستثمارات المادية الاقتصادية الأخرى، وعليه لا يمكن القسم عليه مثل القسم على الأسهم التي اشتراها في البورصة مثلا، ويقسم أنه سيخلص في السراء والضـراء، مثل مقولة((بالاّ يفترقوا حتى الموت))، ولا يمكن لأي شـخص أخر أن يتطلع بأعينه إلى مكان أخر فيه إغواء أفضـل[2] .)*زيجمونت باومان، الحب السائل عن هشاشة الروابط الإنسانية* ,*pdf*.د.ت, ص 49)

مما يبشر مستقبلا بفقدان الروابط القديمة الأصلية التي عمرت لآلاف السنين، وبذلك يذكر "زيجمونت باومان" بالعلاقة الموجودة بين تصدع العلاقات الاجتماعية الحميمة وبزمان الحداثة السائلة المرتبط كثيرا بتطور أجهزة التواصل الرقمية، مما أدى إلى ظهور العلاقات الافتراضـية بين الأفراد، بالإنتقال من العلاقات الاجتماعية الحميمة القريبة الإلزامية وطويلة المدى إلى علاقات إفتراضـية وهمية قصـيرة المدى يسـهل الدخول فيها والخروج منها في الوقت الذي نريده، إذا يستطيع أي شخص بواسطة الوسائل الحديثة البحث عن الحبيب الذي يريده وفي المكان الذي يريده، والتي من أهم خصائصها هي دائما الضغط على الزر إحذف، مما يبين المرونة والأرض الرخوة التي تقوم عليها هذه العلاقة الإفتراضـية المؤقتة[3].-*زيجمونت باومان، الحب السائل عن هشاشة الروابط الإنسانية* ,*pdf*.د.ت, ص 32)

العالم المعاصـر تسـوده مجموعة من الروابط الإنسـانية المحطمة مع مجموعة من الوعود الكاذبة والكلمات المبالغ فيها، حيث نجد مثلا قيمة الخيانة لم تعد مسـألة صـادمة،

---

[1] ـــ زيجمونت باومان وتم ماي، التفكير سوسيولوجيا، ترجمة: حجاج أو جبر، إبن النديم للنشر والتوزيع الشارقة، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2023 ، ص 84.

[2]– زيجمونت باومان، الحب السائل عن هشاشة الروابط الإنسانية، ص 49.

[3]. المصدر نفسه، ص 32.

مثل ما كانت عليه في السابق، الخيانة نتجتها هي غياب الإخلاص في الصداقة أو العلاقة بين الاشخاص، وبالتالي تصبح الخيانة قيمة مركزية في الوقت الراهن، بيمنا الإخلاص في الصداقة تكون في الهامش.[1] (زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل *pdf*,د.ت, ص 127)

تتميز مواقع التواصـــل الاجتماعي الراهنة بالمرونة التامة في الاختيار والحذف التام للشـــخص الذي تريد:" بيد أن الســـمة الأكثر أهمية للشـــبكات هي المرونة غير العادية في مقدرتها على الوصـــول والســـرعة الفائقة التي يمكن من خلالها تعديل تركيبها، فكل مادة من موادها تضاف وتحذف بسهولة تقارب سهولة طباعة أو حذف رقم على دليل هاتف الجوال، روابط قابلة للكسر على نحو لافت هي التي تربط وحدات الشبكة، بسيولة لا تقل عن سيولة هوية المحور "[2]،(زيجمونت باومان، الحداثة الســـائلة دت, ص 166) لذلك نجد أن الحب في زمان الاستهلاك ربما يكون عن طريق مجموعة من الضغوطات الحروب والهجرة والبطالة الفقر:" لقد خلقت الشـــبكات الافتراضـــية بالتأكيد دينامية حقيقية للتجمع، ولكنها من جهة أخرى ساهمت في إثارة الخوف"[3].(إليزا غودرت، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود. ص 41)

في الوقت الراهن كل شـــئ صـــار إفتراضـــيا، حتي العلاقات الحميمة صـــارت دون تلامس عبر المشاهدة، من خلال مضاجعة الخيال، وعشق الصور، عبر التيك توك TIK TOK... أو عن طريق المواعـدة الإلكترونيـة، والموقعـة على الأرض بقوانين العـالم الإفتراضي، بما يحقق رغبة الإشباع، بقدر ما يحقق الأمنية.[4] (الإنسان السائل - ياسر بكر *pdf*,د.ت, ص 285)

مما يجعل الأفراد يدخلون في علاقات معينة، أو عن طريق الأنترنت التي من خلالها تنشأ علاقات بواسطة المصادفة مما ينجر عنها في الأخير عواقب وخيمة:" إن العديد

[1]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 127.

[2]. زيجمونت باومان،الأخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص 166.

[3]. إليزا غودرت، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود، (تحولات الأنا في العصر الإفتراضي) ، ص 41.

[4]. ياسر بكر، الإنسان السائل، بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، ص 285.

من الأشخاص يدخلون مجبرين في الأسر، من خلال أحداث وضغوط خارجية، وليس رغبة في الإختيار الحر، وسواء تشكلت هذه الأسر بطريقة اختيارية أو إجبارية، فإنها تشترك في عامل واحد وهو **"الارتباك"** حيث أن هذه الأسر دائما وأبدا لا تتفق وتصوراتنا الحالية عن الهيكل الأسري، كما أنها لا تتفق وتصوراتنا عن طبيعة الأسرة..."[1]. (*أولريش بيك، الحب عن بعد*, *pdf*.د.ت, ص 2014.19)

يرى أن العلاقات الحميمة والمباشرة بين المحبين قد زالت وتلاشت في ظل التطور الذي تشهده البشرية، حتى أصبحت العلاقات الحميمة المعاصرة تدعم السوق الاستهلاكية فيقول:" تلك الخصوصية الجديدة المكتسبة المفروضة وحميمة اللقاءات المباشرة، الرفيقان المتلازمان في **"الأزمنة المظلمة"** تعززهما السوق الاستهلاكية، فيدعمان الطبيعة المتقلبة للحياة الاستهلاكية التي تقوم عليها السوق الاستهلاكية، ويفيدان من ميوعة الأوضاع والروابط الإنسانية"[2]. (*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 88)

لذلك فالإنسان في هذه العلاقات يمكن أن يخسر شيء، ويربح شيء آخر في الوقت نفسه، من حيث خسارة إنسان وربح وكسب متعة وحرية إختيار البحث عن شخص آخر جديد لتلبية المتعة الاستهلاكية للشخص، ضف إلى ذلك نجد أن الوقوع في الحب والخروج منه عند أفراد الحداثة السائلة يكون في الوقت الذي يردونه ويكون بطريقة أكثر سهولة، الذي أعتبر على شكل موضة بين المحبين في هذا العصر.

ويشير أيضا أن الحب في زمان المتلازمة الاستهلاكية، كثيرا ما يرتبط بمفهوم الخبرة والتدريب المستمر، فكما كان الفرد أكثر تدربا كلما استطاع أن يشكل علاقات حب جديدة و الوقوع فيه فيحدده في قوله:" هذا الاتساع المفاجئ والوفرة الواضحة في**" تجارب الحب"** ربما يعززان الاعتقاد بأن الحب **"الوقوع في الحب والتماسه"** مهارة يتعلمها المرء وبأن اتقانها يزيد

---

[1]– اولريش بيك، الحب عن بعد ــــ أنماط حياتية جديدة في عصر العولمة –، ترجمة: حسام الدين بدر، مشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2014 ص 19

[2]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 88.

كلما زادت التجارب والمواظبة على التدرب، وربما يعتقد المرء" وهو يعتقد في الغالب الأعم" بأنها **"ممارسة الحب"** تنمو بالضرورة كلما تراكمت الخبرة، وأن الحب التالي سيكون تجربة أكثر روعة من التجربة التي يستمتع بها حاليا، وإن لم تكن مثيرة ورائعة مثل تجربة أخرى قد تظهر في المستقبل[1].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 49)

لأن الحياة الراهنة قائمة على المتلازمة الاستهلاكية، لذلك يجب على الحب أن يكون قائما على الاستهلاك والإشباع الفوري والاستعمال السريع، لابد لعلاقة الحب أن تنخرط في هذا المجال أيضا، ثقافة الاستهلاك تعتمد على هذه المنتجات الجاهزة والنتائج التي لا تحتاج إلى جهد طويل مع ضـــرورة التأمين ضـــد المخاطر، لذلك كان الحب، "زيجمونت باومان": "التحلل من قيود العلاقات وإمكانية فك الإرتباط هما دليل أهل هذه المدن في كل علاقة يدخلونها، وفي كل إرتباط يشرعون فيه"[2].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 25)

يبرر باومان هذه السيولة في صفة الحب داخل المجتمعات المعاصرة، التي يسميها بمجتمعات الحداثة السائلة، بالنظر إلى النزعة الفردية التي كانت تعتبر من أهم الركائز التي قامت عليها الحداثة الغربية، والتي أطلقت العنان للحرية الفردية للإنسان، والتي أصبحت من أهم الأعباء الثقيلة التي تعشـــيها المجتمعات المعاصـــرة بســـبب ظاهرة التمرد على مختلف العادات الاجتماعية والتقاليد الأخلاقية الســـائدة، وبذلك ظهرت مجتمعات الأفراد **"المجتمع الفردي"** عوض مجتمعات بشرية، مما شكل لنا مجتمعات مشتّتة تعيش الإنفصال والتشرذم في العلاقات والترابط بين أعضـــائها ويوضـــحها في هذه الفكرة التالية: "هذه المعضـــلات والمشـكلات التي توجدها المجتمعات لأعضـائها تتناغم عادة مع اسـتراتيجيات وأدوات حلها التي تحظي بتأييد المجتمع ، فالنزعة الاســـتهلاكيةإســـتجابة للتحديات التي يمثلها مجتمع الأفراد، ويتلاءم منطق النزعة الاستهلاكية مع إحتياجات الرجال والنساء الذين يجاهدون في

[1]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 49

[2]. المصدر نفسه، ص25.

سـبيل تشـكيل فرديتهم والحفاظ عليها وتجديدها، ولاسـيما القدرة على التعامل مع معضـلة الفردية التي ذكرنها أنفا"[1].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 49)

نجده أيضا يطلق على الحب في زمان الاستهلاك بمصطلح آخر يسميه بتمدية الحب matérialisme والذي يعني جعل الحب ماديا في كل أبعاده المختلفة، نظرا لانشـغالهم بالاهتمام المتزايد بقضاء الحاجات الإقتصادية الاستهلاكية، مما جعل التواصل يكون قاصرا جدا على أوقات معينة ولتلبية حاجات معينة غرضها الاستهلاك،

لذلك كان الحب ضعيفا في أواصييره التي تقلصت في المتع الاستهلاكية فقط، مما غيب فرص التحاور وقطع التواصل:" بينما تتوارى المهارات الضـرورية للحديث والبحث عن فهم مشترك، فإن ما كان تحديا ينبغي مواجهته بقوة وأن يناقش أصبح يتحول بسرعة مبررا للأفراد قطع التواصل فيما بينهم، كي يهربوا ويقطعوا الجسور خلفهم، بانشغال الرجال والنساء بالحصـول على المزيد من المال لشراء أشياء يشعرون أنهم يحتاجونها لكي يكون سعداء، فإنه ليس لديهم الوقت للتعاطف والحوارات المكثفة، وأحيانا الملتوية والمؤلمة والتي تحتاج زمانا طويلا وتسـهلك الطاقة ناهيك عن القرارات، بشـأن سـوء الفهم والاختلافات فيما بينهم"[2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 87)

الفكرة نفسها يوضحها باومان في كتابه الأخلاق في عصر الحداثة السائلة وفيا يبين أن الناس يضـّطرون للعمل لساعات طوال وربما أيام وأعوام، وبهذا فهم يغيبون عن المشـهد البيتي، ويعوضـون ذلك بهدايا تكلفهم مبالغ مالية وبالتالي فهم يقومون بما يسـمه باومان بتمدية الحب[3]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, ص 87)

1– زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 49.

2. زيجمونت باومان، الأخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص87.

3–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2.3.من العلاقات الواقعية إلى العلاقات الافتراضية.

من الأمور التي غيرت حياتنا في القرون الأخيرة مجموعة من الاختراعات، فنجد على سبيل المثال، المحرك البخاري في القرن الثامن عشر، والهاتف في القرن التاسع عشر والحاسوب في القرن العشرين، لكن السؤال الذي يطرح نفسه يتمثل أساسا ماهو الاختراع الأساسي الذي من خلاله سنغير القرن الحادي والعشرين والمستقبل:" أظنه سيكون اختراع روابط لا سلكية تربط أدمغتنا مباشرة بالكترونا خارجة بما فيها شبكات شاملة"[1] (*جيمس مارتن، معنى القرن الحادي والعشرين* ,*pdf*.د.ت, ص 291).

في معظم تاريخنا، إشتمل الاتصال والعلاقات بين البشر على القرب المادي، على الرغم من وجود الاتصال عن بعد مثل كتابة الرسائل منذ آلاف السنين، فقد كان من المفهوم أن يكون له دور ثانوي في التواصل شخصيًا في ظل ظروف القرب الجسدي، ينطوي التواصل مع الآخرين بالضرورة على استخدام حواس خاصة: البصر والسمع واللمس والشم في الواقع، يمكن القول إن درجة العلاقة الحميمة بين الناس تعكس عدد الحواس الخاصة التي يستخدمونها عندما يكونون معًا، كيف يشعر الأشخاص المقربون لبعضهم البعض قد يحدد المسافة المادية بينهم عندما يجتمعون، ومدى إرتفاع أصوتهم أو هدوءهم، وما إذا كانوا يتواصلون جسديًا، وما إلى ذلك[2].(*زيحمونت باومان، الخوف السائل.*, ص 104)

---

[1]– جيمس مارتن، معنى القرن الحادي والعشرين، ص 291.

[2]– في كيفية تعاملنا بوعي أو بغير وعي مع جوانب الاتصال هذه، فإننا بالضرورة نميز بين الناس، وتحديد درجات التخصص، وإعلان مدى خصوصية العلاقة أو علنية كانت كتابة الرسائل تقليديًا شكلاً من أشكال التواصل كان موجودًا بالتوازي مع –ولكن ليس كبديل– لعلاقة جسدية، بالإضافة إلى نقل المعلومات لمصلحتها الخاصة، فإن الرسالة المكتوبة بخط اليد تحمل بالضرورة بصمة فريدة للفرد الذي يكتبها. ككائن مادي مع بعض الدوام ، يمكن جعله شخصيًا بشكل خاص أو فريدًا بأي عدد من الطرق. اتخذت الرسائل الروائح. تحمل بقع الدموع أو الحبر المنسكب؛ وغالبًا ما تحتوي على تذكارات جسدية أخرى، مثل خصلة الشعر ، بواسطة اللغة يجرى تناقل العاطفة التي قامت الرواية بجعلها افتراضية من فم لأخر،

العلاقات الإنســـانية بوجه عام في الوقت الراهن لم تعد مثل الســـابق، مواقع للأمان والراحة والطمائنينة والسكينة والهدوء، بل صـارت مصـدرا خصـبا للقلق، فبدلا من توفر هذه العلاقات الراحة المأمونة المنتظرة: "فإنها تعد بالقلق دائم وحياة يقظة تحترس من الخطر فلن تتوقف إشارات الكرب الوميض ولن تتوقف نواقيس الخطر على الدق"[1].(*زيحمونت باومان، الخوف السائل* *pdf,*.د.ت, ص 104)

وهذا القلق الكبير هو الذي يعبر في أســاســه على الأزمة الراهنة في تهدم الضــوابط الأخلاقية في الوقت الراهن (الحداثة الســائلة)، القلق والعجز من خصــائص هذه المجتمعات الســائلة، خاصــة في تشـكيل معالم جديدة للروابط الإنســانية، لأنه كلما حاولنا بناء وإنشــاء روابط إنسـانية وعلاقات صـداقة مع أشـخاص معينين، كلما إزدادت الشكوك بالغدر والخيانة والخوف الدائم للدخول فيها[2].(*زيحمونت باومان، الخوف السائل.ص* 103)

يمكن اسـتخدام وسـائل التواصـل الاجتماعي للمسـاعدة في ربط الناس، حتى يكونوا أكثر قدرة على التواصـــــل .يمكن أن يؤدي ذلك إلى التخطيط للأحداث في العالم الحقيقي ويمكن أن يساعد في ضمان قدرة المزيد من الأشخاص على المشاركة، مما يؤدي إلى زيادة احترام الذات والصـحة العقلية العامة .يمكن أن تعمل وسـائل التواصـل الاجتماعي أيضًا على ربط الأشـــخاص الذين ربما لم يتفاعلوا أبدًا، من خلال توســـيع الدوائر التي يتفاعل فيها الأشــخاص، يمكن أن تســاعد في تســهيل العلاقات الجديدة التي تتطور إلى العالم الحقيقي مع الإعتدال، يمكن أن تكون وسـائل التواصـل الاجتماعي ذات فائدة كبيرة لحياة الفرد، حيث تساعد على إثراء علاقاتهم القائمة بالفعل وتسهيل النمو المحتمل لعلاقات جديدة.

وبفضـل التقنية، ينتقل الفعل الذي جعلته افتراضـيا من يد لاخرى، وكذلك الشـأن في سـائر العلاقات الاجتماعية الاخرى، إذ يمكننا تنظيم حركة أو تهجير العلاقات الافتراضية.

[1]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 104.

[2]– المصدر نفسه، ص 103.

وعليه نجد أفراد مجتمع الحداثة الســـائلة يلجؤون بشـــكل وأخر وأســـرع من أي وقت مضــى، إلى نوع جديد من العلاقات الاجتماعية للبحث عن الصــداقة، وتتمثل في الشـبكات الجديدة التي ظهرت مؤخرا، بظهور الأنترنت، والذي يســـتطع توفير هذا النوع من العلاقات الاجتماعية الجديدة تتمثل أساسا في وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الهواتف النقالة الجديدة المتطورة التي تجعلك تتعرف على أصــــدقاء جدد في أي مكان كنت[1]،(*زيجمونت باومان، الخوف السائل* ,*pdf*.د.ت, ص 104)

وهذا نوع من أنواع التخدير الذي يعانيه الإنسان السائل في الوقت الراهن ضنّا منه أن هذه الطريقة التي من خلالها يسعى إلى التغلب والتخلص من الخوف والغدر والخيانة في العلاقات الواقعية وينقص من خلالها على الكثير من المخاطر التي تلاحقه.

الإنســـان الســـائل يســـعى باســـتمرار إلى وضـــع كل آماله كلها في الشــبكات لا في الشـــركات، على أمل منه بأن هذه الشـــبكة يســـتطيع من خلالها الحفاظ على بعض أرقام الهواتف النقالة ومواقع بعض الأصدقاء وصفحاتهم، وبذلك يستطيع أن يرسل ويستقبل بعض الرســـائل، فهذه هي الآمال التي يعلق عليها الإنســـان الســـائل أماله في الحياة، وهذه الآمال يلخصـها باومان في قوله:" فهذه الآمال التي يضـعها إنسان الحداثة السـائلة آمال فيها الكثير من المخاطرة، فهي أشـبه بمقبرة للآمال المحطمة والتوقعات المحبطة[2].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل* ,*pdf*.د.ت, ص 104)

من المهم أن نفهم الفرق بين العلاقة الحقيقية ذات المغزى والعلاقة الموجودة بالكامل على وســـائل التواصـــل الاجتماعي، لذلك كانت العلاقات الافتراضـــية هي علاقات جامدة، كالعقود هي كيانات عامة يقع فيها أفراد المجتمع الاســـتهلاكي، وهي عبارة عن ســـلوكيات وقواعد جديدة تتمثل في الافراد الذين ينخرطون فيها لاشـــعوريا، وبذلك تفضـــي الســـيرورة الاســـتهلاكية في العالم الافتراضـــي إلى علاقات شـــيئية، وبذلك تندثر العلاقات الواقعية

---

[1]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 104.

[2]. المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

والثقافات الإنسانية السابقة بسبب التقوقع الافتراضي، كالدين والأخلاق والقانون والسياسية والاقتصاد...[1].(*بيار ليفي، عالمنا الافتراضي* ,*pdf*.د.ت, ص 94)

يمكن لوسائل التواصل الاجتماعي تغيير موقف الناس وإشراك حياتهم في مواقع الشبكات الاجتماعية هذه،.يجب على الأشخاص تحديد المدة التي يقضونها في الشبكات الاجتماعية ومدة إحتضان الروابط البشرية:" إن الإنشار السريع لكل من تويتر والمدونات التي تدعو الناس إلى الخروج إلى الشوارع والميادين العامة هي مثل أخر على الازدواجية نفسها فما كان مجرد بروفيه لفظية بداية الأمر في الفاس بوك و توتير صار واقعا يعيشه الناس، ولم يفقد السّمات التي جعلته عزيزا غاليا، عندما كان يمارس على الشبكة الإلكترونية، ألا وهو القدرة على الاستمتاع بالحاضر دون رهن المستقبل، حقوق دون واجبات" [2].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 67)

عندما تأسس الفايس بوك سنة 2004، كان في البداية عبارة عن موقع إجتماعي غرضه هو تعزيز وتطوير شبكة العلاقات وتطوير وسائل التواصل بين المستخدمين، مع مختلف زملائهم، من خلال السعي باستمرار إلى تكوين علاقات وصدقات جديدة، من خلال التشارك المستمر في الأفكار، ولكن مع تعاظم وتنامي هذه الوسيلة الجديدة تحول إلى مجتمع الأخبار، حيث تشارك الناس في نقل وتوصيل الأخبار يوميا[3].(*لي مكانتير، مابعد الحقيقة* ,*pdf*. 2022ص.103)

تعزز وسائل التواصل الاجتماعي النرجسية لدى الأفراد العاديين وتشجع التضخم النرجسي لدى أولئك الذين يمتلكون بالفعل سمات المجموعة ب. ما هو أفضل منفذ للأشخاص المهووسين بأنفسهم من التحدث عن أنفسهم، في كثير من الأحيان بأكثر الطرق تافهة التي يمكن تخيلها، لأكبر عدد ممكن من الناس؟ وجود العديد من "الأصدقاء"، أو

---

[1]. بيار ليفي، عالمنا الافتراضي، ص 94.

[2]. زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 67.

[3]ـــ لي مكانتير، مابعد الحقيقة، ترجمة: جحاج أبو جبر، دار معنى للنشر والتوزيغ، الرياض، المككلة العربية السعودية، ط1، 2022، ص 103.

قبولك "كصــديق" أو جهة إتصـــال، أو ذكرها في مشـــاركات الآخرين – كل هذا يســتدعي الحاجة إلى الظهور بمظهر مهم أمامنا و أمام الآخرين، أن تكون محبوبًا أو محترمًا هو ميل بشري طبيعي. ومع ذلك، في حين أن المبالغة في هذا الاتجاه في العالم المادي تصبح مرئية للغاية ومزعجة للآخرين، مما يوفر تأثيرًا محدودًا، في العالم الإفتراضـــي، يتم تشـــجيعه ومكافأته، نظرًا لأن منشورات وسائل التواصل الاجتماعي مخصصة لعدة أشخاص.

عندما يغترب الإنسان عن ذاته، فإنه يؤثر على الواقع وعلى الآخرين، في ظل الواقع الافتراضي الذي يحيا فيه الإنسان السائل والذي يفصله عن الواقع الحقيقي، يتحول هذا الفرد من كائن إنفرادي يعرف إنفصال عن ذاته أولا وعن مجتمعه ثانيا، وبذلك يكون إنفصام في الشخصية، لأن الواقع الافتراضي الجديد جعله يتوهم ويشعره أنه يعيش ويتواصل معهم، في حين لا يحقق فعليا ولو جزءا بسيطا من ذلك التواصل، فهو يعيش عالما وهميا يتواصل فيه مع أشخاص إفتراضين، وبذلك ينتقل الإنسان من العلاقات الاجتماعية البسيطة إلى العلاقات الافتراضية المعقدة، وبه يظهر القلق الوجودي في الإنسان المعاصر الذي يعبر عن إحدى الشرور التي تعاني منها بشرية القرن الواحد والعشرين[1].(*سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار*, *pdf*.د.ت, ص 25)

العالم الافتراضي المعاصر ساعد على تفتيت الوجبات السابقة للإنسان خاصة منها الدنية والأخلاقية والاجتماعية، فمنظومة القيم تغيرت بشـــكل جذري، لأن العلاقات القديمة التقليدية القائمة على التراحم والمحبة ....، تحولت إلى علاقات إفتراضية غاتيها هي الإشباع الفوري للرغبات والنرجســية الفردية، فقدت فيها الروح المباشــرة للتواصـــل إلى روح إنغلاقية جديدة قتلت من طبيعة العلاقات الإنسانية، فأصبح الواقع مزيفا بسبب الإنكماش على الواقع الافتراضـــي في العلاقات وبذلك مات العلاقات:" فبينما كان الفكر ينهى الواقع ذهينا، تقوم التكنولوجيات الحديثة بإنهائه واقعيا[2]. (*جان بودريار، التبادل المستحيل**pdf*., ص 54-55)

---

[1]. سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عن جان بودريار ، ص 143,

[2]. جان بودربار، التبادل المستحيل، ص ص54-55,

هناك نقطة أساسية يشير إليها باومان تتمثل فى العلاقات الإفتراضية التي تشكل خطورة كبيرة، والإنسان يتعامل مع هذا النمط من العلاقات مثلما يتعامل مع الأشياء المادية الأخرى، والشيء الذي لا يرضيه اليوم أو في هذه الساعة سيقوم بساتبداله مباشرة، فيشبيها بالكرسي المريح والمزعج:" الخطورة العظمي من ذلك النمط من العلاقات هي باتت تتماثل مع الطريقة التي تتعامل بها مع الموجودات الدنيوية التي تنتظر من ورائها منفعة مؤكدة – نحن في العادة مثلا – لا نتعهد بتكريس شغفنا الكامل بكرسي ما، إذ ليس ثمة مسوغ يجعلني أتعهد بإبقاء ذلك الكرسي في عهدتي حتى يوم مماتي، وما يحصل في العادة هو أنّني متى لم يعد الكرسي ملائما لي فإنني أبتاع واحدا غيره، تلك ليست بالعملية الواعية، بل صارت الطريقة التي تعلمنا أن نتعامل بها مع العالم والكائنات الإنسانية الأخرى"[1].(*قوة الكلمات ل نخبة من المفكرين 2* ,*pdf*.د.ت, ص 18)

تطور الأنترنت ساعد بشكل كبير وواسع جدا في تطوير العلاقات الإنسانية وخلق عالم جديد، تتوفر فيه الحرية الفردية في ممارسة كل ما يمكن ممارسة من علاقات، غير موجودة في الحياة الواقعية العادية الاجتماعية، وذلك لغياب الرقابة الاجتماعية على بعض التصرفات والسلوكيات في الحياة اليومية، ويشير إلى هذه الفكرة بشكل واضح في كتاب الرقابة السائلة:" لا بد من التحليل الواضح للحقيقة البسيطة الخاصة بالاستقلال التكنولوجي، في أي تحليل إجتماعي له مقدرة تفسريه عالية، فكثير من العلاقات تتم في جانب منها – أو كلها– على الأنترنت حتى أن علم الإجتماع من دون الفيس بوك وغيره ليس كافيا فبصرف النظر عما يفعله الجيل القديم بالفيس بوك، فإن هذا الموقع صار بسرعة وسيلة أساسية للتواصل – وسيلة إتصال – كما يقول الفايس بوك نفسه هو أحد أبعاد الحياة اليومية لملاين الناس"[2].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*., ص 55)

---

[1]. نخبة من المفكرين والفلاسفة، قوة الكلمات، ص 18.

[2]. زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 55

تشير هذه العبارة إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي خاصة الفس بوك الذي حقق رواجا كبيرا في الوقت الراهن، غير من خريطة العلاقات الإنسانية من علاقات واقعية اجتماعية إلى علاقات افتراضية جديدة تقوم على وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، التي تتماشي مع عالم الاستهلاك المتغير الذي يجعل الأفراد في الحياة يتغيرون ، بطريقة ملتوية وذلك من خلال كسر كل الحواجز والقوانين الاجتماعية المختلفة كالدين والأخلاق... وهذا ما عبر عليه:" ولكن بسبب الوهم الاستهلاكي تبدوا كل الامور آمنه، فالفرد يدخل الموقع بضغطه إلكترونية واحدة، ويخرج منها بضغطة إلكترونية أخرى، ويتصور الفرد المسلح بأداة التحكم الإلكتروني، في أن إتصالته الإجتماعية واقعية تحت سيطرته الكاملة المطلقة، ويبدو أن كل العوائق المعتادة قد اختفت وإنفتح عالم الإمكانيات اللانهائية، الفرد على الأنترنت هو أشبه بطفل أطلق له العنان في أحد محلات الحلوى".[1](*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة* .د.ت, ص 65)

الروح الاستهلاكية في الوقت الراهن، دفعت بشكل كبير لتكريس ما يسمى بالوهم الاستهلاكي بين أفراد المجتمع الاستهلاكي، حيث يتصور الفرد أنه يمكنه شراء الأفراد إلكترونيا ومثل شراء السلع في الواقع الاجتماعي:" إن الخيار الأول يأتي على غرار الوهم الاستهلاكي، إنه يأمل بإقناعنا، بأننا يمكننا أن نختار رجلا أو امراءة بالطريقة نفسها التي نختار بها نوعا من الزبادى في المجال التجاري الكبرى، ولكن الحب ليس سائلا ذلك فالحب لا يمكن اختزاله في نزعة استهلاكية، وقد يكون ذلك الأمر جيدا، فالاختلاف بين الرجل والزبادي، هو أن المرأة لا يمكن أن تدخل رجلا في حياتها وتتوقع أن كل شيء سيظل كما هو "[2].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*, ص 65)

وسائل التواصل الاجتماعي أتحت للإنسان الكثير من الامتيازات لكنها بالمقابل أصبحت أكبر الشرور التى تمارس القهر على الإنسان المعاصر، فاستبدلت العلاقات

---

[1]. زيحمونت باومان، المراقبة السائلة 65.

[2]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الحميمة بين الأفراد واقعيا إلى علاقات حميمة جديدة عبر تلك الوسـائط، حيث ماتت العلاقات الإنسـانية في كل ابعادها:" ثمة اختلاف كبير وعميق وسـحيق بين إحسـاس الإحتضـان والنكز على الفيس بوك... بين مظاهر القرب على الأنترنت ونموذجه الأصـلي خارج الأنترنت، بين العمق والضـحالة والسـطحية، والدفيء والبرودة والأحاسـيس القلبية و الأفعال الآلية، أغلب الظن أنك ستواصل الإختيار ومن الصعب عليك إجتناب الإختيار"[1]. (زيجمونت باومان، *المراقبة السائلة*, *pdf*,د.ت, ص 59)

أصبحت العلاقات الافتراضية هي الأكثر حضورا في المجتمعات الراهنة، فكل شيء يمكن أن يشكل علاقة إفتراضية في الوقت الذي يريد عن طريق إستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك من خلال الإعتماد على الكثير المعاير وفق دفتر الشـروط التي يحددها ذلك الشخص:" المواعدة الإلكترونية تنطوي على محاولة لتعريف الخواص الإستثنائية المميزة التي تعكس بأفضل ما يمكن أن يكون توفير الشريك المنتظر ورغابته، إذا كان في العادة يتم إختيار الشركاء المرشحين تبعا لاعتبارات الشعر، أو لون الجسد، أو الطول، أو الشكل العام، أو حجم الصـدر، أو العمر أو الرغبات والهويات والأمور المحبوبة والممقوتة، إن الفكرة الكامنة وراء هذه الإعتبارات هي أن الشـخص المعنى بالحب، (الشـريك المحتمل المفترض) يمكن تجميعه في جملة مواصفات جسدية أو اجتماعية، قابلة للقياس وفي خضم تلك العملية يتم نسيّا البعد الأكثر أهمية بين كل هذه الاعتبارت – الشـخصـية الإنسـانية ذاتها–"[2]. (*قوة الكلمات ل نخبة من المفكرين* ,د.ت, ص 18)

إن هشـاشـة الروابط الإنسـانية هي السـمة المميزة، التي تميز المجتمعات السـائلة في مجتمع الحداثة السـائلة، من خلال فكرة الانشـطارية والتشـظي الكبير للروابط بين الناس، والقطع المسـتمر في للروابط، وهي عبارة عن تذكير مسـتمر بالفناء، وبالتالي كل الأفراد في

---

[1]– زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 59.

[2]. نخبة من المفكرين والفلاسفة، قوة الكلمات، ص 18.

الوقت الراهن يعيشـــون هذا الهاجس، من خلال فقدان الرفيق والإنفصـــال عنه في أية لحظة[1]. (زيجمونت باومان، الحياة السائلة pdf, د.ت, ص 84)

والسبب الكبير وراء هذه العلاقات الافتراضية هي البحث عن السعادة التي فقدنها في الواقع الاجتماعي، لذلك نجد أغلب أفراد المجتمعات يلجؤون وراء هذه العلاقات من أجل التســتر، وإخفاء الإخفاقات الواقعية من خلال التعامل المباشـــر مع الأفراد، ومن هنا كانت محاول البحث عن السعادة في مكان أخر والدخول والخروج منها يكون أمرا سهل دون وجود تبعات مختلفة:" نحن ننغمر في أجواء العلاقات لأنها تعدنا بالرضا والسعادة، وعندما نشعر أن شــريكا جديدا يمكن أن يكون مصــدر ســعادة ورضــا أعظم من شــريك قبله، فإننا نبطل علاقتنا القديمة لنخوض واحدة جديدة، لنلاحظ أن البدء بعلاقة جديدة يتطلب موافقة شركين، في حين أن فض شــراكة قائمة يتطلب رغبة شــريك واحد فقط فحســب، والنتيجة ســيعيش الشريكان في خوف دائم من إمكانية إقدام الشريك على فض الشراكة من جانبه ورميه جانبا مثل سترة عنقية باتت لا تتلاءم مع الموضة السائدة"[2]. (قوة الكلمات ل نخبة من المفكرين 2 pdf, د.ت, ص 19)

انطلاقا من طغيان الطابع المادي للموجة الثانية للحضـارة الغربية **"الحداثة الصلبة"** التي اختزلت الإنســـان في البعد المادي الأحادي، ملغيا في ذلك جوهر الإنســـان الروحي والأخلاقي، وبهذه الرؤية دخل الإنسان المعاصر عالم التشيؤ والاغتراب وأصبح الإنسان غارقا فيه، وأصبحت لغة المادة هي لغة التواصل في هذا العصر.

وأصبحت العلاقات الإنسانية هشة قائمة على شكل صفقات تجارية تعاقدية، ويؤكد "الفين توفلر" ذلك في أهم كتبه" حضـــــارة الموجة الثالثة" حول طبيعة هذه العلاقات بين البشرية ويقول:" حيث أصبحت العلاقات الشخصية والروابط الأسرية والصداقة والروابط الاجتماعية مصالح ذاتية...، انكماش العلاقات الإنسانية إلى صيغ اقتصادية جامدة، ليست

---

[1]– زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 84.

[2]. نخبة من االمفكرين والفلاسفة، قوة الكلمة، ص 19.

حكرا على النظام المرجعي الرأسمالي، أن هذا الأمر انعكاس لدور السوق الرئيسي في كافة المجتمعات التي إنفصم فيها الإنتاج عن الاستهلاك"[1]. (*ألفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة* *pdf,*د.ت, ص 51)

كما يضيف أيضا "ألفين توفلر" مصطلح آخر يدل على هشاشة العلاقات الإنسانية في المجتمع الإفتراضي وهذا المصطلح يتمثل في"الموقوتية"* المرادفة "للتخلص السريع للعلاقات"، ليؤكد ذلكفي الفقرة التالية:" إن عقلية التخلص من الأشياء تتكون لدينا لتتلاءم مع منتجاتنا سريعة الاستهلاك، هذه العقلية تخلق بين الأشياء الأخرى مجموعة من القيم المعبرة عن تطور جذري في النظرة إلى الملكية، ولكن إنتشار الاستبدادية في المجتمع يتضمن أيضا تقاصر علاقة الإنسان بالأشياء فبدلا من أن نظّل مرتبطين بشيء واحد لمدة طويلة نسبيا فإننا نرتبط مدة قصيرة بعدد متتابع في الأشياء البديلة"[2]. (*ألفين توفلر صدمة المستقبل،* *pdf,*. ص 64)

وسرعة التغير التي يشهدها العالم المعاصر اليوم نتجت لنا ما يعرف بالصدمة على مستوى الفرد وذلك بمصطلح الإنسان المضمن، وهو الشخص القابل للتبديل والتغير وذلك بتطبيق مبدأ الاستبدالية مثلما أصبحت الأشياء والأمكنة تمر في حياتنا اليومية بسرعة رهيبة فذلك هو الأمر نسفه عند الناس.

بمعنى أن علاقتنا مع الناس تتم بسرعة لا تتيح الفرصة لإقامة علاقات شخصية متنوعة، ويضيف أيضا حول تعريفه لفكرة الزوال في قوله:" الواقع أننا نستطيع أن نعرف الزوال تعريفا دقيقا باصطلاحات تنتمى إلى المعدلات التي تتحرك بها علاقتنا، إنه قد يكون

---

[1]. الفين توفلر: حضارة الموجة الثالثة، ص 51.

*ـــ مصطلخ يقصد به الفين توفلر عن العلاقات سواء بين الافراد فيما بيمهم أو الافراد مع الاشخاص، وهي علاقة تدوم وقت قصير جدا و لاتدوم طويلا لمدة طويلة مما يدل على عدم وجود علاقات وطيدة قوية ميتته.

[2]. الفين توفلر: صدمة المستقبل ، ص 64.

من الصـعب إقامة البرهان على أن المواقف أصـبحت تسـتغرق في المرور خلال خبراتنا أقل من ذي قبل"[1].(*ألفين توفلر صدمة المستقبل*، *pdf*, د.ت, ص 48)

فكرة الزوال تعبر عن هشاشة الروابط الإنسانية مباشرة داخل مجتمع الموجة الصناعية الثانية:" ومن ثم فإن الزوال، تعنى إختزال علاقات الإنسان، وإنما له أيضا ظله داخل أنفسنا، إن المكتشفات الجديدة للتكنولوجيا والأوضاع الاجتماعية في العالم الخارجي تتفجر في حياتنا في شكل معدلات من التغير مطردة الزيادة – في شكل دوامية للعلاقات أقصر فأقصر ... وأخيرا فإنها تعد المسـرح لذلك المرض الاجتماعي العضـال المدمر[2].(*ألفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة* *pdf*,. ص 53)

كما يتحدث "الفين توفلر" عن العلاقة الانفصـالية بين الإنتاج والاسـتهلاك في كثير من كتبه والتي يعتبرها من أهم السمات التي سيطرت على حضارة الموجة الثانية "الصناعية" و التي من خلالها تكرسـت عقلية العلاقات التعاقدية بين الإنسـانية في كثير من التعاملات فنجده يبرر ذلك في قوله:" طلاق الإنتاج والاسـتهلاك الذى أصـبح علاقة مميزة لمجتمعات الموجة الثانية الصـناعية، أثر أيضـا على العقول والنفسـيات ومبادئ الشـخصـية، إذ أصـبح السـلوك جهازا لعقد الصـفقات، وبدل المجتمع القائم على دعائم الصـداقة والقرابة والتحالفات العشائرية أو الإقطاعية، قامت في نهضة الموجة الثانية حضارة في أساسها الروابط التعاقدية الضمنية أو الظاهرية وحتى الأزواج يتكلمون اليوم عن العقود المادية، هذا الصراع القائم بين دوري المنتج والمسـتهلك أدى إلى ظهور الشـخصـية الازدواجية"[3]. (*الفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة*,*pdf*. , ص 53)

الإنسـان في المجتمع التقليدي كان يعيش داخل شبكة من علاقات القرابة، حيث يدين بالولاء لأعضـاء جماعته مهما كانت هذه الجماعة، وكل التحركات والأفعال والعلاقات التى

[1]– المرجع نفسه، ص 48.

[2]. الفين توفلر، حضارة المستقبل، ص187.

[3]– الفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ص 53.

يبنيها، التي يصــدرها هذا الشــخص، يكون في نطاق المرجعية الدنية والأخلاقية الثابتة لذلك المجتمع، لكن في الدولة العلمانية الســائلة المطلقة تتحرك وفق نموذج واحد، فهو إنســان ذو بعد واحد مختلف تمام الاختلاف عن إنسان المجتمع التقليدي (*عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة*pdf. ج2, ص 22).

لذلك كان المجتمع الجديد، الذي هو مجتمع الشـبكات الافتراضـية، هو مجتمع يتسم بالصــرامة وكان مجتمعا محكما بطريقة أكثر عمومية من المنطق العســكري، للتحكم فيه من خلال السيطرة الكبيرة عليه[1].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,pdf.د.ت, ص 117)

ويذهب إلى حد بعيد في الأزمة التي سـببتها حضـارة الموجة الثانية الصـناعية، بأنها حضــارة لم يكن لها مثيل في هذا التغلغل المادي حتى في العلاقات الروحية بين الأفراد لذلك يوجد نوع من الخلل في نظام الموجة الثانية الصـــناعية الذي غير كثيرا من المعالم البشــرية على مســـتوى العلاقات الفطرية بين البشـــر، وخلقت هذه الموجة نوع جديد من العلاقات الشـاذة القائمة على الإشباع المادي الذي لا تراعي خصـوصـيات الطبيعة البشـرية في قوله: "إن نظام الموجة الثانية في أزمة نجدها في نظام الرفاهية الاجتماعية وفي نظم المســاعدات الصـــحية وفي نظم المدن وفي النظام المالي العالمي... وحتي في نظام الوظيفة أو الدور الذي دمج الحضـارة الصـناعية هو في أزمة، وهذا ما نراه في النضـال لإعادة تعريف الأدوار الجنسية في حركة المرأة، في المطالبة بالاعتراف الشرعى والقانوني بالشـذوذية الجنسـية، في انتشــار الأزياء للجنسـين، وكذلك في الإنهيار الاجتماعى الواســع الذي يؤكد أن: "لا يمكن للمجتمع الاسـتهلاكي إلا أن يكون مجتمع الإسـراف والتبذير، ومن ثم فهو مجتمع الفضــلات والنفايات، فكلما كانت ظروف الفاعلين مائعة ، كلما إحتاجوا إلى موضوعات إستهلاك كامن

---

[1]. روبرت جس، الإعلام والسياسة ومجتمع الشبكات، ص 41.

للحماية من الخســـائر وتأمين افعالهم من مصـــائب القدر" [1] لبنية الوظائفية التي اعتمدت عليها الحضارة الصناعية"[2].(*ألفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة*. ص 136)

4.الرقابة المعاصرة وتفكيك العلاقات الإنسانية وتزايد الخوف[3]

في كتابه La Vie Liquid الحياة السائلة، يصف باومان مجتمعاتنا المعاصرة بأنها أكوان بلا معالم، بدون هياكل حقيقية، باستثناء تلك الخاصـة بالحركة الدائمة، مثل موجات الكون السائل، الحياة بكل مظاهرها (المهنية، العاطفية، أوقات الفراغ، الأسرة، الثقافة) تخضع للوقت والاستهلاك.

يجب أن يختفي كل شيء بسرعة لإفساح المجال لشيء جديد (مفهوم، منتج، عاشق عمل، هوية، إلخ). هذا هو عهد الإقصـاء، لأن كل شـيء يُرمى به شـيء جديد. كلما كان الاستخدام أقصر، كلما كان ذلك أسرع، كان ذلك أفضل: تم تسهيل حركة التدفقات، وتحول الاقتصاد، في هذا المجتمع يتم تجسيد الإنسان دون خجل، باسم التقدم والكفاءة الاقتصادية، من المهم إذن، أن تكون في السـباق، دون إخفاقات، " ان تكون كفؤ"، وقابل للتكيف وقابل للتعديل، وقابل للتحول حسب الرغبة مع خطر أن تصبح "نفايات" ليتم استبدالها.

---

[1]– زيجمونت باومان: الحياة السائلة، 117.

[2]. ألفين توفلر: حضارة الموجة الثالثة، ص 136.

[3]. من هذا العصر السائل والعلاقات الإنسانية العابرة في زمن اللايقين، يخرج "باومان" بنقد آخر للحداثة في مرحلتها السائلة بخصـوص الخوف الذي يحياه إنسـان العصـر الحديث، فيعرض لنا كتابه "الخوف السـائل"، الذي يخبرنا بأن العهد الذي قطعته الحداثة على نفسها بتحرير الإنسان من الخوف، لم يتم فقط نقضه، وإنما تم توزيع هذا الخوف نفسه على الأفراد، بدلا من الدولة. فهؤلاء الأفراد الذين سـقطوا في سـجن الخوف، بعد أن وعدتهم الحداثة بتحريرهم منه، صـاروا يشـعرون بالتهديد الدائم من المسـتقبل والخوف المسـتمر من مصـيرهم المجهول لما أدّت له السـيولة من سـرعة في الاسـتهلاك والاسـتبدال. ويفصّـل الكتاب تلك الأطروحة من خلال سـتة فصـول، هي على النحو التالي: الخوف من الموت، الخوف والشـر، الهلع مما لا يمكن إدارته، أهوال العولمة، إطلاق عنان الخوف، والتفكير في مقابل الخوف (خلاصـة غير نهائية للحيارى

إن الأزمة الحقيقة في العصر الراهن، تتمثل في الأساس في السيطرة التي يتعرض لها المجتمع من خلال المراقبة الشاملة والمتزايدة من خلال الاستخدام الدائم لوسائل التكنولوجيا التي تفرض الرقابة باستمرار علينا، التكنولوجيا الراهنة شئنا أم أبينا لا تطلب الآراء الخاصة لنا من خلال استخدمنا لها، ومجرد رفض إستخدام هذه الوسائل في حد ذاته يلقي بالفرد خارج أسوار المجتمع، ويعيش في الهامش بعيدا عن المركز، حيث لا يحق له المشاركة في الحوار والنقاش، وبه تكون قوة الدولة وهيمنتها على الأفراد من خلال الاستخدام الدائم لوسائل المراقبة وأجهزة الاستخبارات، والتجسس المستمر على الأفراد، ولن يتحقق كل هذا إلّا من خلال استخدام الأدوات التكنولوجية المتقدمة[1]. *(زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل, pdf*,د.ت, ص 34)

تعتبر المراقبة من أهم الوسائل المستخدمة في القديم من أجل الانضباط والتحكم المعاقبة، لتكريس النظام داخل المجتمعات الإنسانية، لأنها هي الخيار الأفضل والأمثل من أجل متابعة الأفراد في كل مكان، وعليه فعملية المراقبة، تختلف من عصر إلى عصر أخر أو من مجتمع إلى مجتمع أخر، لكن الغاية واحدة، تتمثل في التحكم في الأفراد، وخدمة السلطة، والتقليل من تحرك الأفراد، وتحقيق اللحمة الاجتماعية، وتحقيق الاستقرار، وخلق نظام جديد يسمي بنظام السيطرة الاجتماعية.

مثلما يؤكد على أن التكنولوجيا بشكل عام الأنترنت بشكل خاص، غيرت من ملامح الحضارة المعاصرة، التي ساهمت من جهة في تطوير الإنسان والرقي والتقدم ... لكن من جهة أخرى لديها الكثير من الإفرازات والتي من بينها نجد ظهور ما يسمي بمجتمع الخوف، وساهمت الانترنت في زيادة المراقبة والضغط على الأفراد في شتى المجالات.

وأغلبية الأفراد أصبحوا ينخرطون في الأنترنت بشكل تلقائي، مما يسهل على السلطات مراقبة الافراد وحياتهم الخاصة، وهذا ما صرح به في الفقرة التالية:" إنّ مجتمع

[1]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل، ص 34.

الأنترنت هو مجتمع يستحوذ عليه الخوف، وصار مكانا مثاليا لكل ما يتعلق بصناعة الخوف والإثارة الممنهجة للذعر والهلع، إنه يبرز ويكشف صعود التكنوقراطية المرتدية قناع الديمقراطية، وفي الوقت نفسه فإن مجتمع الأنترنت هو المجال العام يغذى تلك المكونات الضرورية للتكنوقراطية ويرعاها بإعتبارها أداتية ومنفصلة عن القيمة في كافة تجاليتها"[1].

(زيجمونت باومان، *الشر السائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 35)

إن المدنية الحديثة بتكنولوجيتها المتقدمة تواجه العلم والتقنية والعمل والسياسة وكذلك الفلسفة نحو مصالحها، وفي مجتمع الإنجاز يرفع مستوى الانتاج الاقتصادي مما يدفع إلى إنتاج مواد استهلاكية أكثر من الحاجة، وهو بذلك ينتج تفوقا غير إعتيادي على الناس، حيث تصبح السلطة وكذلك الجهاز التكنولوجي أكثر قوة وتسلطا وقهرا، ويصبح الفرد بموجب ذلك ملغى من طرف وقبل الجهاز الذي يخدمه، وبهذا يرتفع الشعور بالعجز أمام هذا الجهاز، وبذلك تقوى سهولة إنقياد الافراد عن طريق المواد الاستهلاكية وذوبانه في الثقافة التي ينتجها[2].(*ابراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة.2012*, ص 161)

والمراقبة في زمان المتلازمة الاستهلاكية، تعتمد في الأساس على كل وسائل التكنولوجيا، خاصة الأنترنت بشكل كبير، ولا تكتفي فقط بمراقبة المستهلكين، من خلال الإغراءات المستمرة والدائمة بالهدايا والمكافاءات للمستهلكين، لكنها تتعدى هذه المهمة في مهمة أخرى تتمثل في إقصاء كل الأفراد الذين لا يتمثلون للتوقعات الاستهلاكية[3].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*,*pdf*. , ص 125)

إن المراقبة هي أحد الأبعاد الأساسية في العالم الحديث والراهن، وذلك من خلال اعتماد اغلب البلدان على هذه السمة الأساسية، وذلك من خلال مراقبة جميع الناس في حياتهم اليومية، وفي أغلب تفاصيل حياتهم، فالكاميرات أصبحت من المناظير المألوفة في

---

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل ، ص35,

[2]. ابراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة ومابعد الحداثة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 161.

[3]– زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 125,

الأماكن العامة والخاصـــــة، فهي لا تقتصـــــر على لندن نيويرورك، بل نجدها في نيودلهي شنغهاي. وريوديجانيروا...[1]. (زيجمونت باومان، المراقبة السائلة *pdf,*د.ت, ص 25)

ويشير زيجمونت باومان في كتابه الشر السائل بعبارة صريحة تؤكد على فكرة أساسية تتمثل أنّه في الوقت الراهن، تغيرت طرق ووســائل المراقبة عكس ما كانت عليه في الســابق فيقول بذلك:" لقد مضـى العهد الذي كانت فيه أجهزة الاسـتخبارات والشـرطة السـياسـية تعمل بجد لإنتزاع الأسـرار وإراغام الناس على كشـف تفاصـيل حياتهم الخاصـة، بل وأدق تفاصـيل حياتهم الشـخصـية، وعلى أجهزة الاسـتخبارات هذه الأيام أن تشـعر بالابتهاج وانعدام الحاجة إليها في أن معا"[2]. (زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل *pdf,*د.ت, ص 33)

الإنســـــان الســـــائل في وقتنا الراهن، مراقب طوال اليوم، من خلال منصـــــات الرقابة المتطورة، ولعل أبرازها نجد أدوات الإتصـــــال الإجتماعي التي باتت النافذة التي يطل من خلالها العالم، ومن جهة أخرى وفي الوقت ذاته يطل العالم عليه، وهي معادلة تؤكد على الإختراق الدائم لواسـائل الاتصـال مثل الكاميرات الهواتف المحمولة وكاميرات جهاز اللاتوب لمراقبة وتتبع خطوات الأشـــــخاص في كل الأمور التي يفعلونها، ويتتبعونهم خطوة بخطوة[3]. (الإنسان السائل - ياسر بكر *pdf,*د.ت, ص 308)

ويذكر لنا باومان ظاهرة أخرى منتشرة في الوقت الراهن بشكل واسع ومنقطع النظير، تتمثل في غرس الخوف، ومجتمع الأنترنت الذي عمل بشـــكل رهيب على غرس الخوف، والذي اسـتحوذ على جميع أفراد المجتمع الاسـتهلاكي المعاصـر، وصـارت الأنترنت المكان الأساسي الذي من خلاله يتم غرس الخوف، وجعل حياة الأفراد قائمة على الذعر عن طريق الإثارة الممنهجة للذعر والهلع، داخل الأفراد المنخرطين فيه.

---

[1]. المصدر نفسه، ص 25,

[2]– زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 33.

[3]. ياسر بكر، الإنسان السائل، بين ايماضة التاريخ ونظرية السوائل، ص 308.

الخوف السائل Liquid Fear هو خوف دون مصدر واضح ، خوف مشتق ناتج عن "رؤية داخلية للعالم تشتمل على إنعدام الأمن والضعف؛ ويلاحظ باومان أن مثل هذه الحالة "حتى في حالة عدم وجود تهديد حقيقي" ستؤدي إلى رد فعل مناسب لوجود خطر حقيقي، وهكذا يكتسب الخوف المشتق "قدرة ذاتية الدفع"، ويفصله عن سببه المفترض، تستخدمه الدولة لإجبار المواطنين على طاعة مقابل الحماية المفترضة ضد التهديدات لوجودهم في الحداثة السائلة، لم تعد الدولة قادرة على الوفاء بوعدها بحماية الناس بشكل فعال لأن الإستقرار الاجتماعي الذي تعتمد عليه مطالباتها قد تآكل بسبب عدم اليقين في الرأسمالية العالمية، وفي نفس الوقت أنتجت عدم المساواة في هذا النظام سياق التهديدات الجسدية للسلامة الشخصية في شكل ما يسمى بالعنف الإرهابي.

يحلل في كتابه **الخوف السائل** أساليب الدولة في استخدام ثقافة الخوف المنتشرة، ولكن المنفصلة لضمان السلبية الاجتماعية وبالتالي تأمين الوضع الراهن.

ولم تعد فكرة التقدم توحي بالآمال الكبرى والأحلام الجميلة، بل صارت تشير إلى معانات كثيرة للإنسان الراهن، بل تحولات إلى معانات من الأرق وصارت كوابيس الخوف عن الركب في هذا المجتمع السائل في فقدان القطار والتأخر، وحتى الخوف من السقوط من هذه المركبة التي تسير بسرعة فائقة، فهو مجتمع الخوف من السرعة التى تجبرنا باستمرار على اللاحق[1].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* *pdf,*د.ت, ص 34)

أما مايخص علاقة الخوف السائل بالوقت الراهن، فيلخصها في عبارة وجيزة في كتابه الشر السائل في قوله:" أن الخوف هو الإسم الذي يسمى به حالة اللايقين التي نعشيها"[2]،(*زيحمونت باومان، الخوف السائل* *pdf,*د.ت, ص 24) وهذه العبارة تدل على أن الخوف هو نتيجة عدم

---

[1]- زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 34.

[2]- زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 24

الثبات التي نعشـــيها راهنا، من خلال غياب البديل الذي من خلاله نســـتطيع أن نســـير في آمان.

ربما يكون الخوف هو أكبر وأحد العفاريت الرئيســة التى تســكن المجتمعات الســائلة المنفتحة في وقتنا الراهن، بحيث ينعدم الأمن الحاضـر، وعدم ضـمان المستقبل يولدان أبشـع المخاوف وأشــدها على الإنســان الراهن، مما يجعله يشــعر بالعجز المســتمر، ومنه فقدت الســيطرة على مجرى الحياة ســواء على المســتوى الفردي أو على المســتوى الجمعي في الحياة[1](*زيجمونت باومان، الحياة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 48)

يشــير إلى مســألة أســاســية تتمثل في الخوف الســائل، والمتمثلة في أنّ الأخلاق في الحكايات الأخلاقية القديمة كانت تقوم على مبدأ أســاســي يتمثل في الخوف وغرســه لدى الناس، لكن في الوقت الراهن أصـبحت الحكايات الأخلاقية على عكس ذلك، وغياب الخوف جعل الأسس الأخلاقية تتغير من شخص إلى شخص أخر ومن مجتمع إلى أخر.

لذلك صـرنا نعيش وجود الكثير والعديد والتعدد الغير المسـبوق في التأسـيس للمعاير الأخلاقية، فبغياب الخوف غابت الصــرامة الأخلاقية، نتيجة غياب العقاب والثواب، وهذا ما يوضـحه في هذه العبارة الآتية:" وكافة الحكايات الأخلاقية تسـتمد تأثيرها من غرس الخوف ولكن إذا كان الخوف الذي تغرســه الحكايات الأخلاقية في الماضــي يحقق الخلاص(فكان ذلك الخوف يصــاحبه ترياق، ووصــفه لدرء التهديد الباعث على الخوف، ومن ثم الحياة دون خوف) فإن الحكايات "الأخلاقية" في زماننا لا تعرف الرحمة ، ولا تعد بأي خلاص، فألوان الخوف التي تغرسـها يصـعب علاجها، بل ولا يمكن اسـتئصـالها..."[2].(*زيحمونت باومان، الخوف السائل* ,*pdf*.د.ت, ص 57)

---

[1]– زيجمونت باومان الحياة السائلة، ص 48.

[2]. زيحمونت باومان ، الخوف السائل، 57.

والعصـــر الذي نعيش فيه هو عصـــر الانتشـــار الكبير للخوف والمخاوف، الخوف يتسرب في كل شبر من بيوتنا وكوكبنا، في الشوارع المظلمة وفي شاشات التلفزيون البراقة في كل مكان، في غرف نومنا أيضـــا... الخوف من الأشـــخاص الذي نعرفهم ونقابلهم، والأدهى من ذلك حتى من الأشخاص الذين نعجز عن ملاحظة وجودهم، والظواهر الطبيعية في كل مكان من العالم، والأعمال الإرهابية الإجرامية والاعتداءات الجنسية الوحشية والطعام السام ... إنه عصر الخوف من كل شيء[1](*-زيجمونت باومان، الخوف السائل* *pdf,*.د.ت, ص 27)

ويطرح دونسكيس سؤلا لزيجمونت باومان سؤلا جوهريا في كتابه **الشر السائل**، مما نخاف إذا؟[2].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* *pdf,*.د.ت, ص 131)

فيجيب عنه: "إننا نخاف من كل يجســـد حياتنا وقلقنا، إننا نخاف من أي أحد تحدد معالم وجهه الأســـماء التي نســـمى بها الخوف بفضـــل التقارير الإعلامية المروعة المفرطة والصـــحف المثيرة ونظريات المؤمراة، إنه الخوف من الإســـلام والمســـلمين، والخوف من المهاجرين، والخوف من الشـــواذ جنســـيا، والخوف من الراديكالين الملحدين، والخوف من المؤتمرات العالمية اليهودية الجديدة، وهذا غيض من فيض"[3].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* *pdf,*.د.ت, ص 131)

---

[1] – المصدر نفسه، ص 27.

[2]. زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 131.

[3] – زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 131.

1.4.من المراقبة الكلاسيكية الصلبة[1] إلى المراقبة المعاصرة السائلة [2]:

[1] ـــ يعتبر الفيلسوف ميشال فوكو اشهر من تكلم عن المراقبة في العصر المعاصر و الطرق التي المختلفو بذلك، فيلسوفٌ ومؤرِّخ فرنسـيٌّ، من أهم فلاسـفة حقبة ما بعد الحرب العالميَّة الثانية، ومن أكبر رموز التيار ما بعد البنيوي (التفكيكي). ولد لأسرة بورجوازيَّة، والتحق بالمدرسة العُليا للأساتذة في العشرين من عُمره، حيث درس علم النفس والفلسفة، واعتنق الماركسيَّة مدةً من حياته ثم هجرها. وبعد تخرُّجه (1952م) بدأ حياة مهنيَّة وفكريَّة موَّارة، موسـومة بكثرة السـفر والترحال؛ فدرَّس في الجامعة لبعض الوقت، ثم أنفق قرابة خمس سـنوات مُلحقًا ثقافيًّا لبلاده في بعض بلدان أوروبا. ولم تحظ رسـالتُهُ للدكتوراه (تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي) بشُهرة كبيرة، رغم ثناء المتخصصين عليها. ولم تبدأ شُهرته الحقيقيَّة، بوصفه مفكرًا أصيلاً ومثيرًا للجدل؛ إلا بعد نشر كتابه» :الكلمات والأشياء» عام 1966م، حين كان أستاذًا في جامعة تونس. ومن أشهر كتبه: «أركيولوجيا المعرفة»، المنشور عام 1969م؛ و«المراقبة والمعاقبة :ولادة السجن»، المنشور عام 1975م،هذا اللغز المتمثل في الحفاظ على السجن على الرغم من كل شـيء لإشكالية التحليل الذي طوره فوكو في Surveiller et Punir (1975)فرضيتنا ، في هذا العمل ، أنه إذا سمح لنا عمل فوكو بفهم مدى تعقيد الظاهرة المحيطة بولادة السجن وتعميمه ، فإن التحليل الذي تم تطويره ليس في وضع يسمح له بإعطاء مشكلة لهذا الجزء الآخر. التعقيد المتعلق بشكل أكثر تحديدًا بالحفاظ على الرغم من كل شيء ، أي لصيانة السجن على الرغم من الإخفاقات الملحوظة. ومع ذلك ، فإن الفرضية التي ندافع عنها هنا هي أن هذه الإشـكالية كانت ولا تزال ضـرورية للغاية حتى اليوم إذا كان الهدف هو التفكير ، كما كان مع فوكو، في شـروط الإصـلاح الحقيقي للعلاقة التي يحافظ عليها القانون الجنائي الحديث فيما يتعلق. للسـجن. وهكذا ، عند تقاطع الشعور بالضرورة – الذي نفترض منه تمامًا المعياري – والفضول الاجتماعي الذي يسعى بشكل أكثر تواضعًا لفهم الهياكل التي تكون بينما يؤخر الآخر، يظهر الهدف العام لهذا النص: فهم أفضـــل ، في فيما يتعلق بالتكرار الذي يحيط بعقوبة الحبس ، فالظروف التي من المرجح أن تفضل ، في هذا الصدد ، تطورًا لنظام العقوبات الحديث، أو شيئًا من نظام تغيير الهوية، أو تغيير نظام حقيقي أو اختراق في عالم الاحتمالات.

[2] ـــ تشير المراقبة السائلة إلى الفكرة المجازية لحركة تدفق المعلومات الرقمية التي يتم إنتاجها تلقائيًا عند استخدام الهواتف وأجهزة الكمبيوتر وبطاقات الائتمان ، ولكن أيضًـا الكائنات المجهزة بشـرائح RFID مثل جوازات السـفر وبطاقات النقل في ديناميكيات إنترنت الأشـياء ، يمكن لأي حدث ، بمعنى أن شـيئًا ما يحدث ، في مكان ما ، في لحظة معينة ، أن تترجم إحداثياته الوجودية إلى بيانات ويأتي لتغذية تدفقات البيانات الضـــخمة. لذلك ، فإن هذا النوع من= =المراقبة يلائم "عالم المسـتهلكLyon and Bauman) " تشـير هذه الصـيغة السـاخرة إلى حد ما إلى فكرة امتلاك المسـتهلك المتصـل بشـدة بمعدات تقنية يتحكم فيها على ما يبدو لأداء عدد من المهام العملية ، وحتى الأساسية ، في إدارة حياته اليومية ؛ المستهلك الذي ، بموجب مبدأ عدم وجود واجهة، لم يعد بحاجة حتى إلى اسـتخدام الشـاشـة.،لمراقبة السـائلة هي التي تحدث في المجتمعات الحديثة حيث يسـود اسـتهلاك الأدوات التقنية الخاضـعة للتجديد الدائم. متأثرًا بماركس وتحليله للسـلعة كمبدأ للوسـاطة الاجتماعية، يرى بومان "الحياة السـائلة" كنتيجة للمبدأ الاسـتهلاكي الذي يجبر الأفراد على التكيف باسـتمرار مع إيقاع السـوق. إن الأمر المتعلق بالتنقل والمرونة، وهو أسـاس الحياة السـائلة ، هو شـرط أسـاسـي للأداء الجيد للنظام الاسـتهلاكي المشـبع بالعديد من السـلع المراد بيعها والتي ، بمجرد انتهاء صـلاحيتها ، تنضـم إلى مرتبة النفايات التي أصبحت "سلعة" الشركات السائلة

من الأمور التي تؤكد انتقال المجتمعات من مجتمعات الحداثة الصلبة إلى مجتمعات الحداثة السائلة، من حالة الصلابة إلى حالة السيولة، تتمثل أساسا في فكرة المراقبة، حيث انتقلنا من فكرة البانبيتوكون التي وضعها وصاغها الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو– وجريمي بنتام في الطرق التي تستخدمها السلطة في فعل المراقبة التقليدية الكلاسيكية، إلى نوع أخر من المراقبة في مجتمع جديد، وبالتالي إنتقلنا من مجتمع المراقبة الصلبة البانوبيتكون، إلى مجتمع المراقبة على شاكلة السيوبيتكون، حيث انعكست الأدوار هنا في فعل المراقبة وصارت الكثرة تراقب الأقلية[1]،(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة pdf*., ص 142) وهذا ما يتجلي في مراقبة الشخصيات الرياضية والسينمائية وغيرها من المشهورتين إعلاميا ...

ويعرف زيجمونت باومان المراقبة في كتابة الأساسي" **المراقبة السائلة**" الذي يتحث فيه عن طرق المراقبة في الوقت الراهن، والتي هي عبارة عن نقطة أساسية لايمكن فصلها عن الحياة السائلة، فيقول في هذا الصدد:" وإذا أخذنا ذلك كله بعين الإعتبار، يبدو أن استخدام مصطلح المراقبة السائلة هو إستخدام في محله، فهي مراقبة تناسب الأزمنة السائلة، وهي تستمد ببعض السمات البارزة للسيولة المعاصرة، إننا نعتمد عل أنفسنا لنهوض من صعوبة الحياة مع الخوف، لكن كل محاولة تفرز مزيدا من المخاطر والمخاوف"[2].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*, ص 108)

إتخذت المراقبة الإنسانية لمراحيل عديدة من ولادة الحضارة الى اليوم الحالي، فقدت عرفت وسائل وطرق مختلفة تتم فيها المراقبة بأشكل متعددة ومختلفة، وهذا ما تجسد في شخصية الفيلسيوف الفرنسي مشال فوكو في كتابة "**المراقبة والمعقابة**" الذي عرض فيه تحليلا دقيقا لأدوات القمع والسيطرة والهيمنة، التي تتم فيها المراقبة خاصة داخل السجون .

[1]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 142.

[2]. زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 108.

الحداثة الغربية بداية من القرن السادس العشر انطلقت من الفلسفة العقلانة التنويرية لكل شيء في الحياة، وانتهت في القرن العشرين إلى رقمنة كل شيء:" بدأت الحداثة الغربية بالعقلانية التنويرية وانتهت إلى "العقلنة الرقيمة" التي تمتلئ بأبعاذ المراقبة التي تعمل على تأكل الحريات الفردية والتواصل الاجتماعي، فهل يمكن أن نغفل إمكانية تطور أشكال مسؤولة وراعية من المراقبة الرقمية ؟"[1].-(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة,pdf*. ص 19)

في ظل الحياة الراهنة، تحول مسعي الحياة من تحقيق مجموعة من الأهداف المتمثلة في تأمين الحياة، وحفظ النفس وترقيتها إلى الحرص على التأمين على الحياة، ومن بناء الأمن الإنساني إلى حماية الذات وسلامتها من المخاطر، ومن تجاوز الحدود إلى بناء الأسوار والموانع ووضع الكاميرات، ومن التواصل إلى الترصص وراء الأسوار والفواصل وأن كل هذه المساعي الحثيثة لجعل الإنسان أكثر كرامة وحفاظا عليها، للأسف فقدت الإنسان الراهني خصوصياته ومعها مساحة كبيرة من حريته.[2](*زيجمونت باومان، الخوف السائل*., ص 16)

وينبه باومان إلى الدور الكبير الذي لعبه ميشال فوكو إلى إبراز أشكال المراقبة في العصر الكلاسيكي، من أجل الهيمنة على السجناء أو المرؤوسون بشكل كبير وفق مصطلح خاص:" استخدم مشيال فوكو تصوير البانوبيكون panopticon أو السجن الذي يمكن فيه مراقبة الجميع عند جريمي بينتام باعتباره الصورة المجازية الأصلية للسلطة الحديثة"[3]،(*زيحمونت باومان، الخوف السائل,pdf*. , ص 16)

ويعرض في كتاب "المراقبة السائلة" نظرية السجن "البانوبتيكون" عند "ميشيل فوكو" والذي يجلس فيه المراقب خلف زجاج معتم، داخل برج يتوسط مجموعة دائرية من الزنازين المغلقة، لا يرى فيها أي من المساجين زملاءه ولا يرى بالطبع من يراقبه، وهو النموذج الصلب من المراقبة الذي ساد داخل سجون الرأسمالية الحديثة التي نسكنها كمستهلكين،

---

[1]. المصدر نفسه، ص 19.

[2]زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 16.

[3]. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص 51.

ولكننا لا ندخلها كسجناء تحت القمع، وإنما كمترفين ومتمتعين، أو مضطرين لحاجة التواصل مع العالم دون قهر مادي علينا.

وبالتالي في الأنموذج الكلاسيكي للمراقبة تكون الحراسة شديدة على النزلاء(السجناء) في جدران سـميكة وكبيرة، وأبراج عالية جدا:" ففي البانوبيتكون، يتقيد النزلاء بالمكان، ويمنعون من أشكال الحركة كافة محبوسين بين جدران سميكة غليظة شديدة الحراسة، في أسرتهم أو زنازينهم أو مقاعد عملهم، فلا يمكنهم أن يتحركو لانهم مراقبون"[1].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 51)

هذا النمط من المراقبة حسب باومان يوفر سهولة كبيرة للمراقبين، من خلال السيطرة التامة على السـجناء، من خلال عملية تقيد النزلاء في المكان، ومن خلال هذا النوع من المراقبة تتكرس السيادة السياسية المطلقة، من خلال إخضاع هؤلاء الأفراد، وبالتالي القضاء على كل المعارضين للسلطة من خلال هذه السياسة القمعية.

من خلالها نجد أن الحراس في المراقبة الكلاسيكية ينعمون بالراحة التي تسمح لهم بمراقبة المساجين والنزلاء، بالتحكم الكبير فيهم:" إن ما ينعم به المراقبون من سهولة الحركة وانسجامها هو ما كفل سيطرتهم، أما تقيد النزلاء بالمكان فصار أمرا مكفولا إلى أبعد الحدود، وكان يستعصى كسره أشد إستعصاء أو فكه عن الروابط المتنوعة التي تقتضى بإتباعهم وإخضاعهم" [2].(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*,, ص 51)

في المراقبة الكلاسيكية المباشرة panopticon، السجناء يعرفون السبب الأساسي وراء سجنهم ووضعهم في هذه الأماكن المعزولة داخل السجون، من أجل فعل أساسي يتمثل في

[1]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، 51 ص .

التهذيب والعقاب وتعدليهم، والأهم من كل ذلك يعلمون أنهم مراقبون بمهارة كبيرة داخل هذه الأماكن والمنغلقة ذات الأسوار العالية[1].(*الحرية السائلة زيجمونت بومان 3* *pdf*, د.ت, ص 30)

بالرغم من الإختلافات الموجودة بين السجناء حسب طبقاتهم الاجتماعية المختلفة، لكن يوجد شيئا واحد يوحدهم يتمثل أساسا في فعل المراقبة، والأشخاص المسئولون على المراقبة هم البديل الأساسي لإدارة المساجين، من خلال الحراس والأطباء والعمال والمدرسين، التي ينبغي أن تحدد سلوكياتهم وتوجههم وتراقبهم، [2]،(*الحرية السائلة زيجمونت بومان 3* *pdf*, د.ت, ص 31) ولكن ينصب إهتمام المراقبون على متابعة أفعال المسجونين وليس عما يفكرون به، ومن هنا تنطلق الهيمنة والسيطرة عليهم في كل شيء.

والخاصية الأساسية في المراقبة الكلاسيكية، والتي تعتبر السجن مركزا في العصور السابقة، تتمثل أساسا في مركزية المراقب، الذي يكون مرتبطا بمعرفة الوسائل، الأكثر فاعلية في الرؤية دون أن يكون مرئيا، حيث يعرف المراقب كل شيء عن النزلاء، بيمنا النزلاء لا يعرفون أي شيء عن المراقب، فلا يمكن معرفة مكان المراقب، ولا مكان إقامته ولا أفعاله[3] فحياة المراقبون (السجناء) مرهونة بوجود المراقب، كل حياته مبنية على وجوه المساجن، وهو مصدر سعادته وإلهامه ...

في الأنموذج الكلاسيكي للمراقبة،[4] كانت هناك مواجهة مباشرة ومتبادلة بين المسجونين والحراس، لأن الدور الأساسي للحراس هي حماية الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج

---

[1]- زيجمونت باومان، الحرية السالة، ص 30.

[2]- المصدر نفسه، ص 31.

[3]. المصدر نفسه ، ص 35.

[4]- و يستشهد بقول الفيلسوف ميشال فكوكو في معنى المراقبة الكلاسيكية في العصر الكلاسيكي، عن جريمي بنتام في معنى المنشأة، أو منزل المراقبة، التي تحمل فكرة معينة تتمثل في : هذه المنشأة من نوع خاص يكون فيها الأشخاص بأي وصف مسيطر عليهم تحت المراقبة، خاصة في مجمع التوبة والسجون وبيوت الصناعة وبيوت العمل وبيوت الفقراء... المستستشفيات والمدراس، مع خطة إدارة تبنت المبدأ عن بصيرة عميقة بالطبيعة النظامية للقوة الحديثة وإدارة الكيانات باعتبارها هدفها الأعظم،.(المصدر نفسه، ص 29.)

والأموال... :" كان البانوبتكون أنموذج الإرتباط المتبادل والمواجهة بين طرفي السلطة واندمجت استراتيجيات الرؤساء الخاصة بحماية خاصة وعدم الثبات وتنميط تدفق الزمن الذي يعيشه مرءوسوهم"[1](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*، ص 51-52)

يشير زيجمونت باومان إلى نقطة حساسة في المراقبة الكلاسيكية، بالرغم من الايجابيات الخاصة بها، خاصة في التحكم في السجناء وإلزامهم بكل شيء في مكانهم، إلّا أنّ فيها عيوب كثيرة، قام باومان في حصرها في الفقرة التالية:" ثمة عيوب أخرى يعانيها – البانوبتيكون– وهي استراتيجية باهضه الثمن، ذلك لأن غزو المكان والإلتزام بتبعاته والإبقاء على نزلائه داخل الحيز الذي يخضع للمراقبة والتحكم سيولد نطاقا واسعا من الأعمال الإدارية الثقيلة والباهضة، فثمة بنايات لابد من تشيدها والحفاظ عليها في شكل جيد، وثمة مراقبون محترفون لابد من إستئجارهم ودفع أجورهم"[2](*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,pdf.د.ت, ص 52).

وبالتالي تكون المراقبة في النموذج الكلاسيكي باهضة الثمن، يعني أنها تستلزم الكثير من الأموال والاشخاص والعتاد من أجل الحراسة والإبقاء على السجناء في مكان واحد.

والنقطة الأساسية حسبه تتمثل أساسا أنه في مرحلة الحداثة السائلة والوقت الراهن تحديث عملية خطيرة ومستمرة دائما تتمثل أساسا": إن تمزيق وتعطيل المراكز الصلبة التقليدية المتعالية على الأفراد، والمراكز المحكمة البناء والبناية بقوة يسير، كما يبدو جنبا إلى جنب مع الموقع المركزي المتزايد للذات الميتّمة، في الفراغ الذي يخلفه تراجع السلطات السياسية المتوارية، تجاهد الذات لكي تحتل"[3]،(*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,pdf.د.ت, ص 32) فهي تترك دور المراقبة والتحكم في المجتمع لأدوات أخرى جديدة لم تكن في السابق:" إن

1. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص ص51-52

2– المصدر نفسه، ص52.

3– زيجمونت باومان، الاخلاق في زمان الحداثة السائلة، ص "32

مهمة الاحتفاظ بالمجتمع متمسكا (بعض النظر عما يعنيه" مجتمع"في أوضاع الحداثة السائلة) تتعرض إلى عملية تتحول بها إلى ثانوية منكمشة، أو تنزل ببساطة إلى مستوى السياسات الفردية في الحياة، إنها تترك وعلى نحو متزايد لمشروع الذوات "الشبكة" و"المشبكة" ولمبادراتها وعمليتها الاتصالية والانفصالية"[1]. (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة* ,pdf. د.ت, ص 33)

تكون الخصوصية غامضة بمحاولة المرء دفعه عن نفسه بعرض حياته على شبكات التواصل بتفاصيلها، وأصبح غياب المرء وحضوره يتحددان بعدد الساعات التي يتوفر فيها على تلك المواقع، فيعّرض المرء نفسه للمراقبة بالصورة التي أعطت لأصحاب الأجندات السياسية تدفقا غزيرا من المعلومات، التي لم تكن تحلم بها في الماضي للحصول عليها، لذا فالكتاب " **المراقبة السائلة**"" هو نقاش حول السؤال الناتج من هذه السيولة وهو: كيف تؤثر هذه المراقبة السائلة في تصوراتنا عن الذات وسلوكنا المجتمعي وعلاقتنا بالعالم.

لذلك نجده يعرف المراقبة السائلة في كتابه في الكتاب الذي سبق ذكره:" المراقبة السائلة ليست طريقة كاملة لتمديد أبعاد المراقبة، وإنّما هي أقرب إلى توجيه، وطريقة لتحديد مستجدات المراقبة في الحداثة المائعة المتغيرة الراهنة، فالمراقبة تلين على وجه الخصوص في العالم الاستهلاكي، وترخى الحبال القديمة، وتوظف بسهولة ببيانات شخصية منتزعه لغرض ما في أهداف أخرى ونشر بطرق كانت طوق الخيال في الماضي"[2].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة* ,pdf.د.ت, ص 26)

وما يمكن إستنتاجه من هذا التعريف حسب زيجمونت باومان هي في ربط المراقبة السائلة بعالم الاستهلاك، الذي إنبثق عن التطور التكنولوجي الكبير في القرن العشرين حيث يستطيع التحكم في الأشخاص عن بعد دون تتبعهم كما كان في الماضي، وبالتالي فكل أفراد المجتمعات المتقدمة "" المجتمعات السائلة"" يخضعون للرقابة دون علمهم، وهذا ما يوضحه

---

[1]. المصدر نفسه، ص 33.

[2]زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 26

في قول أخر عن تأثير المراقبة على المجتمعات المعاصـــرة في الكتاب نفســـه فيقول:" فمن الســـهل قراءة إنتشـــار المراقبة باعتبارها ظاهرة تكنولوجية أو باعتبارها ظاهرة تدور حول التحكم الاجتماعي (الأخ الاكبر) ولكن ذلك يشـــدد على دور الأدوات والطغاة، ويتجاهل الروح التي تبعث الحياة في المراقبة، والإيديولوجيات التي تدفعها إلى الأمام والأحداث التي تمنحها فرصها"[1] (*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*, pdf.د.ت, ص 28)

يشـير باومان في إفتتاحية كتاب المراقبة الســائلة أن الحياة الإنســانية قد عرفت تغيرا كبيرمنذ عقود وقرون خالت في الســابق، وكذلك من بين الأشــياء التي تغيرت تغير المراقبة من مراقبة كلاســيكية إلى مراقبة جديدة تتماشـــي مع ظروف الوقت الســائل، لذلك يســميها بالمراقبة السائلة:" المراقبة اليوم هي حديث الأخبار، وهي بذلك تستحوذ على إهتمام مجالات كثيرة في حياتنا، بيد أن المراقبة كانت تبسط سلطانها قبل عقود عدةـــ فهي سمة رئيسية من ســـمات العالم الحديث، ومادام العالم قد تغير عبر أجيال متتالية، فإن المراقبة تتخذ أيضـــا طابعا متغيرا على الدوام، في هذه الأيام تبدو المجتمعات الحديثة مائعة إلى حد يجعلنا نتصـــور أنها في مرحلة "الســـيولة فلا شـــك أن أهل هذا الزمان من المواطنين والعمال والمستهلكين والمسـافرين هم دوما في حركة دائبة وغالبا ما ينقصـهم اليقين بالروابط الدائمة، لأن حركاتهم تخضـــع للمراقبة والتعقيب والرصـــد، فإن المراقبة تتطور إلى حالة ســـائلة "[2]،(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*, pdf.د.ت, ص 23) هذه العبارة التي إفتتح بها باومان كتابه توحي إلى عدم اليقين في الوقت الراهن، المراقبة أصبحت مرتبطة بالتكنولوجيا المتقدمة، التي تراقب الأفراد والأشـخاص دون علم منهم ودون مشـورة، السـلطات تتحصـل على المعلومات بطريقة بسيطة دون تعب ومراقبة شديدة.

---

[1]. المصدر نفسه، ص 28.

[2]. زيحمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 23,

المراقبة السائلة" ليست مجرد آلة رصد أو كاميرا في ركن المتجر أو أمام بناية سكنية، إنها التطبيق الذي تستخدمه للبحث عن طريقك فيدل جهات أخرى على مسارك وحركتك، وعين صغيرة مثبتة على جهاز اللبتوب تسجل محادثاتك مع الأصدقاء، وهي أجهزة رصد وتحليل لكل ما يخصك من تفاصيل تدخلها بعفوية عند التسجيل لخدمة أو موقع إلكتروني لتتراكم هذه المعلومات ويتم تبادلها بين جهات السيادة ومؤسسات التسويق لتتحدث عنك بدلاً من أن تتحدث أنت عن نفسك، وهي منظومة متابعة وتعقب وتتبع وفرز وفحص ورصد ممنهج ...

إن تصميم التكنولوجيا الإلكترونية التي تدخلها السلطة في المنظومات المستقبلة، يجرد التصميم المعماري للجدران والنوافذ من أهمية بحد كبير (جدران إفتراضية، نوافذ إفتراضية ومع ذلك) وهذا ما يسمح بأشكال مختلفة من التحكم، فهو ليس علاقة واضحة بالسجن المثالي، بل غالبا ما يتمتع بسمات المرونة والمتعة المرتبطة بالترفيه والاستهلاك، مما يعني أنك تستهلك لكن في نهاية المطاف أنت مراقب[1].(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*د. ص 82)

لكن من جهة أخرى حسب نظر باومان هذه الطريقة الكلاسيكية أو (البانوبتيكون) لديها مجموعة من العيوب والسلبيات على السلطة السياسية الحاكمة، والتي تراقب هؤلاء الأفراد، لأنها تتطلب مزيدا من الوقت ومزيدا من الجهد والأفراد على حد سواء من أجل مراقبة هؤلاء الأفراد:" ثمة عيوب أخرى يعانيها البانوبتيكون وهي استراتيجية باهضه الثمن، ذلك غزو للمكان والإلتزام بتبعاته والابقاء على نزلائه داخل الحيز الذي يخضع للمراقبة والتحكم سيتولد نطاقا واسعا من الأعمال الإدارية الثقيلة الباهظة ... إنها تتطلب الحضور والارتباط، على الأقل في شكل مواجهة دائمة وصراع عنيف"[2] (*زيجمونت باومان، المراقبة*

[1]-المصدر نفسه ، ص 28

[2]. زيحمونت باومان، المراقبة السائلة ، ص 52.

السائلة ,*pdf*.د.ت, ص 52)، وبالتالي هذه الطريقة فقدت مصـــدقيتها مع مرور الوقت بســـبب التبيعات المادية والبشرية الباهظة الثمن لتنفيذ هذا النمط من المراقبة.

من خلال الإنتقال من الرقابة الصلبة إلى الرقابة السائلة يشير زيجمونت باومان إلى نقطة مهمة جدا بين المراقبة الكلاسيكية التي كانت تعتمد على الشرطة وأجهزة الاستخبارات من أجل إنتزاع الأسرار المختلفة إلى مراقبة جديدة تعتمد على التكنولوجيا المتطورة جدا:" لقد مضـــي العهد الذي كانت فيه أجهزة الاســتخبارات والشــرطة الســياســية التي تعمل بجد من لإنتزاع الأسرار وإرغام الناس على كشف تفاصيل حياتهم الخاصة، بل وأدق تفاصيل حياتهم الشخصية، وعلى أجهزة الاستخبارات هذه الأيام أن تشعر بالإبتهاج وإنعدام الحاجة إليها في آن معا"[1](*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 33)

والمشكل الكبير الذي نعانيه من خلال وسائل الإعلام الجديدة، خاصة مع الوسائط الجديدة، والتي يسميها باومان بغسل الدماغ الجديد من خلال القدرة والمرواغة والسرية التامة وانعدام المقاومة:" إنّنا واقعون بإحكام في شـــبكة عنكبوتية من المراقبة الإلكترونية، يجرى إغواؤنا بأن نلعب دور العناكب التي تنســج خيوط تلك الشــبكة أو الطعين المتحمســين في الغالب الأعم، بعلم منا أو دون علم، شيئنا أم أبينا ، وفي كل الحالات، من دون إستئذاننا"[2].
(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 63)

2.4.المراقبة التكنولوجية وهاجس الخوف:

يشــير يجمونت باومان في كتابه الشــر الســائل[3] *زيجمونت باومان، الخوف السائل*) إلى أن العصر الذي نعشيه هو عصر الخوف والسلبية بامتياز:" إننا نعيش اليوم في عصر الخوف

---

1. زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 33.

2– المصدر نفسه، ص 63.

3ـــ الخوف السائل Liquid Fear مدى انتشار وعواقب الخوف في الحياة الغربية المعاصرة. إنه يبني على رؤى الحداثة السائلة السابقة لباومان (2000) ، وهو كتاب يصف فشل المشروع الحداثي لزيادة التحرر البشري ، محددًا مجتمعنا الحالي على أنه ليس حديثًا ولا ما بعد حديثًا ولكنه "سائل". يتميز المجتمع السائل بعدم الاستقرار والغموض ، وتآكل أو اختفاء ما بدا أنه فئات هوية مستقرة أو صلبة ، وبتجزئة الحياة والتجربة في ظل ظروف مثل هذا التغيير السريع الذي لم يعد لدى

والسلبية والأخبار السيئة، فلا سوق للأخبار السارة، لأنه ليس هناك من يهتمون بها(وإن كانت قصص الكوارث الكبرى والتدمير الشامل الزاخرة بالابتهاج والمغامرة شيئا مختلفا تماما) وهذا ما يؤدي إلى الإنتشار الشامل للذعر وصناعة الخوف... ومع أن بعض التعليقات تكون ثاقبة منطقية وأحيانا، فان أغلبها هيسترية وسوداوية "[1].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* ,*pdf*.د.ت, ص 25)

الخوف في مرحلة السيولة يختلف تمام الإختلاف عن الخوف في مرحلة الحداثة الصلبة والدليل على الذي أن الخوف في مرحلة الصلابة يبحث عن الغزو المستمر للمخاوف الواحد تلو الأخر، لكن في مرحلة السيولة، تتجه عكس ذلك من التأكيد على أن الصراع ضد المخاوف هي مهمة الانسان في هذه الحياة[2]،(*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 107–108) ومنه تحولنا من مرحلة نشر الخوف في الحياة إلى مرحلة ضرورة التعايش مع الخوف.

تصورنا للخوف في مرحلة الحداثة السائلة يختلف تماما عن التصور الذي كان منتشرا في مرحلة الحداثة الصلبة، لذلك كان رواد فلاسفة التنوير بشكل كبير ومن سار على منهجهم في التحديث، يرون ضرورة كبح المخاوف ومنع كل التهديدات التي تؤثر على الخوف، لكن في مرحلة الحداثة السائلة اتضح عكس ذلك أن تلك الوعود لم تتحقق على أرض الواقع، فقد اتضحت أن فكرة الصراع ضد الخوف، هي مهمة إنسانية شاقة، فهي ملازمة للإنسان مدى الحياة، لأن الإنسان يواجه في حياته مجموعة من الأخطار التي تهدد

الأشكال والمؤسسات الاجتماعية وقت لترسيخ مواقع ذات مغزى للهوية الإنسانية والعمل الجماعي. بدلاً من ذلك ، نحن نعيش في عالم يركز بشكل متزايد على الهوية الفردية الأحادية ، حيث يتم تجميع شخصيتنا معًا بواسطة منتجات المجتمع الاستهلاكي الشامل ، وقادرة مثل رأس المال على الانخراط فقط في مشاريع قصيرة الأجل وعلى تحويل الولاءات والروابط الاجتماعية البشرية "بمرونة" استجابةً لذلك لتغيير الظروف. تتميز الحياة في الحداثة السائلة بعدم اليقين المستوطن وتحليلات الخوف السائل بالتفصيل طبيعة وشكل الخوف الذي يجلبه عدم اليقين هذا إلى حياتنا وعواقب قدرتنا على الانخراط في عمل اجتماعي هادف وإنتاج مستقبل قابل للحياة.

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل، ص 25.

[2]– زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ص ص107–108.

حياته[1]،(*زيجمونت باومان، الخوف السائل,* ص 30) ويصفها في إحدى فصول كتابه الخوف السائل، بمقولة جامعة يقول فيها:" إننّا في أرض مجهولة"[2].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل.* ص 161)

إن الحياة السائلة الحديثة التي تتميز بعدم الأمان وتزايد كبير للخوف من شر البشر والأشرار، وهذا الخوف المستمر من البشر كان نتيجة سوء الظن بيهم، من خلال تزايد الفجوة وعدم الثقة بين الأفراد والمجتمعات، وبالتالي تتصدع كل قيم الصداقة الموجودة في الماضي من صحبة وإخلاص ووفاء ولا الثقة[3]. -)*زيجمونت باومان، الخوف السائل, pdf.*د.ت, ص 178(

كل هذه العبارات تؤكد على العلاقة الموجدة بين الحياة المعاصرة ونشر الخوف ويشير أيضا في فقرة أخرى على غياب الثقة والخوف الدائم من الميزات الأساسية لهذا العصر فيقول:" والنتيجة لذلك ببساطة هي إرتفاع رصيد المخاوف نتيجة غياب التوقع وتأكل العرف والعادة ومنظومة الأخلاق الإجتماعية، فالفرد لا يمكنه التعويل على دعم الأسرة الممتدة نظرا لتفكك الروابط، وتباعد المسافات والتمحور حول الأسرة النواة الصغيرة وذوبان معنى الالتزام تجاه المجموع، وكذلك لا يمكنه الإعتماد على الأصدقاء الذين يتغيرون باستمرار ويتحركون من مكان إلى أخر"[4].(*زيجمونت باومان، الحياة السائلة pdf,*د.ت, ص 12)

حيث لا ينفك مفهوم الخوف والهلع في إدراكنا للشر على مستوى الحياة الراهنة، والخوف الذي نواجهه في عالم اليوم ليس ناشئا عن فزع شر محتمل غير مقصود إستنادا لتصور أن الخير أصيل في الإنسان، بل هو خوف يتأسس على وعي متزايد بتنامي التوحش في هذا العالم باعتباره شرا من الشرور التي تواجه الإنسان الراهني[5].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل pdf,*د.ت, ص 15)

---

[1]– زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 30.

[2]. المصدر نفسه ، ص 161.

[3]– زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 178.

[4]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 12.

[5]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 15.

لكن الأدهى والأمر أنّ علاقتنا بالشر تزداد من خلال التطبيع معه باستمرار، وجعله أكثر إرتباطا وثيقا بالحياة، وأنّنا أصبحنا نوفر له الحماية ونقوم بالتطبيع معه في كل وقت، باعتبار أنّ الشر يوفر لنا الحماية باستمرار، ولو كان ذلك عل حساب حياة وكرامة الإنسانية قاطبة، وجعلهم يعشون حياة أليمة تاعسة.(*زيجمونت باومان، الخوف السائل* ,*pdf*.د.ت, ص 15)

ومن بين أهم الوسائل التي أدت إلى إنتشار الخوف في المجتمعات الراهنة بشكل لم يسبق له مثيل، يتمثل في التحرير الغير المسبوق، وطغيان النزعة الفردية في مجال الاقتصاد، الذي ينفك عن إي إرتباط أخلاقي في المجتمعات الراهنة، وبالتالي أصحبت من الشرور المهيمنة على الحياة الراهنة:" ولدت المخاوف ذات الطابع الحديث أثناء الجولة الأولى من تحرير السوق وسيرورة النزعة الفردية، في وقت إنفكت أو إنقطعت فيه روابط القرابة والجيرة، روابط كانت متينه تعتصم بحبل الجماعة والثقة، وروابط كانت تبدو أبدية لكنها عاشت، على أي حال منذ زمن بعيد، فكان النموذج الحديث الصلب لإدارة الخوف يميل إلى إحلال الروابط المصنوعة محل الروابط ((الطبيعية)) التي دمرت تماما، واشتملت هذه الروابط النقابات والاتحادات والكيانات الجمعية الوقتية شبه دائمة التي كانت توحدها مصالح مشتركة وأعمال يومية منتظمة مشتركة، وهكذا جاء التضامن ليحل محل الانتماء باعتباره الحماية الأساسية من قدر تزداد مصائبه"[1].(*زيجمونت باومان الأزمنة السائلة*.، ص 86)

في الزمن الراهن السائل الذي نعشيه هو الزمن الذي لا يخلو من المخاوف فحياتنا كلها صراع دائم ضد المخاطرة، فكل يوم نجد أنفسنا أمام كوابيس جديدة تهيمن على حياتنا، وبالتالي صرنا نبحث باستمرار عن السبل والأدوات التي تساعدنا من عدم الوقوع في الخوف والأخطار وتجنب القلق.[2](*زيجمونت باومان، الخوف السائل*,.، ص 31)

---

[1]. زيجمونت باومان، الأزمنة السائلة، ص 86.

[2]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 31.

السمة الأساسية في هذا العصر هي الخوف، فكل المؤشرات تؤكد على تفشى الخوف في جميع نواحي الإنسانية، علما أن وسائل الاعلام والاتصال الحديثة المعاصرة، ساهمت بشكل كبير في هذه الظاهرة فيقول في هذا الصدد:" إننا نعيش في عصر الخوف والسلبية والأخبار السيئة، فلا سوق للأخبار السارة، لأنه ليس هناك من يهتمون بيها(وإن كانت قصص الكوارث الكبرى والتدمير الشامل الزاخرة بالابتهاج والمعاصرة شيئا مختلفا تماما) وهذا ما يؤدى إلى الإنتشار الشامل للذعر وصناعة الخوف، الأخبار العاجلة التي تعتمد على تعليقات متباينة إلى حد كبير ومتناقضة في الغالب"[1]،(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل*, ص 25) وهذه الفكرة توحي إلى طبيعة الحياة السوداوية التي تعشيها المجتمعات المعاصرة الراهنة، من خلال البحث الدائم عن الأخبار السيئة، أو مايسمى في مجال علوم الإعلام والإتصال بالصحافة الصفراء التي هدفها الأساسي هو البحث عن الأخبار القذرة التي تلفت الإنتباه في الحياة الإعلامية المعاصرة.

ويطلق باومان على الرقابة المعاصرة بأنها الشيطان المريد، الذي يظهر في الوهلة الأولى على أنه صديق، لكن في نهاية المطاف هو الشر بحذ ذاته، نظرا للوسائل المتعددة التي تستخدمها المراقبة المعاصرة من وسائل تكنولوجية متطورة جدا، تجعل من حياة الإنسان عرضة للرقابة باستمرار دون أن يشعر بذلك:" في المقابل تتميز الرقابة المعاصرة بفصلها عن الأخلاق في كل شيء، المراقبة المعاصرة التي تستخدم وسائل التكنولوجيا المتقدمة جدا تختلف إختلافا جذرياعن المراقبة الكلاسيكية في طريقة التعامل مع الأفراد، بإعتبارهم أرقام داخل ببيانات مختلفة، فمن أخذ تلك البيانات والبصمات من الأفراد يمكن التحكم في الأفراد ومعرفة مواقعهم بمجرد إستشعار الكاميرات الذكية وأجهزة التحسس العالية الدقة بهؤلاء الأشخاص الذين يحملون صفات وراثية مختلفة:" ثمة زاوية أخرى في تحيد الأخلاق وفصلها عن فعل المراقبة وهي الطريقة التي تنتزع البيانات عن الجسد(مثل البصمات والحمض

---

[1]. زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع اللابديل، ص 25.

النووي) أو البيانات التي يتبادر بتقديمها (مثل إدخال البيانات لتســـجيل الدخول إلى المواقع الالكترونية واســتخدام بطاقة الســماح بالدخول البيانات، واظهار بطاقة الهوية)...[1](*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*د.ت, ص 29) ومن هنا تكون قيمة البيانات اكثر من قيمة ذلك الشخص.

وســـائل التكنولوجيا الجديدة جعلت من الإنســـان كائن لا مجال له من الهروب عن المشــاركة في هذه الوســائل والتقنيات الجديدة المعاصــرة، وجعل هذه الوســائل نعمة على يد الدولة ونقمة على الافراد، ويســهل على الدولة مراقبة أفرادها بحرية تامة، بيما الأفراد ســوف يتشــكل لديهم نوع من الذعر والخوف أثناء تطبيق هذه الوســائل، ومن هنا تظهر إنفصــالية الأخلاق عن الممارســة التكنولوجية، من خلال ســهولة التجسـس وتسـرب أخبار الأفراد لدى الدولة، حيث يشـــبه هذه الطريقة بمتلازمة ويكيلكس التي لا مكان للأخلاق فيها ويقول:" إن التكنولوجيا لن تسمح لك بأن تنأى عن المشاركة، وهكذا تتحول مقولة –أنا استطيع – إلى – أنا مجبر– أنا أستطيع إذن أنا مجبر، فلا مجال للصراع الداخلي والمعانات من المعضلات، وهذا أشبه بأخلاق ويكيليكس التى لا مكان فيها للأخلاق، لقد صـار التجسـس والتسـرب أمرا إجباريا، وإن بدات الأسـباب غير واضـحة، وهذا الأمر نعمة ونقمة لصــالح الدولة وضـدها، لكنه يتحمل المســـؤولية عن المعاناة الاليمة التي يذوقها الفرد، إنه امر لا بد منه، لأنه لا يمكن تحقيقه باستخدام التكنولوجيا"[2].(*زيجمونت باومان، الشر السائل والعيش مع للابديل* *pdf*,د.ت, ص 35) يجب على الدولة أن تتحمل جميع مسؤوليتها نحو هذا النمط الجديد من المراقبة الذي يكرس نوع من الخوف لدى الأفراد في المجتمع، لهذا يقول عن حجم عدم الأمان في العصـــر الحديث في كتابة الحداثة الســائلة فيقول:" ولنا أن نقول إن الشــكل الحديث لعدم الأمان في يتميز بوضـوح بخوف كبير من شـر البشـر والأشـرار والجماعات ونياتهم، وغالبا يرفض الثقة في دوام صـحيحة البشر والإخلاص لها، وإمكانية الإعتماد عليها، وهو رفص يتبعه بالضـرورة

[1]– زيجمونت باومان ، المراقبة السائلة، ص 29.

[2]. زيجمونت باومان، الشر السائل العيش مع للابديل ، ص 35.

تقريبا عدم إســتعداد لترسـيخ تلك الصـحية، ولا إدامتها ولا الوثوق بيها بها تماما.[1](*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, ص 178)

يشــير زيجمونت باومان إلى أن المدينة المعاصــرة تعيش نوع كبير جدا من الخوف بالنظر إلى مصادر التخويف المستمرة من خلال التعايش المستمر بين الغرباء والأعداء في مكان واحد، لذلك الإنسان السائل المعاصر من مميزاته هي العيش في خوف دائم ومستمر:" يمكننا القول إن مصـــادر الخطر قد انتقلت إلى قلب المدينة، فالأصـــدقاء والأعداء والغرباء الغامضـون المحيرون والحائرون يختلطون الأن، ويتعاملون مع بعضـــهم البعض في شـوارع المدينة، وهكذا فإن الحرب ضد إنعدام الأمن وإنتشارا الأخطار والمخاطر تقع داخل المدينة، وداخل المدينة تتحدد ســاحات المعركة، وترســم خطوط المواجهة..."[2]. (*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*. ص 105)

يقول في كتابه المراقبة السائلة عبارة في غاية التأكيد على الشر الذي لابديل له والذي يجعل من الإنســـان الراهني في حالة خوف مســـتمرة ودائمة لامفر منها، لأن الحياة الراهنة توحي بكثير من الاوهام وتقدم ووعود كثيرة تقدم من خلالها الســعادة، لكن في نهاية المطاف نجد أننا نعيش في رمال متحركة ورخوة:" إننا – في ورطة مزدوجة – ورطة ليس لها مخرج واضـح، ولا تخلو من المخاطر، فاذا إخترقت الأمن أولا، فإنك بحاجة إلى التخلى عن تجارب مذهلة كثيرة تعد الحريات الجنســـية بتوفريها، وغالبا ماتوفرها، ولكن إذا كانت الحرية هي غايتك الأولى، فلن تجد شـــريكا يأخذ بيدك عندما تتعثر في مكان تحطه مســـتنقعات ورمال متحركة"[3]. (*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة* ,*pdf*.د.ت, ص 66)

والإنتماء إلى مجتمع المســـتهلكين هو بحد ذاته هو من المهام الشـــاقة، الموجودة في الوقت المعاصر، والوقت الراهن، بالنظر إلى الصراع الشديد واللانهائي الذي يواجهه الأفراد،

---

[1]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 178.

[2]. زيحمونت باومان، الحياة السائلة، ص105.

[3]. زيحمونت باومان، المراقبة السائلة، ص 66.

لأن الأسواق الاستهلاكية وتجعل المستهلكين متلهفين ويستقبل الأشياء بشغف كبير، وذلك من خلال غرس الخوف الدائم، في السلع والتنافس الكبير بين الشركات المنتجة للسلع، لكسب مصداقية لمساعدة عملائها وإرشادهم في جهودهم للانهائية لمواجهة التحدي[1]. (*زيجمونت باومان، المراقبة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 43)

في الحياة الراهنة (داخل المدينة السائلة) أشكال جديدة من الذعر والخوف، من خلال الزياة الرهيبة في معدلات الجريمة، مما دفعل بالمسؤولين (الحكومات) في مواجهة هذه الجرائم من خلال الارتفاع السريع لعدد المساجين، فظهرت بذلك مايسمى بالدولة السجانة محل الدولة الإجتماعية، لذلك يعبر هن هذه الفكرة بقوله:" إن التركيز على الجريمة وعلى الأخطار المهددة لسلامة أجساد الأفراد وممتلكاتهم أوضح بما لايدع مجالا للشك أنه يرتبط إرتباطا وثيقا لحالة فقدان الإستقرار، وأنه يتبع بدقة وتيرة التحررالإقتصادي من القيود، وتتيرة صعود المسؤولية الذاتية الفردية وتراجع التكافل الإجتماعي"[2] (*زيجمونت باومان، الحداثة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 40)

من بين الهواجس التئ تؤدي إلى الخوف السائل في الوقت الراهن، نجد ما يسمى بالإنتماء إلى جماعة معينة، التي في ظاهرها تقدم لك الأمان والاطمئنان الاجتماعي لكنها في الحقيقة هي عكس ذلك، ويتجلى ذلك في الإنتماء في الوقت الراهن في شبكات التواصل الاجتماعي المعاصرة، وكل هذا يصاحبه الكثير من الإنتماء لكنه يلزمك بمجموعة من القيود والالتزامات الجديدة، من خلال فعل المراقبة المستمرة من قرب أو من بعد، وبالتالي لا يترك لا أي مجال للمناورة ، ولكنها في حقيقة الأمر تحرمك من الإنتماء وتنفيك وتجعلك مقيدا، حتى أنه لا تسمح لك بالخروج في الوقت الذي تريده بمحض إرادتك[3].(*زيجمونت باومان، الخوف السائل* *pdf*. , ص 45)

---

[1]- المصدر نفسه، ص 43

[2]- زيجمونت باومان الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ص 40.

[3]. زيجمونت باومان، الخوف السائل، ص 45.

هذا الخوف المستمر للإنسان المعاصر في المدن الكبرى، ومعظم الدول الكبرى تلجأ إلى استعمال طرق الرقابة المعاصرة من أجل حماية الممتلكات والعقارات المختلفة لمجتمعاتها من خلال الكاميرات الإجبارية المختلفة:" إن أكثر أشـــكال الأســـوار الدفاعية شـــيوعا هي (المجتمعات الســكنية المغلقة بالبوابات) (فالإعلان عنها في دعايا ســماســرة العقارات وفي ممارســتها ســكانها يبرز أهمية (البوابة) لا (الجماعة الســكانية) هي مزودة أيضــا بحراس وكاميرات مراقبة إجبارية في مداخلها، وقد بلغ عدد المجتمعات السكانية المغلقة بالبوابات في الولايات المتحدة الامريكية أكثر من عشـــرين ألفا، بيما يتجاوز عدد ســـكانها الثمانية ملاين نسمة"[1]. (*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*. ص 106)

المخاوف التي يعرفها الإنســـان الراهني هي أكبر بكثير من المخاوف التي كانت في عليه في العصـــور الســـابقة، لكنها باتت اليوم مختلفة تماما عما كانت عليه في الســـابق، والخوف اليوم متغلغل في كل شـؤون الحياة المختلفة، ومنه الخوف هو عنصـر مركب وشـر ناعم في الحياة الراهنة، فحياتنتا اليومية مرتبطة بالخوف، فكل شـــئ يدعو إلى الخوف[2]. (*نيكولاس جين، مستقبل النظرية الاجتماعية*.ص 75)

ويلخص باومان الحياة الســـائلة بأنها حياة محفوفة بالمخاطر، لأن الإنســـان الذي يعيش في حقبة الحداثة السائلة يحيا حياة تتميز باللايقين والخوف الدائم، والعيش على رمال متحركة، لكن يبقي الهاجس الفضـيع الكبير الذي يمثل كابوسـا للانسـان، يتمثل في الخوف الذي يأخذه على غرات معينة، وذلك من خلال خوفه الدائم بعدم اللاحاق بالمســـتجدات المســتارعة، ومن التخلف عن ركب الســائرين، وعن أن يكون من الغافلين على تواريخ نهاية الصلاحية للمنتوجات المختلفة[3]. (*زيجمونت باومان، الحياة السائلة*, *pdf*.د.ت, ص 22)

---

[1]. زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 106.

[2]– نيكولاس جين، مستقبل النظرية الاجتماعية، ص 75.

[3]– زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ص 22.

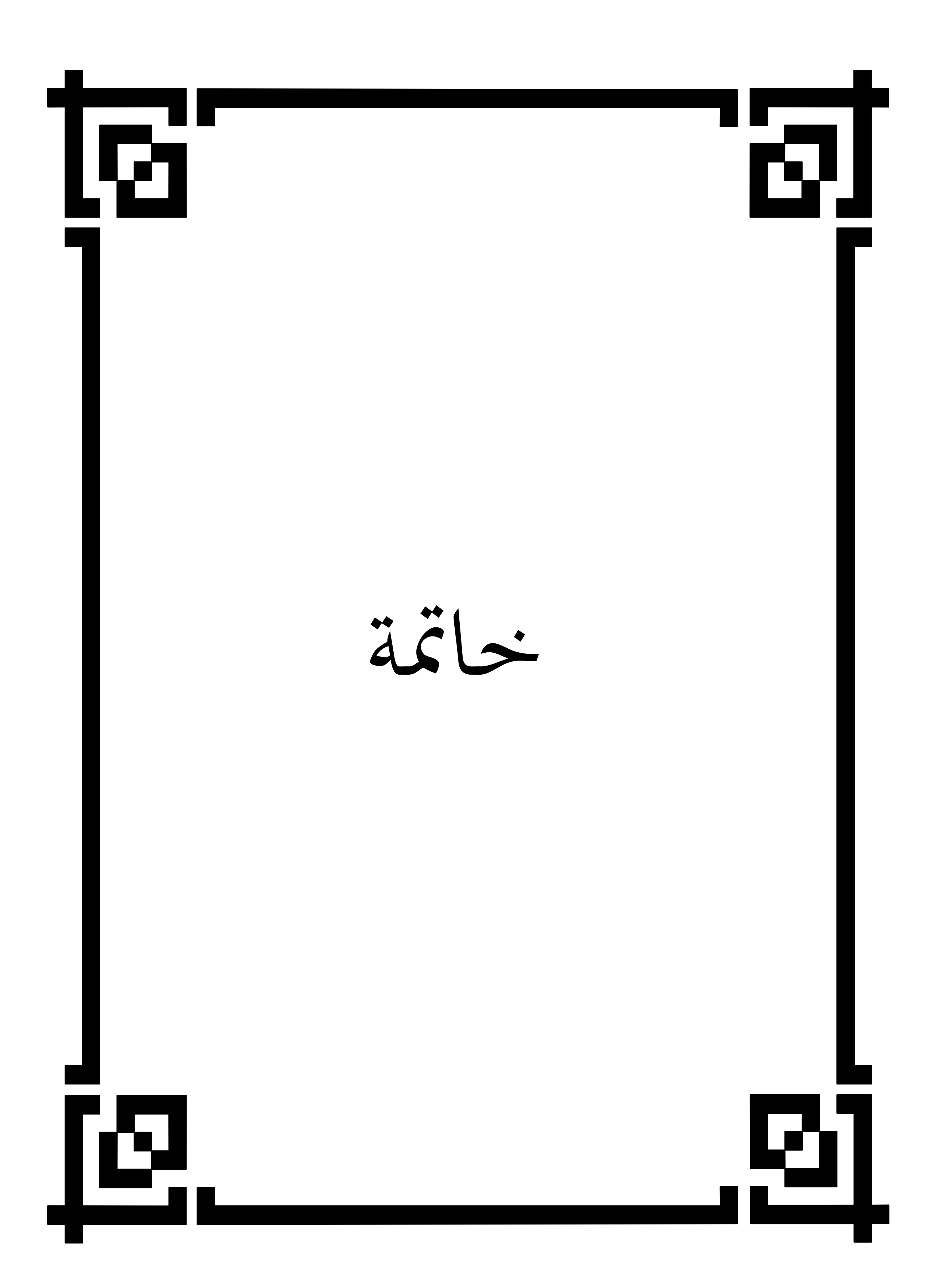
نتائج الفصل:

من خلال الأفكار التي قمنا بعرضها في هذا الفصل يتبن لنا الدور الكبير الذي تلعبه الوسائل التكنولوجية المتطورة جدا في إظهار واستدراج الناس إلى الشر السائل، من خلال فكرة التطبيع والتعايش معه.

ـــــــ يعتبر باومان أن وسائل الاعلام الراهنة المتطورة، من أهم الشرور التي تغرس الشر السائل في الحياة الراهنة، وهي التي تعمل على تشجيع المتلازمة الإستهلاكية من خلال الإعلان والإشهار والموضة المستمرة.

ـــــــ التكنولوجيا ساهمت في خلق فضاء جديد مغاير تماما للفضاء الذي كان في السابق، وهو الفضاء الإفتراضي الذي خلق نوعا جديد من العلاقات سميت بالعلاقات الافتراضية التي تحررت من جميع القيود الأخلاقية بمختلف مصارها وأسسها.

ـــــــ التكنولوجيا المعاصرة قامت ببناء منظومة مراقبتية جديدة مختلفة تماما للمراقبة السابقة التي كانت في العصور الماضية، والتي يلقبها بالمراقبة الصلبة خاصة في تفسيرات ميشال فوكو وجريمي بنتام، وهذه المراقبة الجديدة تغلغلت في جميع مناحي الحياة الراهنة، لذلك نجدها قامت بغرس الخوف والهلع لجميع أفراد لحداثة السائلة. وأصبحت من الشرور التي تكرس الخوف باستمرار.



خاتمة

خاتمة:

ومما سبق من خلال معالجتنا المتواضعة لموضوع مصادر الشر السائل عند زيجمونت باومان، يتضح لنا أن مسألة الشر هي مسالة جذرية ومحورية في فكر زيجمونت باومان، حيث سعى جاهدا إلى بلورة مفهوم جديد للشر يختلف عن مفهوم الشر في الطرح الفلسفي الكلاسيكي، المرتبط بشكل جلي بالمسالة الميتافيزيقية الدنية و التفسير الطبيعي في العصر الحديث، وحاول نقل الشر إلى النتائج و الأفعال والسلوكيات التي يقوم بها الإنسان به نفسه المنفصل جذريا عن كل قواعد وأسس أخلاقية.

ومن هنا نجد زيجمونت باومان قد ميز بشكل واضح بين الطرح الكلاسيكي للشر الذي يسميه بالشر الصلب، وبين الشر الجديد الذي ظهر في القرن العشرين وبداية القرن العشرين، بالشر السائل الذي يتخذ أنماط مغايرة للشر الصلب، لأنه في أصله سائل يصعب التحكم به ويصعب أيضا التنبؤ به، لأنه يتعايش في حياتنا وأصبح مرادفا للحياة الراهنة، والمعروف عليه عند باومان بزمان اللابديل، بعد عجز الإنسان الراهني عن إيجاد منفذ للحالة التي يعشيها وأصبح يعيش في دوامة يتصارع معها، ليجد الاستراتجيات الأساسية التي من خلاله يتعايش مع قوة وسرعة هذه الدوامة.

وبالتالي بعد التميز بين الشر الصلب والشر السائل نجده ، يقدم لنا مجموعة العلامات الأساسية التي تعتبر مصدرا للشر السائل في الوقت الراهن، حيث حاولنا قدر المستطاع وضعها في ثلاثة مجالات أساسية تتمشي مع الطرح الذي يقدمه باومان.

ويشير باومان بوضوح تام على أن الحداثة الصلبة في مرحليها المختلفة كانت السبب الأساسي وراء بروز الشر السائل القائم على الإغواء المستمر للإنسان، نتيجة التخدر الأخلاقي، الذي يشعيه الإنسان المعاصر، فعد أن أصبح الإنسان ذوا بعد واحد و ألغي كل الأبعاد الأخرى في الإنسانية، مع تبني في فكرة الحرية التامة، أصبح محوسل، لا قيمة له،

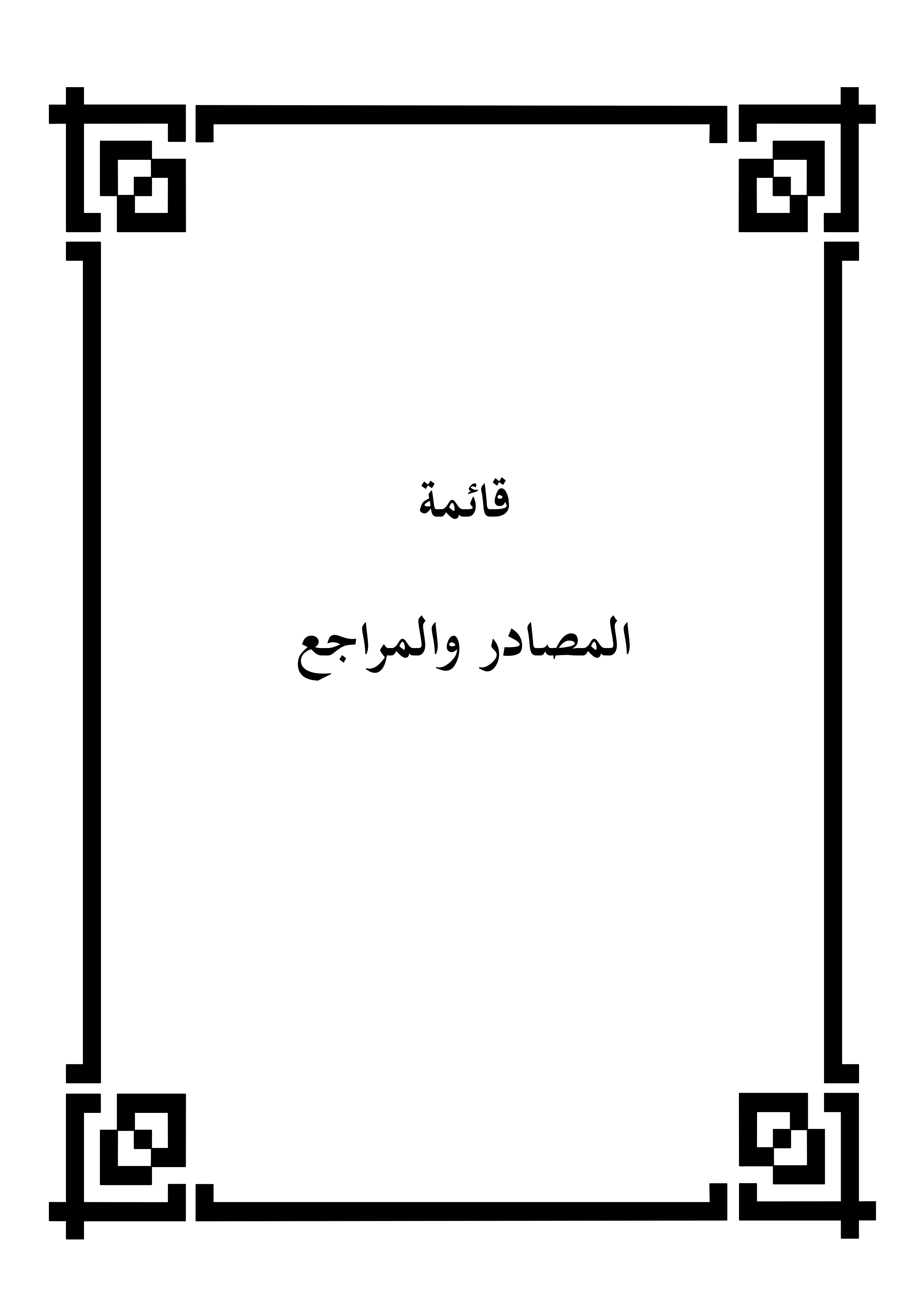
وهذا ما تجسد في الهولوكوست والمحرقة اليهودية التي كانت من الآثار العظمى للبيروقراطية الحديثة، التي مارست البستنة والتنظيف المستمر لمختلف الأعشاب الضارة التي تحاول الوقوف في المد العقلاني المتعجرف، والتي خلقت لنا فيما بعد مجموعة من الأحداث المشابهة من خلال التبرير العقلاني للجرائم التي يرتكبها الإنسان المعاصر والراهني بشكل لا مثيل له في السابق.

ضف إلى ذلك بروز مبعد جديد للإنسان الراهني، يتأسس في المنظومة الاختزالية للإنسان، يتمثل في البعد الاستهلاكي المادي، الذي خلق لنا نوعا جديد من الإنسان يلقب بالإنسان السائل، يعتبر ركيزة أساسية في الشر السائل، من خلال ممارسة الإغواء المستمرة للإنسان، بجعله متشيء نمطي. حيث لم يتوقف الاستهلاك في العصر الراهن على الأشياء والمتع المادية، بل تجاوزه إلى استهلاك العلاقات الإنسانية، التي تحولت في الأخير إلى علاقات استهلاكية تقوم على الإشباع المادي الغريزي الفوري، حيث انتقلنا من العلاقات الإنسانية الصلبة القائمة على الأسس الأخلاقية، إلى روابط إنسانية جديدة قائمة على التعاقد، وهذا ما ينطبق على الأسرة والمجتمع، حيث يمكن الدخول والخروج في هذه العلاقات في الوقت الذي توجد في المصلحة ونخرج في الوقت الذي تنتهي في المصلحة.

ويتجلي الشر السائل في الوقت الراهن أيضا في المنظومة التكنولوجية التقدمة ، التي أعادت بناء الإنسان من جديد من خلال فكرة الإعلام المعاصر المقترن بالميديا وشبكات التواصل الاجتماعي، حيث رسخت مفاهيم جديدة لم تكون في السابق، وساهمت في تعزيز الاستهلاك من خلال فكرة الإعلان والموضة المستمرة التي تمارس فعل الإغواء على المستهلك، وجعل الإنسان يلهث باستمرار نحو النهم الإقتصادي، كشما ساهمت هذه الوسائل في زعزت أركان الإنسان الحديث، فنجد أنّ البشرية انتقلت من فكرة العلاقات الواقعية إلى العلاقات الافتراضية، من خلال شبكة التواصل الاجتماعي المختلة، التي خلقت عالما جديد وهميا، إفتراضيا تسوده علاقات جديدة قائمة على التواصل الوهمي، حيث أصبح

الإنســــان الراهني يعيش تناقض بين الحياة الاجتماعية الواقعية، وبين الفردوس الالكتروني الذي يحقق له أكبر قدر ممكن المتع الاستهلاكية ، لا يستطيع تلبيتها في الواقع الاجتماعي اليومي، مما يجعل من الإنسان يتناقض يدخل ويبني علاقات يستحضر شخصيات متعددة عكس الشخصية التي يمتلكها ويسايرها في الواقع.

كما يمكن الإشارة أيضا إلى فكرة الخوف التي يعتبرها من الأفكار المقترنة، فيستحيل أن نتحدث عن الشــر دون الحديث عن الخوف، لأنه بالخوف يتم غرس مجموعة الحكايات والأساطير المتعددة المختلفة مثلما كان في السابق، لكن الخوف الموجود راهنا الذي يمسيه بالخوف السائل، هو خوف نتيجة التطورات الاجتماعية الراهنة نتيجة فعل المراقبة السائلة التي تختلف عن المراقبة الكلاسيكية (المراقبة الصلبة) التي أشار إليها ميشال فوكو في كتابة المراقبة والعقاب في العصر الكلاسيكي، المراقبة السائلة تختلف تمام الاختلاف عن المراقبة الصلبة من خلال استخدام وسائل التكنولوجيا المتقدمة والمتطورة جدا مثل الكاميرات في مكان التجسس على الهواتف المواقع الالكترونية ....



قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع.

أولا: المصادر:

أ.بالعربية المترجمة:

1. زيجمونت باومان، المراقبة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للابحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2017
2. زيجمونت باومان وتم ماي، التفكير سوسيولوجيا، ترجمة: حجاج أو جبر، إبن النديم للنشر والتوزيع، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2023.
3. زيجمونت باومان وكارلو بوردوني، حالة الأزمة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للابحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2019
4. زيجمونت باومان وليونيداس دونسكيس، الشر السائل العيش مع اللابديل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2017.
5.زيجمونت باومان، أبو الحداثة السائلة، ضمن سلسلة، كتاب جيل جديد، ط1، 2017.
6. زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجكة سعيد البازعي وبثينة الابراهيم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، الإمارت العربية المتحدة، ط1، 2016.
7. زيجمونت باومان، الأزمنة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، القاهر، مصر، ط 1 2015.
8. زيجمونت باومان، الحب السائل، الشبكة العربية للابحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط1 ،2016
9. زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، القاهر، مصر، ط1، 2013.

10.زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ترجمة، حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للابحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2014.

11.زيجمونت باومان، الحرية السائلة، ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر، ط1، 2013.

12.زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ترجمة حجاج أبوجبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط 2016.

13.زيجمونت باومان، الخوف السائل، حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، القاهرة ، مصر، ط1، 2017.

14. زيجمونت باومان، حياة بلا روابط، (العلاقات في زمان الاستهلاك)، ترجمه: فاطمة نصر، دار سطور، ط1، 2005.

15. زيجمونت باومان، غرباء على بابنا، ترجمه: نجيب الحصادى، سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2022.

ب. المصادر بالإنجليزية.

1. Zygmunt Bouman , life in frogments ,essay in post moderern moralety, london, pollitty ,1996,
2. Zygmunt Bouman , the art of life , polity press , 2008/

ثانيا: المراجع.

أ.المراجع باللغة العربية:

1. ياسر بكر، الانسان السائل، بين ايماضة الخمود ونظرية السوائل، مصر، 2022
2. إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1 2012.

3. إدغار موران، النهج إنسانية بشرية الهوية البشرية، ترجمه: هناء صبحي، هئية ابو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2019.

4. إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، دار افريقيا للشرق المغرب، ط1، 2012.

5. إريك فروم، كينونة الإنسان، تر: محمد حبيب، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2013.

6. أشميل مبيمبي، الوحشية (فقدان الهوية الإنسانية) ترجمة نادرة السيد، إبن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1، 2021.

7. ألان تورين، الحداثة المتجددة (نحو مجتمعات أكثر إنسانية) ترجمه جلال بدلة، الدار الساقي، بيروت لبنان، ط1، 2020.

8. ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر ط1، 1997.

9. ألان توورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة: جورج سليماني، مركز درسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ط1، 2011.

10. ألفين توفلر: صدمة المستقبل، ترجمة: محمد رضا، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، مصر، ط2، 1995.

11. ألفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة، عصام قاسم الشيخ، الدار الجماهيرية، للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1990.

12. إليزا غودرت، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود، (تحولات الأنا في العصر الإفتراضي) ترجمه: سعيد بنكراد، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2019

13. أولريش بيك، الحب عن بعد . أنماط حياتية جديدة في عصر العولمة ـ، ترجمة: حسام الدين بدر، مشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2014

14. بدر الدين مصطفي، دروب ما بعد الحداثة، مؤسسة هنداوي، ط1، 2018

15. بيار ليفي، عالمنا الافتراضي(ماهو؟ وماعلاقته بالواقع؟) ترجمه: رياض الكحال، هئية البحرين للثقافة والآثار، المنامة، البحرين، ط1، 2018.

16. تود سلوان، حياة تالفة أزمة النفس الحديثة، ترجمه: عبد الله بن سعيد الشهري، ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2021.

17. تيري ايغلنتون، عن الشر، ترجمة: عزيز جاسم محمد، دار رننيوي للدرسات والنشر والتززيع، دمشق، سوريا، ط1، 2020.

18. تيم اداوردوز، النظرية الثقافية(وجهات نظر كلاسكية معاصرة) ترجمة: محمود أحمد السيد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2012.

19. تشارلز تايلر، منابع الذات وتكوين الهوية الحديثة: تر:حيدر حاج إسماعيل،المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط2014،1.

20. جان بودريار، التبادل المستحيل، ترجمة: جلال بدلة، معابر للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2013.

21. جان بودريار، الفكر الجذري، تر: منير الحجوبي وأحمد القصوار، دار توبقال المغرب ، ط1، 2006

22. جان بودريار، المجتمع الاستهلاكي" دراسة في أساطير النظام الاستهلاكي وتراكبيه" ترجمه: خليل احمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1.

23. جريمي ريفكين، عصر الوصول،(الثقافة الجديدة للراسمالية المفرطة)، ترجمة: صباح صدّيق الدملوجي، المنظمة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط1 2009.

24. جويدة غانم، ضحوية الفلسفة والوعي بالهولوكوست، دار ميم للنشر، الجزائر، 2019 ط1.

25. جيل ليبوفتسكي، أفول الواجب، الأخلاق غير المؤلهه للأزمنة الديمقراطية الجديدة ترجمة البشير عصام المراكشي، مركز نماء للبحوث والدارسات، بيروت، لبنان ط1، 2018

26. **جيل** ليبوفتسكي وإليت رو، الترف الخالد، من عصر المقدس إلى زمن الماركات، ترجمة الشيماء مجدي، مركز نماء للبحوث والدرسات، بيروت لبنان، ط1، 2018.

27. جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ الفردنيات المعاصرة وتحولات مابعد الحداثة، ترجمة، حافظ ادوخراز، مركز نماء للبحوث والدرسات، بيروت، لبنان، ط1 2018.

28. جيل ليبوفتسكي، مملكة الموضة (زوال متجدد) ترجمة: دنيا مندور،المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2017.

29. جيمس مارتن، معنى القرن الحادي والعشرين، ترجمه: أحمد رمو، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2011.

30. حجاج أبوجبر، "نقد العقل العلماني دراسة مقارنة لفكر زيجمونت باومان وعبد الوهاب المسيري، المركز العربي للبحاث والدرسات السياسية، قطر، ط1. 2018.

31. دافيد هاوكينز، الأنا والذات الواقعية والذاتية، ترجمه، محمد حسين، دار الخيال بيروت، لبنان، ط1، 2017.

32. روبرت جيس، الإعلام والسياسة ومجتمع الشبكات، ترجمة: بسمة ياسين، مجموعة النيل العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

33. روجر روز بتلات، ثقافة الإستهلاك والسعي وراء السعادة، ترجمه، ليلى عبد الرزاق الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2011.

34. روجيه غارودي : حفاروا القبور، الحضارة التي تحفر للانسانية قبرها، ترجمه: عزت صبحي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

35. روجيه غارودي، كيف نصنع المستقبل، ترجمه: منى طلبة وأنوار مغيث، دار الشروق القاهرة، مصر، ط3، 2002.

36. ريتشارد تارناس، ألام العقل الغربي (فهم الأفكار التي قامت عليها بصياغة نظرتنا إلى العالم) ترجمه، فاضل جتكر، دار العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 2010.

37. رينه غينون، أزمة العالم الحديث، ترجمه: عدنان نجيب الدينو جمال عمار، المركز الإسلامي للدرسات الاستراتيجية، ط1، 2016.

38. سوزان عبد الله ادريس، لا أخلاقيات العنف عند جان بودريار، منشورات الإختلاف الجزائر، ط1، سنة 2018.

39. طه عبد الرحمان، بؤس الدهرانية، النقد الإنتمائي لفصل الأخلاق عن الدين) الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2014

40. طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة العربية، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، ط1، 2000

41. عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر المعاصر بيروت ، لبنان، ط1، 2003.

42. عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، دار الشروق، القاهرة، مصر ط3، 2001.

43. عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، دار الهلال، 2001.

44. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج1 دار الشروق، القاهرة مصر، ط1، 2002.

45. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج2، دار الشروق، القاهرة مصر ط1، 2002.

46. عبد الوهاب المسيري، الفردوس الارضي، اطباعات عن الحضارة الامريكية الحديثة منتديات الوحدة العربية، دط

47. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1، 2013.

48. فليب ريجو، مابعد الافتراضي(إستكشاف اجتماعي للثقافة المعلوماتية) ترجمه: عزت عامر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1.

49. ألفين توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ترجمه: عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والاعلان، دط،

50. لي مكا كنتاير، ما بعد الحقيقة، ترجمة: حجاج أو جبر، دارمعنى للنشر والتوزيع الرياض، المللكة العربية السعودية، ط1، 2022.

51. مايك فيزرستون ، ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، ترجمه فريال حسن خليفة، القاهرة، مصر، ط1، 2016.

52. معن الطائي: السرديات المضادة، بحث في التحولات الثقافية، المركز العربي للدرسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

53. ميشال مافيزولي، نظام الأشياء والتفكير في ما بعد الحداثة، ترجمه: سعود المولى، رانا دياب، المركز العربي للأبحاث والدارسات السياسية، بيروت لبنان، ط1 2020.

54. نخبة من المفكرين، قوة الكمات (حوارت وأفكار)، ترجمه: فاطمة الدلمي، دار المدى، العراق، ط1، 2017.

55. نورة بوحناش، البيواتيقا و الفلسفة " من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي، المؤسسة العربية للفكر وللإبداع ، بيروت، لبنان، ط1، 2017

56. نيكولا جوزيه، بين الكوني والخصوصي(البحث عن البديات طبيعة الثقافة وتشيد الهويات)ترجمه: اياس حسن، دار الفرقد، دمشق، سوريا، ط2، 2014.

57. نيكولاس جين، مستقبل النظرية الاجتماعية، ترجمة، يسرى عبد الحميد رسلان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014.

58. القديس أوغسطين، مدينة الله، تر: يوحنا الحلو،ج2، دار المشرق، بيروت 2006.

59. كامل عويضة، الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، دار الكتب العلمية بيروت.

60. حنة أرندت، إيخمان في القدس تقرير حول تفاهة الشر، تر: نادرة السنوسي الجزائر، 2014.

61. حنة أرندت، أسس التوتالتارية، تر: أنطوان أبو زيد، دار الساقي، لبنان، بيروت ط2، 2016

62. فيصل عباس، الفرودية ونقد الحضارة المعاصرة(برومثيوس مشيد الحضارة) دار المنل اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2005

63. جيل ليبوفتسكي و جان سيرو، شاشة العالم " ثقافة وسائل إعلام وسنيما في عصر مابعد الحداثة، ترجمة: رواية صادق، المشروع القومي للترجمة، القاهرة ، مصر، ط1، 2012.

64. يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة: فاطمة الجيوشي، مشنوارت الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط1، 1995.

65. جلكين روس، مغامرة الفكر الأروبي" قصة الأفكار الغربية" ترجمة: أمال ديبو، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011

66. جكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة: عادل لعوا، منشوات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

67. جان بودريار، المصطنع والإصطناع، ترجمه: جوزيف عبد الله، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

ب.مراجع باللغة الأجنبية:

1. -Dinnis Smith ,Zygmunt Bouman prophet of postmodernity ,polity press

2. Pierre Antoine Chardel. Zygmunt Bouman. les illuussion perdues de la modernite. CNRS edition. Paris. France.2013

3. Richard Kiminster and Ian Varcoe, culture modernity revolution (essay in honour of Zygmunt Bouman) first published, 1996, london .

4. Tizelle Franken.Evi. moralety .andmodarnety. March 2012

ثالثا: قواميس ومعاجم وموسوعات:

أ. بالعربية.

1.أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل احمد خليل، منشورات عويدات بيروت- باريس، ط02

2. إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج3،

3.تدهوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتصوير، ليبيا، ج01

4.جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ج01.

5.جوردن مارشال، موسوعة علم الإجتماع، المجلد الأول: ترجمة (مجموعة من الأساتذة) المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2000.

6.عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهودية والصهيونية، ج5، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

7.ناشرون، الموسوعة الميسرة في الفكر الإجتماعي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2000

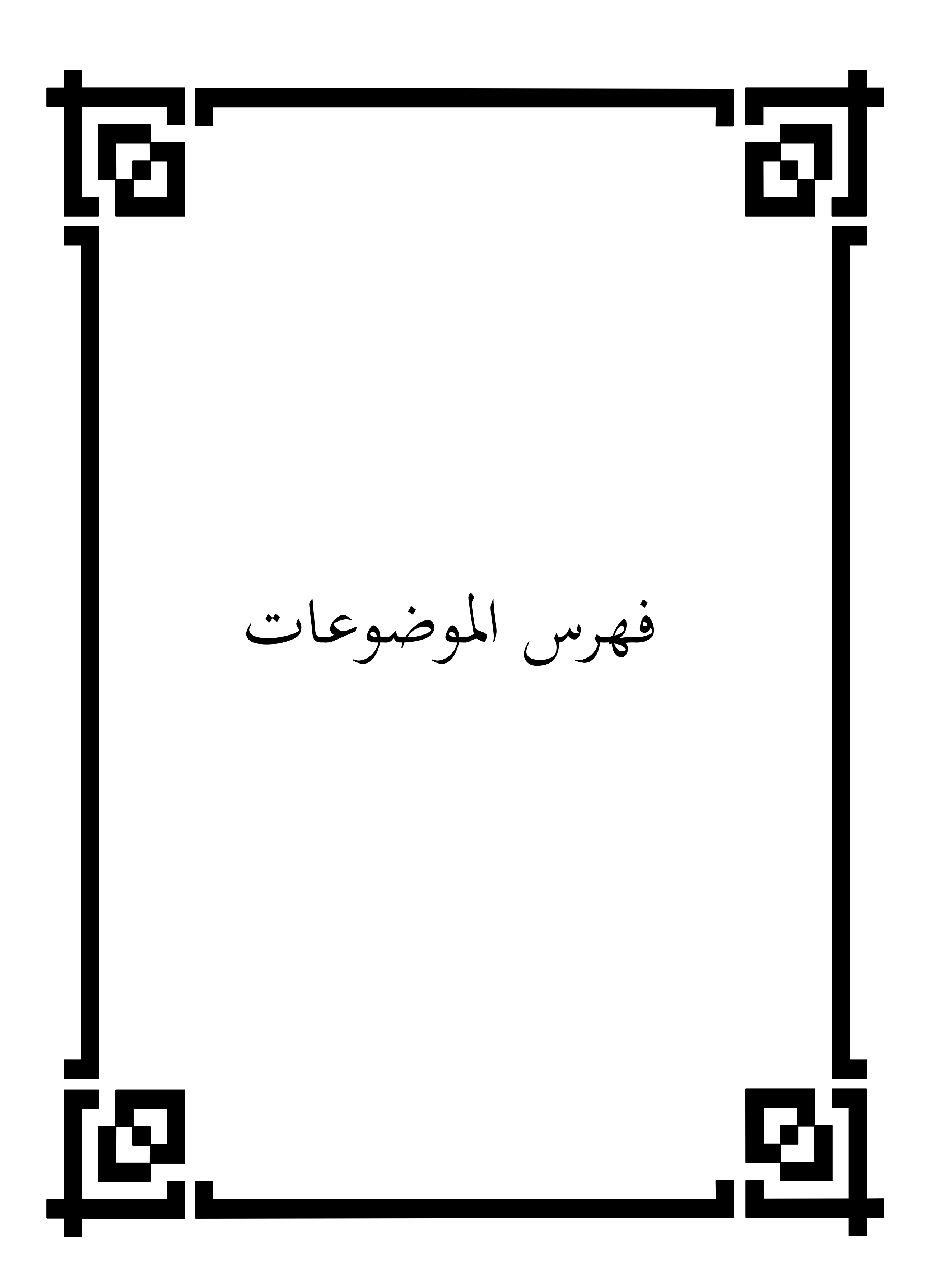
ب.باللغات الاجنبية.

1. Jacqueline Russ : Dictionnaire de philosophie, bordas, paris 1991

رابعا: الدارسات السابقة.

1. جدروي عفاف، براديغم السيولة وتطبيقاته النقدية عند زيجمونت باومان، أطروحة دكتورة ل م د، جامعة الحاج لخضر باتنة، نقشت 2022.

2- كحول سعودي، مكانة الحدس في فلسفة القديس أغسطين، أطروحة دكتورة دولة، جامعة عبد الحيد مهري قسنطينة 2، سنة2017، ص 185.



فهرس الموضوعات

الملخص:

ملخص الأطروحة: بالعربية

تهدف هذه الدراسة المعنونة" مصادر الشر السائل في الوقت الراهن عند زيجمونت باومان" إلى إبراز معالم الشر السائل في الحياة الراهنة من خلال التحاليل التي قدمها، وبعبارته هو نقل التقارير على أرض الواقع، وذلك بالبحث عن تجليات الشر في الحياة اليومية الراهنة، لذلك يعتبر أن الشر السائل هو قرين الإنسان الحالي، والإنسان في وقتنا اليوم يعيش في تناغم مستمر من الصباح حتى المساء، وذلك من خلال التحرر المستمر من القيود والضوابط الأخلاقية، ويتجلى في مجموعة من المظاهر، كالمتلازمة الاستهلاكية التي عمقت من الشر السائل والتي جعلت من هذا الإنسان يكون ذوت بعد واحد يعيش في عبودية جديدة تقدس صنم الاستهلاك، ضف إلى ذلك تنامي هذا الشر مع تطور وسائل الإعلام والتكنولوجيا التي خلقت واقع جديد مناقض مع الواقع الحقيقي، حيث انتقلنا العلاقات الواقعية إلى علاقات جديدة افتراضية سائلة تتسم بالنفاق والكذب تقوم على مبدأ المتعية والمؤقتية .

Dissertation summing up: English

The study entitled "The Sources of Liquid Evil in Time" in Zygmunt Baouman aims to highlight the marks of the liquid evil in the current life through the analyses he had displayed. As show in his sayings, the study aims to transfer the reports into real life through seeking the manifestation of evil in the current everyday life. Thus; it is said that the liquid evil is the self devil of the current human being. Man nowadays, lives and evolves in an incessant harmony form the morning to the evening throughout the constant emancipation from the chains and the morals of ethics. This is manifested in several phenomena, such as the consumption syndrome that has deepened indeed the liquid evil which has made man a unique dimensional being that lives in a new form of slavery that worships and venerates consumerism. Besides all that, the evil is being developed in parallel with the development of media and technology, these ones have actually created a new reality that paradoxes the real reality, this has shifted us from real relationships to new relationships which are both virtual and liquid and characterized by hypocrisy and lie that depends on pleasure or satisfaction and momentousness.

Agzul s tmazɣit :

Iswi n tezrawt-a i yellan ɣef uzwel"Iɣbula n ccer yefsin deg wakud ɣer Zigmunt Bawman" d askan n timitar n ccer i yefsin deg tudert n yal ass seg tesleḍt n yigemmaḍ i d-yefka, neɣ s unamek-ines "d asiweḍ n yitaftaren seg wannar n tilawt", anect-a s unadi ɣef yisuɣad n ccer deg tudert n yal ass, ɣef wakka nettara ccer i yefsin iteddu akked umdan n tura, anda amdan ass-a netta d ccer akken lwaḥi ittidiren seg ssbeḥ almi d tameddit , anect-a yusa-d seg tlelli idumen seg wayen it-yeṭṭfen daɣen ilugan n tterbiyya, yettban-d deg yiwen n ugraw n tesbaniyin, am tissumra i yesnernin deg ccer yefsin, tin yerran amdan iswi-ines yiwen kan dakken ad yidir d akli n tesmurt, rnu ɣer waya asnerni n ccer-a akked umhaz n wallalen n taywalt d titknulujit i d-ixelqen yiwet n tilawt d tamaynut mgal tilawt n tidet, anda i nerra assaɣen n tilawt ɣer wassaɣen imaynuten imerduyen yefsin yettulemsen s tkerkas i ibedden ɣef ufeǧǧeǧ d umkud .

Résumé de la thèse :

Cette étude intitulée "Les sources du mal liquide à l'époque de Zygmunt Bauman" vise à mettre en évidence les caractéristiques du mal liquide dans la vie contemporaine à travers les analyses présentées par l'auteur. En d'autres termes, il s'agit de rendre compte de la réalité en cherchant les manifestations du mal dans la vie quotidienne actuelle. Ainsi, le mal liquide est considéré comme le compagnon de l'homme moderne qui vit en harmonie continue, du matin au soir, en se libérant constamment des contraintes et des normes morales. Il se manifeste sous diverses formes, telles que le syndrome de la consommation qui a approfondi le mal liquide et a fait de cet homme un être unique vivant dans une nouvelle servitude, vénérant l'idole de la consommation. En outre, ce mal croît avec le développement des médias et de la technologie, créant une réalité virtuelle opposée à la réalité, où les relations réelles sont remplacées par de nouvelles relations liquides virtuelles caractérisées par l'hypocrisie et le mensonge fondés sur le principe de la jouissance et de l'éphémère.